(استمارة رقم 4-أ)

الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
جامعة تشرين



SYRIAN ARAB REPUBLIC
Ministry of Higher Education
Tishreen University

قرار لجنة الحكم على رسالة الماجستير

في تمام الساعة ...١٢... من يوم الاثنين الموافق ٢/٦/٢٠١٧م اجتمعت لجنة الحكم المشكلة بموجب قرار مجلس البحث العلمي رقم ٤٢٦/ المتخذ بالجلسة رقم/ ٨/ المنعقدة بتاريخ/ ١٣/ربيع الثاني/١٤٣٨هـ/ الموافق ١١/ ١ /٢٠١٧ م والمؤلفة من السادة:

الدكتور: محسن يونس......................................

الدكتور: أحمد سحود......................................

الدكتور: شيرين رضوان......................................

وناقشت رسالة الماجستير التي تقدم بها الطالب: رهاب عزيز اسكندر

بعنوان: أهمية النشاط العسكري للملوك الآشوريين في بلاد الرافدين وسورية وعيلام من عام (٩٤٥-٦٠٩) قبل الميلاد

قررت لجنة الحكم الآتي:

1) منح الطالب رهاب عزيز اسكندر درجة وقدرها: رقماً ...٨٠.. كتابة ثمانون ..بتقدير (جيد جداً) في اختصاص تاريخ قديم من قسم التاريخ.........

2) رفع هذا القرار إلى المجالس المختصة لمنحه الدرجة المذكورة واستصدار القرارات اللازمة لتمتعه بحقوق هذه الدرجة وامتيازاتها وفق الأصول النافذة.

اللاذقية: يوم الاثنين... في ٦/ ٢ /٢٠١٧ م.

الدكتور	الدكتورة	الدكتور
د. محسن يونس	د. شيرين رضوان	د. أحمد سحود

شهادة

نشهد بأن البحث الموصوف هو نتيجة لدراسة أجرتها طالبة الدراسات العليا

رضاب عزيز اسكندر، بإشراف الدكتور أحمد محمد شحود

بعنوان أهمية النشاط العسكري لملوك آشور في بلاد الرافدين وسورية وعيلام من عام (745- 609) قبل الميلاد.

نشهد بأن هذا البحث لم يقدم سابقاً وهو غير مقدم لنيل أي شهادة أو درجة علمية أخرى.

الطالبة

رضاب عزيز اسكندر

الأستاذ المشرف

الأستاذ المساعد الدكتور أحمد شحود

تصريح

أصرح بأن هذا البحث بعنوان: أهمية النشاط العسكري لملوك آشور في بلاد الرافدين وسورية وعيلام من عام (745- 609) قبل الميلاد، لم يسبق أن قبل للحصول على أي شهادة، وهو غير مقدم للحصول على أي شهادة.

الطالبة

رضاب عزيز اسكندر

الجمهورية العربية السّــورية
جامعة تشــرين
كليّة الآداب والعلوم الإنسانية
قســـم التّاريخ
اختصاص تاريخ بلاد الرافدين



أهميّة النّشاط العسكري لملوك آشور في بلاد الرافدين وسورية وعيلام من عام (745 - 609) قبل الميلاد

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تاريخ بلاد الرافدين

إعداد

الطالبة رضاب عزيز اسكندر

إشراف الدكتور

أحمد محمد شحود

أستاذ مساعد في كلية السياحة

اختصاص تاريخ سورية القديم

العام الدراسي 2016– 2017

1437 - 1438 هـ

[اكتب نصاً]

الملخص

إن فهم أنماط الصراع ومساراته التي تؤسس التاريخ هو أمر مهم لفهم كيفية تطور الإمبراطوريات الكبرى، ومنها مثلاً الإمبراطورية الآشورية التي حكمت وأثرت بالأحداث اللاحقة، من خلال دراسة الواقع الجغرافي والتاريخي للشرق القديم قبيل الألف الأول قبل الميلاد، والواقع الجغرافي والتاريخي للدولة الآشورية في الألف الأول قبل الميلاد.

إن التوسع في سرد الأحداث يُمكّننا من فهم تمكن آشور السيطرة على المناطق المجاورة لها، كما يساعدنا في شرح المنافع الاستراتيجية التي تقود مسارات محتملة إلى إمبراطورية ترتكز فيها القوة في يد النخبة من الملوك الأقوياء من خلال نشاطهم العسكري، خاصة سرد هذه الأحداث في فترة تتيح لنا النصوص التاريخية بأن نتتبع الحملات الآشورية في مناطق معينة.

ولمعرفة الأسباب التي ساعدت الدولة الآشورية الحديثة في الانبعاث كلاعب سياسي رئيسي، ساد منطقة الشرق الأدنى وشكل منطقة أكبر لعدة قرون دامت حتى بعد سقوطها.

فهرس المحتويات

الفصل الثاني

التعريف بالدولة الآشورية ومراحل تطورها

الفصل الثالث

النشاط العسكري للدولة الآشورية الحديثة من سنة (745–681 ق.م)

الفصل الرابع

النشاط العسكري للآشوريين من سنة (681-609 ق.م)

قائمة الرموز

استخدام الدّلالات التّالية:

(...): عدد من الأسطر المحذوفة.

[...] مقاطع مجتزأة قصيرة في النص نسبة إلى تلف الرقيم.

الأوزان المستخدمة:

- شيقل أو شاقل = 8غ

- 1 قا= 1 ليتر

- تالنت= 30غ

الدراسات السابقة:

1- (Olmstead, A. 1906)

تناولت الدراسة الأهمية القصوى التي أعطاها العلماء الدارسون لآشور في مناقشاتهم وعند التنقيب، فقد وجدت وثائق جديدة وتحول الاهتمام تدريجياً إلى مجالات مأمول منها اكتشافات مذهلة.

2- (Marrioth, J; Radmer, K. 2015)

تناولت الدراسة شرح كيفية عمل الجيش الأشوري، وسر بقائه في أثناء الحملات في جبال وعرة وظروف صعبة، وذلك عبر دراسة رواية الأحداث في حملة شاروكين الثاني (705-721ق.م)، ويتم التركيز على كيفية توفير الطعام عند انقطاع الدعم من آشور، وعلى كيفية تشكيلة الجيش الذي يعكس طبيعة الحملة.

3- (Edelman, D. 2000)

تناولت الدراسة تساؤلات حول ماذا لو لم تكن هناك دلائل وآثار داخل القصر توضح حملة سنحاريب الثالثة لاحتلاله لاغيش؟

4- (Sivan, G. 2015)

تناولت الدراسة خلفية تاريخية خلال القرن السابع والقرن التاسع عن آشور كقوة عالمية وفرض حكم الآشوريين على الأقاليم غرب الرافدين.

5- (Jakubiak, K. 2004)

تناولت الدراسة مايمكن أن نتعلمه عن الحصون التي تم تدميرها في حملة شاروكين الثاني الثامنة.

6- (Novotiny, J. N. 2015)

تذكر الدراسة النقوش البابلية عن أسر حدون، وتقدم أفضل مجموعة نصوص لهذا الملك في القرن السابع قبل الميلاد.

7- (Ali baigi, S; Shanbe hzadeh, A; Ali baigi, H. 2012)

تناولت الدراسة التحديات التي شهدتها غرب إيران من سكان المنطقة الأورارتيين والآشوريين والبابليين والمينيين والميديين والعيلاميين. ومن بين هذه الصراعات تحديات جيرانهم الشرقيين في جبال زاغروس والتي كانت بالنسبة لهم لأسباب اقتصادية بالدرجة الأولى.

8- (Baudains, P; Zamaza lova, S; Altaweel, M; Wilson, A. 2015)

تناولت الدراسة تحليل القرارات الاستراتيجية لتكوين بدايات الإمبراطورية الآشورية الحديثة.

9- (Todd carey, B. 2005)

تناولت الدراسة حملة شاروكين الثاني للعام 714 ق.م ووصفتها بأنها كانت حساسة بقدر ما كانت وحشية.

10- (Martin, R. 2002)

تناقش الدراسة فكرة العبقرية العسكرية الماضية ولا سيما أنها تجلت بحملة سرجون الأكادي التي خلفت وراءها إرثاً من الفتوحات التي ألهمت ملكين لاحقين في آشور من أن يتبنوا اسمه. وعلى الأقل واحد منهم سرجون الثاني (شاروكين الثاني) جعل اسمه مفخرة بتقوية وبتوسيع فتوحات جده الأكبر وتسجيل إنجازات بأسلوب أدبي ينتهي بالعام 705 ق.م، وبتسجيل اسمه كأول قائد آشوري يموت في القتال في معركة خلال زحفه ضد (يهوذا).

مقدمة

كانت آشور أول دولة قامت في شمال بلاد الرافدين، وكان عهدها الحديث المرحلة الأهم من تاريخ آشور الذي شهد قيام الإمبراطورية الآشورية الحديثة (911–609 ق.م)، التي تمكنت من بسط نفوذها على معظم بلاد الشرق الأدنى، متفوقة على بلاد بابل ومصر وأرمينيا وعيلام وآسيا الصغرى والقوقاز وشرق البحر المتوسط، من خلال فتوحاتهم ومنجزاتهم الحضارية التي عبرت عن حياتهم بكل تفاصيلها.

لقد حفظت النقوش الحجرية ما حققه الآشوريون من إنجازات حضارية عظيمة، ودلت الأوابد الأثرية التي بقيت إلى يومنا هذا على مستوى متقدم في العمارة والبناء. لكن الصفة العسكرية للدولة الآشورية شغلت الدور الأهم في قيام هذه الدولة، فقد تضافرت مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية مساهمة في تأسيس البنية العسكرية لهذه الدولة.

جاء اختيار البحث من كون الدولة الآشورية تمتلك أهمية كبيرة في تاريخ الشرق القديم عامة وتاريخ سورية. وأيضاً لأن الآشوريين هم أحد الأقوام التي تأثرت تأثراً كبيراً ومباشراً في تكوين منطقة الشرق القديم التي سكنوا فيها من خلال فتوحاتهم العسكرية ومنجزاتهم الحضارية والعمرانية، حيث تعد هذه الفترة ما بين (745–612 ق.م) من أكثر الفترات غزارة في الحملات العسكرية والأحداث والمتغيرات السياسية التي حصلت بسبب ضعف القوى الدولية المحيطة بالدولة الآشورية، وهي سورية وبابل وعيلام ومصر، والذي أدى إلى تحريك المواجهات العسكرية والسياسية مابين الدولة الآشورية وتلك القوى. وإن التطور الذي شهدته الدولة الآشورية في مختلف جوانبها أسهم في تكوين جيش قوي قادر على الرد على الاعتداءات الخارجية والحفاظ على حدود الدولة من أي انتهاك. وقد أسهمت الحملات العسكرية في تكوين دولة ذات

خارطة سياسية واسعة، وأسهمت في إيجاد حالة التأثر والتأثير بين الآشوريين والأقوام التي كانت تسكن في المناطق التي ضمت إلى حدود الدولة الآشورية. لذلك يمكن عرض مشكلة البحث على شكل تساؤلات بحثية تتمثل في الآتي:

1- ما هو سر قوة الجيش الآشوري ونواته الذي تمكن من التوسع مراراً ؟
2- هل نجحت دولة آشور في تغيير الخارطة السياسية في غربي آسيا؟
3- ما هو الأثر الذي تركته الدولة الآشورية عسكرياً في القوى التي جاءت لاحقاً ؟
4- ما هو دور الجيش الآشوري في نقل مؤثرات آشور الحضارية إلى المناطق التي دخلها عسكرياً ؟

تأتي أهمية البحث من كونه يلقي الضوء على أهمية النشاط العسكري للدولة الآشورية في المناطق المحيطة بها، وبشكل منفصل عن القراءات السابقة في تاريخ هذه الدولة ويهدف البحث إلى التفصيل أكثر في المعارك الكبرى للدولة الآشورية خلال هذه الفترة على ضوء المعطيات الجديدة. وهي محاولة متواضعة لبناء قراءة موضوعية لمرحلة تاريخية مهمة من تاريخ بلاد ما بين النهرين والتي بقيت لفترة زمنية طويلة تستند مصادرها التاريخية إلى كتابات اليهود وقصصهم التوراتية، يضاف إلى ذلك أيضاً ما تتعرض له المنطقة العربية من تشويه ممنهج لتاريخها القديم ونهب آثارها بهدف تكوين قطيعة حقيقية بين حاضر هذه المنطقة وتاريخها مما يعطي لهذا النوع من الدراسات أهمية إنسانية وعلمية ووطنية، اعتماداً على النقوش والآثار الكتابية التاريخية.

يهدف البحث إلى دراسة المناخ السياسي والعسكري العام في المنطقة في فترة قيام الحملات الآشورية وما سبقها وما كان عليه وضع المنطقة التي توسع فيها الآشوريون، اعتماداً على الوثائق

والأرشيفات، ودراسة هذه المصادر وتحليل دقيق للأحداث الكثيفة، ومحاولة إلقاء الضوء على نتائج تلك الحملات لاستقراء أسباب النجاح الآشوري في هذه الحملات ومراعاة التسلسل التاريخي بدقة.

فهنا لابّد من التنويه إلى بعض الصعوبات التي واجهت عملية البحث بدءاً من قلة المصادر والمراجع وصعوبة الحصول عليها فيما يتعلق في تلك الفترة، وندرة النصوص المسمارية الآشورية والآرامية والفينيقية المترجمة إلى العربية، لذلك اقتصرت المصادر على اللغة العربية وبعض المراجع باللغة الأجنبية، فقد أخذ السعي إلى الحصول على هذه المصادر وترجمتها الوقت والجهد الكبيرين ومن الصعوبات التي واجهت العملية البحثية دراسة أوضاع عيلام في هذه الفترة من حيث قلة المراجع التي تتحدث عنها.

كما تم الاعتماد على منهج البحث التاريخي والوصفي، والإجراء التحليلي والاستقرائي، والاطلاع على وقائع وأحداث حدثت زمن الآشوريين بالاعتماد على الوثائق والنصوص الآشورية للفترة العائدة إلى تلك الحقبة. إضافة إلى أسلوب المقارنة للمعلومة وتحليلها وتصنيفها وفق شرح مفصل عبر توضيح المصطلحات العلمية ودقة التعامل مع المعلومة من أجل الوصول إلى حقائق تاريخية.

تشتمل مادة البحث على أربعة فصول، وهي:

- **الفصل الأول:** بعنوان واقع الشرق القديم في الألف الأول قبل الميلاد، ويقدم قراءة الواقع الجغرافي والتاريخي للشرق القديم، وأوضاع الشرق القديم بداية الألف الأول قبل الميلاد.

- **الفصل الثاني:** يتناول التعريف بالدولة الآشورية ومراحل تطورها من خلال دراسة تاريخية لها، والأدوار التي مرت بها قبل تبلور قوتها العسكرية والسياسية.

الفصل الثالث: يتناول النشاط العسكري للدولة الآشورية الحديثة من سنة (745-681 ق.م)، والتركيز

على أهمية النشاط العسكري لمواجهة الأخطار الخارجية التي تعرضت لها وكيفية التخلص منها بواقعية، وانعكاس ذلك على قوة الدولة من خلال دراسة تاريخية للنشاط العسكري لملوك آشور وحسن إدارتهم للأقاليم التابعة لهم.

- **الفصل الرابع:** يتناول النشاط العسكري للآشوريين من سنة (681-609 ق.م)، من خلال التركيز على أهمية النشاط العسكري لملوك آشور في التوسع للدولة الآشورية، واستعراض الحملات العسكرية على الجبهات المختلفة حسب ما كتبه الملوك في حولياتهم التي يذكرون فيها حملاتهم العسكرية كما هو مبين لاحقاً خلال البحث مع ذكر أهم الأحداث التي يتوخاها الملوك من تلك الحملات. كما يقدم الفصل جملة من الأسباب التي أدت إلى ضعف الدولة الآشورية.

أخيراً تسعى الدراسة لإيصال المعلومات المقدمة بشكلها الصحيح وبتسلسلها المنطقي والمنتظم للأحداث.

الفصل الأول

واقع الشرق القديم في الألف الأول قبل الميلاد

1. الواقع الجغرافي والتاريخي للشرق القديم

2. أوضاع الرافدين في بداية الألف الأول قبل الميلاد

3. أوضاع سورية في بداية الألف الأول قبل الميلاد

   3.1. في الوسط والجنوب

   3.2. في الشمال

   3.3. في الغرب

4. أوضاع عيلام في بداية الألف الأول قبل الميلاد

1. الواقع الجغرافي والتاريخي للشرق القديم:

تركت منطقة الشرق الأدنى القديم* أثراً مهماً في التاريخ، كما أنها كانت مركزاً لحضارات قديمة كان لها تأثيرها الفاعل على حضارات العالم القديم، إذ أطلق الباحثون الغربيون تسمية الشرق القديم على مناطق واسعة من العالم تمتد بين المحيط الهادي شرقاً، إلى المحيط الأطلسي غرباً، وتشتمل على ما يعرف بالشرق الأقصى (اليابان والصين والهند الصينية)، والشرق الأوسط الذي يشتمل على (الهند وإيران)، والشرق الأدنى الذي يشتمل على (المنطقة العربية). وخصص المؤرخون وعلماء الآثار تسمية الشرق الأدنى القديم لبلاد الرافدين وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية ومصر بالإضافة إلى آسيا الصغرى وإيران لما بينها من صلات تاريخية متشابكة لا تنفصل منذ القديم، وقد أطلق المؤرخون الإغريق تسمية Mesopotamia*[1] التي ينسب لها موقع الآشوريين حيث تحدها أربع دول هي سورية في الغرب وتركيا في الشمال وإيران في الشرق والعراق في الجنوب[2](أي بلاد الرافدين أو بلاد ما بين النهرين) على المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات ولكنَّ المؤرخين المحدثين عندما يتعرضون لدراسة تاريخ بلاد الرافدين يدرسون المنطقة الواقعة بين الخليج العربي في

* **الشرق الأدنى القديم:** هو من المصطلحات الحديثة نسبياً والغامضة، استخدمه الأوربيون بخاصة كما استخدمه معظم الشرق الأوسط والشرق الأقصى ويقصد بهذه المصطلحات المناطق الواقعة إلى الشرق من أوروبا وحسب مواقعها بالنسبة لبعدها وقربها منها، ويضم الشرق الأدنى منطقة واسعة تشمل أجزاء من كل من آسيا وإفريقيا، ففي آسيا يقع ضمن الشرق الأدنى كل من العراق وبلاد الشام (سورية ولبنان وفلسطين والأردن) وشبه الجزيرة العربية إضافة إلى بلاد إيران والأناضول.وتعد مصر كذلك جزءاً مكملاً للشرق الأدنى. ينظر: بوتيرو، جون؛ وآخرون، الشرق الأدنى، الحضارات المبكرة، تر: عامر سليمان، د.ط، د.م، 1967، ص 25-28.

Mesopotamia*: لفظ إغريقي ترجمه المؤرخون العرب بمعنى(بلاد ما بين النهرين) أو (بين النهرين) ورغم دقة الترجمة، فإنها قاصرة غير شاملة، ذلك لأن حضارة العراق لم تقتصر على ما بين النهرين، وانما امتدت إلى ما حول النهرين أيضاً، بل إن طائفة من أقدم المواقع الثرية مثل العبيد وأريدو وأور وماري أيضاً قامت غرب الفرات، وليس فيما بينه وبين الدجلة، كما قامت اشنونا وتل أسمر ونوزى شرق دجلة وليس فيما بينه وبين الفرات، وقد فطن الأغارقة أنفسهم إلى قصور لفظ "ميزوبوتاميا" فأضاف بعضهم إليه لفظ (باراتوتاميا) **Parapotamia** أي ما وراء النهرين أو ما حولهما وهنا يحسن فيما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح – أن نقول: بلاد النهرين، هذا إلى أن تعبير (بلاد الرافدين) و(حضارة الرافدين) لا يؤدي المعنى كاملاً، وروافد النهر تختلف عن النهر ذاته فيما هو معروف.(نظر عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى، الجزء الأول، مصر والعراق، القاهرة، 1967، ص371.

[1] لويد، سيتون: آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، تر: محمد طالب، ط1، دار دمشق، دمشق، 1993، ص15

[2] Assyrian International (News and analysis of Assyrian, Wednesday, June24, 2015. Last updeate: 8:00 GMT.

الجنوب والهضبة الأرمينية وجبال طوروس في الشمال ونهر الفرات والبادية الشامية في الغرب وجبال زاغروس في الشرق.

قال بيلي فراسير العالم الإنكليزي في افتتاح كتابه تاريخ ما بين النهرين وآشور ما ملخصه: "نقدر أن نقول بكل صدق ليس في العالم بلد يستحق الذكر وتجلب الأنظار إليها أكثر من بلاد ما بين النهرين وآشور، فيها كانت أفخر المدن وأعظمها وأقدمها أي نينوى وبابل[3]".

كانت بلاد الرافدين تتسم خلال الألف الأول قبل الميلاد بالتغيرات الهائلة، حيث تحولت المنطقة من دول المدن في الفترة (3000-1600ق.م) إلى الدول ذات القطاعات المتوسطة من (1600ق.م) حتى بداية الألف الأول قبل الميلاد، حيث شهدت هذه الفترة من التاريخ القديم توسعاً سريعاً ومطالبات بالأراضي أكثر، وشهدت أيضاً زيادة بالسكان وفوارق اجتماعية، كما شهدت بناء معابد وأبنية فخمة بالإضافة إلى تطور تقني عند نهاية هذه الفترة[4].

يتشكل العراق القديم أو ما يسمى عند المختصين بلاد ما بين النهرين أو بلاد الرافدين من المنطقة الممتدة من هضبة أرمينيا في الشمال (شرق تركيا اليوم)، حيث تقع منابع نهري دجلة والفرات حتى الخليج العربي في الجنوب ومن الفرات غرباً حتى دجلة شرقاً . وإنَّ الوسط الطبيعي لداخل وأطراف حوض بلاد ما بين النهرين كثير التنوع يتجسد فيه اختلاف المناخ في جميع مناطقه[5]، ودعيت هذه المنطقة باسم بلاد ما بين النهرين عند اليونان[6] وسماها الجغرافيون والمؤرخون القدماء بلاد الرافدين[7].

---

[3] شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، مج1، د.ط، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912، ص1.

[4]Mcarthur, Riana, **the Exercise of Assyrian Ideology: An upturned image of reality**, 2012, P.2

[5] مارغرون، جان كلود: السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، تر: سالم سليمان العيسى، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1999، ص25

[6]زايد، عبد الحميد: الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323ق.م، د.ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966، ص1

فغدت هذه التسمية اصطلاحاً تاريخياً وجغرافياً يعني كل المناطق المحصورة بين نهري دجلة و الفرات، ويتعداها إلى المناطق المتاخمة لها في الشرق حيث ترتفع جبال زاغروس وكردستان، وفي الجنوب الشرقي حيث تقع عيلام التي كانت تلاصق حدودها قديماً منطقة بلاد الرافدين، وقد امتدت في أوج اتساعها من كرمنشاه في الشمال الغربي إلى طريق خراسان الكبير القادم من بغداد في الشمال وتمثل سلسلة جبال زاغروس الحدود الشمالية الشرقية لبلاد عيلام[8]، وفي الجنوب يشكل الساحل الشرقي للخليج العربي حدوداً لعيلام في حين أن مرتفعات (بختياري) تشكل الحدود الشرقية لها، أما في الجهة الغربية فقد كانت الحدود أكثر تغييراً، فقد شغل الدور السياسي للدولة في العراق القديم في تحديد امتداد بلاد عيلام أو تقلصها وتراجعها أحياناً إلى المرتفعات الشرقية (مرتفعات بختياري) حيث يكون سهل عيلام ضمن أراضي بلاد بابل في جنوب بلاد الرافدين[9].

لقد اتسمت الحدود الجغرافية فيما بين بلاد الرافدين وبين عيلام في التاريخ القديم بطولها الذي كان يمتد من شواطئ الخليج العربي في الجنوب وحتى مدينة دير القديمة (تلول العقر حالياً) المجاورة لمدينة بدرة في الكوت، إلا أن حدوداً بهذا الامتداد لقيت دورها في تفصيل التأثيرات الحضارية وانتقالها إلى بلاد عيلام ولقد وصل هذا التأثير إلى درجة ميزت عيلام حضارياً عن سائر بلاد فارس ونقلتها إلى التحضر فضلاً عن نقل التأثيرات الحضارية العراقية القديمة إلى الشرق حيث الهند وتركستان وباقي إيران[10].

انتبه ملوك العراق القدماء منذ الألف الثالث قبل الميلاد إلى تلك الحقائق الجغرافية المتصلة بوجود عيلام على الحدود الشرقية فوضعوا نصب أعينهم تحقيق وضع لا يسمح لهم بقيام دولة قوية هناك والإفادة من

---

[7]هبو، أحمد ارحيم: تاريخ بلاد الرافدين (من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط بابل 539 ق.م)، د.ط، منشورات جامعة حلب، 2007م، ص18.

[8] السعدون، نصار سليمان: عيلام في الألف الثالث ق.م، مجلة مهد الحضارات، المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، العدد الثامن والتاسع ، 2009 ، ص 7.

[9] عصفور، محمد أبو المحاسن: الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية، د.ت، د.م، ص 75.

[10] س. كوفاليف إف. دياكوف: تر: نسيم واكيم اليازجي، الحضارات القديمة، ج1، ط1، دار علاء الدين، دمشق، د.ت، ص81.

الموارد الطبيعية القابلة للاستغلال من جهة أخرى، وهنالك تباين واضح بين المناطق المحازية للسهل الرسوبي العراقي على الجهتين الشرقية والغربية[11].

كان لكلا المنطقتين أهمية خاصة في بلاد الرافدين وبغض النظر عن التعرض لدور المنطقتين إلا أن ما يهمنا هو تأثير طبيعة المنطقة الشرقية في العلاقة مع العراق القديم، فالمنطقة الممتدة إلى شرق بلاد بابل (أي عيلام) تتميز بطبيعة مختلفة تماماً عن المنطقة الغربية التي هي الهضبة الجرداء المتصلة ببادية الشام وصحراء شبه الجزيرة العربية، أما عيلام فهي منطقة امتدادات السهل الرسوبي والأنهار الكبيرة وروافدها والجبال الشاهقة والهضاب التي تتخللها السهول الزراعية والموارد الطبيعية الوفيرة[12].

تجدر الإشارة إلى أن بلاد عيلام تألفت من قسمين رئيسين هما: السهل الرسوبي أو ما يعرف تاريخياً باسم سهل سوسيانا(Susina) أو شوشيانا نسبة إلى العاصمة القديمة سوسة التي تقع فيه ومنطقة المرتفعات والجبال التي تقع فيها العاصمة القديمة أنشان(Ansan)، إن سهل سوسيانا يؤلف من حيث التكوين الجيولوجي وطبيعة الأرض والتضاريس امتداداً طبيعياً لسهل العراق الرسوبي.

ونتيجة لهذا الواقع الجغرافي فإن منطقة عيلام تميزت بخصائص طبيعية مغايرة لخصائص الهضبة الإيرانية في الغرب والتي لا يربط بينها وبين السهل سوى طرق وعرة قليلة[13].

تبلغ مساحة سهل عيلام حوالي (42000كم^2)، ويصل ارتفاع الأرض الغرينية إلى (170م) فوق سطح البحر عند بداية هضبة لورستان في شمال السهل، وتفصل السلاسل الجبلية العليا من زاغروس عن سهل عيلام (خوزستان حالياً) بشريط من المرتفعات الفاصلة التي قد يصل عرضها إلى (60كم) على

---

[11] س. كوفاليف إف. دياكوف: المرجع السابق، ص81.

[12] السعدون، نصار سليمان: المرجع السابق، مهد الحضارات، العدد الثامن والتاسع ، 2009 ، ص8.

[13] السعدون، نصار سليمان: المرجع السابق، مهد الحضارات، العدد الثامن والتاسع ، 2009 ، ص8.

الجانب الشمالي الشرقي من سلسلة جبال (كبير – كوه) الفاصلة ما بين جبال لورستان الغربية (بيشتي-كوه) وبين جبال لورستان الشرقية (بيتشي-كوه)في إيران حالياً التي تمثل مشهداً خلفياً محدداً لسهل دهلر في خوزستان الشمالية الغربية، وتعد هذه السلاسل مصدراً مهماً للمعادن الثمينة والذهب والفضة والرصاص والنحاس واللازورد، كذلك انطلقت منها الفعاليات البركانية لعصور البلستوسن المتأخرة مخلفة الأحجار الكريستالية والصخور البركانية الزجاجية[14].

أما في شمال بلاد الرافدين فكانت هضبة أرمينيا وجبال طوروس التي كانت تخضع مناطقها الجنوبية لنفوذ دول بلاد الرافدين. عندما كانت تلك الدول قوية وتوسع سلطانها على المناطق المجاورة، وإن المظهر العام لآسيا الصغرى (الأناضول) موطن الحثيين عبارة عن هضبة مرتفعة تأخذ في الارتفاع من ساحل برايجة في الغرب حتى جبال أرمينيا في الشرق، ويبلغ ارتفاع أحد قممها وهي إيزيل داغ (EIZIL DAGH) حوالي 9600 قدم[15]، ويمكن تقسيم سطح الأناضول إلى أربعة أقسام رئيسية، وذلك على النحو الآتي:

1- القسم الشمالي الشرقي: يتميز هذا القسم بأنه موطن الحثيين الأصلي، ويجري فيه نهر الهاليس (Halys).

2- القسم الشمالي الغربي: ويشمل على فريجيا (Phrygia).

3- المنطقة الواقعة بين السهول الوسطى بين بحيرات بسيديان.

4- المنطقة الواقعة أسفل مرتفعات طوروس الشمالية [16].

---

[14] سليم، أحمد: في تاريخ الشرق الأدنى القديم، العراق – إيران –آسيا الصغرى، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1990، ص311-317.

[15] سليم، أحمد: المرجع السابق، ص317.

[16]سليم، أحمد: المرجع السابق، ص318.

يحد بلاد الرافدين من الغرب البادية السورية (بادية الشام) التي كانت تفصلها عن سورية الداخلية بشكل طبيعي، كما تفصلها جبال زاغروس وكردستان في الشرق عن إيران،[17] حيث إنَّ سورية القديمة هي المنطقة الممتدة من جبال طوروس في الشمال، وحتى شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة في الجنوب، ومن البحر المتوسط في الغرب وحتى الفرات وبادية الشام في الشرق.(وقد عرف المؤرخون العرب بعد الإسلام هذه المنطقة باسم **بلاد الشام**)[18].

اختلف المؤرخون حول اسم سورية حيث ذكر هيرودوت أن اسم سورية يوناني الأصل[19]، حيث أول من سمى هذه البلاد سورية اليونان مع أن أوميروس شاعرهم سمى سكانها آراميين. على أن هيرودوت (الذي ولد في سنة 484 ق.م) هو على ما نعلم أول من سمى هذه البلاد سورية . وتابعه في ذلك سائر اليونان والرومانيون، وقد رأى العلماء القدماء أقوال أقربها إلى الصحة قولان: الأول أنها سميت سورية نسبة إلى صور مدينتها البحرية الشهيرة. وقد عرف اليونان أهلها لكثرة ترددهم إلى بلادهم للتجارة فسموهم سوريين وبلادهم سورية بإبدال الصاد بالسين لعدم وجود الصاد في اللغة اليونانية. وكلمة صر بالفينيقية معناها الصخر أو السور، ويرى هذا الاسم منقوشاً على المسكوكات القديمة التي وجدت في هذه المدينة[20].

أما الثاني يرى أن اليونان سموا هذه البلاد سورية نسبة إلى آسور أو أسريا بلاد الآشوريين لآن الآشوريين كانوا يتولون أعمال سورية عند استفحال أمر اليونان، فنسبوا سورية إليهم مخففين اللفظة بحذف الهجاء الأول منها، والمبادلة بين السين والشين فاشية حتى في كلمة آشور وأسور. ونرى بعض القدماء اليونان

---

[17]هبو، أحمد ارحيم: تاريخ بلاد الرافدين (من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط بابل 539 ق. م)، د.ط، منشورات جامعة حلب، 2007م. ص 19-23.

[18]مرعي، عيد: التاريخ القديم، ط7، منشورات جامعة دمشق، 2002، ص111.

[19](هيردوت، الجزء الثاني، الفصل الثاني عشر)نقلاً عن: سعد الله، محمد علي: في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر – سورية القديمة)، د.ط، مركز الإسكندرية للكتاب، 2001، ص233.

[20] الدبس، يوسف تاريخ سورية الدنيوي والديني تاريخ شعوب سورية القدماء مقالة افتتاحية ومقالتين في الحثيين والفينيقيين، ج1، دار نظير عبود، 1994، ص 31

وغيرهم يطلقون اسم سورية على ما بين النهرين أيضاً وعلى أرمينيا وبعض بلاد فارس، فكان اسم سورية مرادفاً لاسم اسيريا أي مملكة الآشوريين[21]. كما ورد في النصوص العراقية تسمية سورية باسم (امورو) إشارة إلى الغرب، وهي تقابل (مارتو) السومرية، كما ورد في حوليات (تحوتمس الثالث) اسم (خارو) كاسم عام لسورية وفلسطين، وفي أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ظهر في آداب أوغاريت بشكل (شرين Suryn)، وفي العبرية أطلق على لبنان الشرقي سيريوس (Syrus). وعرفت إحدى المناطق الواقعة شمالي الفرات باسم Suri، واسم سيروس Syrus (سورى) هو روماني، ومعناها الشخص الذي يتكلم السريانية (الآرامية)، وكانت ولاية سورية الرومانية تمتد من الفرات إلى مصر، وكانت قديماً تشمل المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط وبادية الشام، وأطلق العرب بعد الاسلام عليها اسم الشام أو المنطقة الواقعة على يسارها.[22]وتشمل التقسيمات الطبيعية لسورية قديماً :

1- المنطقة الساحلية :

تمتد على شريط ساحلي طويل مختلف العرض من خليج إسكندرون في الشمال وحتى الحدود الفلسطينية المصرية في الجنوب، قد وجدت هنا وفي العصور القديمة شروط مناسبة لنشوء موانئ مهمة مثل أوغاريت وجبيل وصيدا وصور التي تطورت إلى مدن وممالك مزدهرة، كانت هذه المنطقة مهمة بشكل خاص للتجارة البحرية لذلك سعت القوى الكبرى في الشرق القديم إلى استمرار السيطرة عليها، أو مراقبتها على الأقل.

---

[21] الدبس، يوسف: تاريخ المرجع السابق،ص 32

[22]سعد الله، محمد علي: المرجع السابق، ص234.

2- المنطقة الجبلية:

تشمل الجبال الساحلية التي تسير بشكل موازٍ للساحل في اتجاه شمال جنوب، وبعض الجبال الداخلية، واشتهرت الجبال الساحلية بغناها بالأشجار الإبرية كالأرز والسرو والصنوبر وغيرها، لذلك تذكرها كثيراً المصادر الرافدية وبخاصة كهدف للحملات العسكرية وأشهرها جبال الأمانوس ولبنان والحرمون[23].

3- منطقة السهول والبادية:

تمتد هذه المنطقة شرق المنطقة الجبلية الساحلية وحتى الفرات، وفيها قدمت السهول الشمالية الخصبة حول حلب شروطاً مناسبة للاستيطان والزراعة، فمارس الإنسان زراعة الحبوب على نطاق واسع، ومن هنا كانت تصدر الحبوب أحياناً إلى مناطق أخرى، ونشأت في هذه المنطقة مراكز استيطان مهمة تطورت مع الزمن إلى دول قوية. أما السهول الوسطى حول حماه وحمص فقد نمت أيضاً وتحولت إلى مركز لدول قوية. أما منطقة البادية فكانت موطن العديد من القبائل البدوية وشبه البدوية التي تتخذ من رعي الأغنام مصدراً لحياتها.

إن موقع سورية الجغرافي المميز وغناها الطبيعي بكثير من المواد والمنتجات جعلها هدفاً ليس فقط للحملات التجارية بل أيضاً للحملات العسكرية من الدول والممالك المجاورة التي حاولت أن تخضعها لسيطرتها.[24] وهذا ما تبلور في عصرنا الحالي، فما هذه الحملة الشرسة من قبل ستٍ وثلاثين جنسية مختلفة من البشر وتكالبهم لزرع الإرهاب والخراب في سورية إلّا تأكيداً على أهمية الدور الذي تجسده سورية وموقعها الهام في قلب العالم.

---

[23] مرعي، عيد: المرجع السابق، ص 112.

[24] مرعي، عيد: المرجع السابق، ص112.

كما تشغل مصر الوادي الضيق للنيل المحاط بالجبال من الغرب والشرق، يتراوح عرض الوادي بين 15–25كم، تفصله الجبال الغربية عن الصحراء، المسماة في العصر القديم الصحراء الليبية، خلف الجبال الشرقية يمتد شاطئ البحر الأحمر. وفي الجنوب تقطع مجرى النيل سيول تجعل الإبحار صعباً وتعزل (مصر) عن بلدان الجنوب، وفي الشمال يعرض الوادي وينتهي بدلتا النيل، وفي الماضي كانت المنطقة غير مزروعة مستنقعية ومحرومة من الموارد الملائمة[25].

يمتاز الوضع الجغرافي لوادي النيل بأنه يوفر له مكاسب ضخمة مقارنة مع بلاد الرافدين – ميزوبوتاميا– الجبال المحيطة به غنية بحجارة البناء: غرانيت ، بازلت، يصب نهر النيل في البحر الأبيض المتوسط، الشريان الرئيس في تجارة العصور القديمة، والزراعة هنا أكثر منها في ميزوبوتاميا[26]، ومصر نوع من الواحة في طرف الصحراء، المطر نادر جداً هنا، لكن فيضان النيل يؤمن للبلاد رطوبة كافية، فمن الطبيعي أن يقدس المصريون النيل منذ أقدم العصور.

تمثل مصر والعراق وبلاد الشام مركز الثقل السياسي في منطقة الشرق الأدنى القديم، فمن خلال دراسة تاريخ مصر الفرعونية، يمكن التعرف إلى أهم أحداث سورية للوقوف على بعض الصلات بين مصر وآشور وبلاد اليونان وجزر شرقي البحر المتوسط، كما يمكن من خلال دراسة تاريخ العراق القديم الوقوف على صلاتها مع إيران وسورية والأناضول ومصر[27].

تقي الرمال والبحر مصر من الهجمات المفاجئة، ومن هنا كان موقعها أفضل من موقع بلاد الرافدين سهلة البلوغ. على هذا لم تكن مصر بمنجى من الغزوات لكنها كانت أقل بكثير مما تعرضت له بلاد الرافدين.

---

[25] فخري، أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم (مصر – العراق– سورية – اليمن – إيران) مختارات من الوثائق التاريخية، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص101.

[26] فخري، أحمد: المرجع السابق، ص101.

[27] أحمد علي، محمد عبد اللطيف: تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، جامعة الإسكندرية، 1977،ص1.

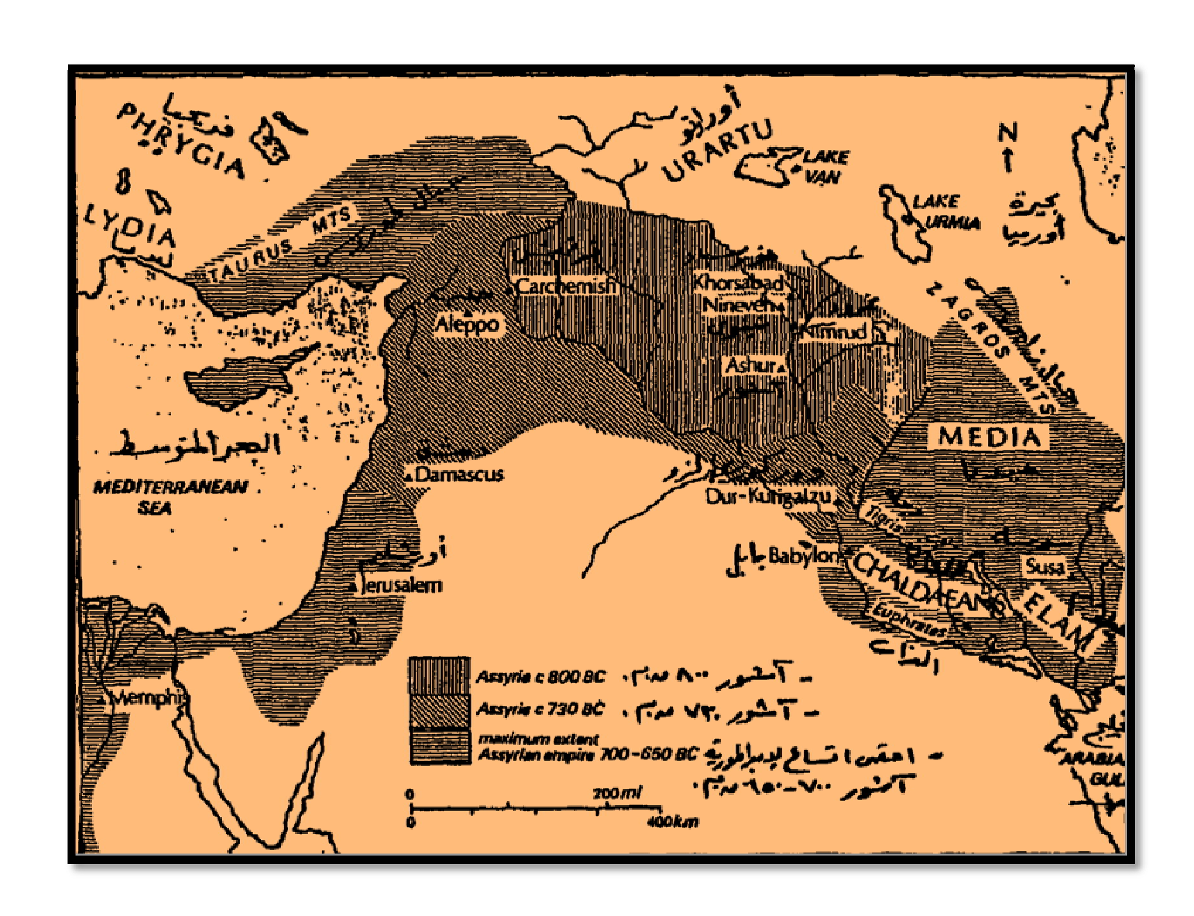
فهي لم تصب بالدمار الرهيب الذي تحطته بابل مثلاً. إنّ تاريخ آشور القديم في منطقة الرافدين يقسم بشكل أولي إلى ثلاث فترات تعرف بالآشورية القديمة وآشور الوسطى وآشور الحديثة، وهذه المصطلحات مستخدمة بشكل واسع في الدراسات الآشورية، وتقسم بلاد الرافدين بحسب طبيعتها الجغرافية إلى ثلاثة أقسام[28]

1- القسم الشمالي : ويسمى بلاد آشور

2- القسم الجنوبي : ويدعى بلاد بابل ويقسم إلى منطقتين هما سومر وأكاد

3- القسم الشمالي الغربي: ويطلق عليه اسم الجزيرة العليا .

ويبين المصور الآتي الدولة الآشورية في أقصى اتساع لها[29]:



[28] ف. دياكوف، س. كوناليف: الحضارات القديمة، المرجع السابق،ص117.

[29] السعدي، حسن محمد محيي الدين: في تاريخ الشرق الأدنى القديم العراق إيران،آسيا الصغرى، ج2، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية،1990، ص193.

المصور رقم 1: الدولة الآشورية في أقصى اتساع لها.

المصدر :السعدي، حسن محمد محيي الدين: في تاريخ الشرق الأدنى القديم العراق- إيران- آسيا الصغرى، ص193.

2. أوضاع بلاد الرافدين بداية الألف الأول قبل الميلاد:

عُرفت منطقة بلاد الرافدين بأنها منطقة يتوافر فيها أقدم الآثار والوثائق التاريخية التي تخص حياة إنسان الشرق القديم وأطولها بقاء في الزمن، وأكثرها كماً وتنوعاً وليس هناك من رقعة جغرافية أخرى في العالم مثل هذا السجل الحضاري الذي حرص إنسان الشرق القديم على تدوينه ليكون سجلاً مطرداً استمر أكثر من خمسة آلاف سنة وربما أكثر بكثير، وهذا ما أكدته الآثار الكتابية واللقى الأثرية في بلاد الرافدين وخارج بلاد الرافدين، حيث وقع علماء الآثار على رقم وكتابات مختلفة ذات صلة وثيقة ببلاد الرافدين وتاريخها السياسي والحضاري في مناطق تقع على تخومها أو تبعد عنها مسافات طويلة كـ (إبلا) الواقعة إلى جنوب غرب حلب (تل مرديخ) حيث عثرت بعثة إيطالية بإشراف باولو ماتييه عام (1974-1975م) على محفوظات القصر الملكي وتعد أهم ما عثر عليه من وثائق مكتوبة خارج بلاد الرافدين[30]، كما أن المنطقة لا تزال تحتفظ في باطن أرضها بالكثير من الآثار والوثائق التي لم تكشف عنها معاول رجال الحفائر حتى الآن. فإذا كانت مصر بآثارها المتنوعة تعتبر متحفاً مفتوحاً فإنَّ بلاد الشرق القديم تعتبر متحفاً عالمياً مترامي الأطراف، وإنها منطقة نشوء للحضارات القديمة، فظهرت فيها حتى الآن أولى وأقدم الحضارات التي عرفنا عنها معظم أو أغلب مظاهرها نظراً لأصالتها، فكانت مهداً حضارياً توصل فيه إنسان الشرق إلى أقدم المعارف والتجارب والمظاهر أكثر مما حققه الإنسان في بقية مناطق حضارات العالم القديم

[30]هبو، أحمد ارحيم: تاريخ بلاد الرافدين (من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط بابل 539 ق. م)، المرجع السابق،ص53.

مثل حضارات: بحر إيجه (المينوية) واليونان والهند والصين واليابان وكوريا والمكسيك والمايا، واليوقاطية والأندى (الأربعة الأخيرة في أمريكا الوسطى والجنوبية)[31].

كما خلف إنسان الشرق القديم للأجيال التالية تراثاً حضارياً غنياً بالنظم الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والأفكار الدينية والمعارف في الحياة الثقافية والعلمية وأساليب التعليم والإبداع في الحياة الفنية والتنوع في مجال العلاقات الخارجية.

لقد تطور علم الدراسات الشرقية القديمة Altorientalistikعن علم الدراسات الآشورية Assyriologie الذي مازال يحمل هذه التسمية إلى اليوم في الغالب، وهو العلم الذي يعنى ببلاد الرافدين التي نشأت فيها قبل نحو خمسة آلاف سنة أقدم أشكال الكتابة الإنسانية التي عرفت بالكتابة المسمارية Keilschrift، وهو يركز على حضارة بابل وآشور ومناطق انتشارها الواسعة[32]، والدويلات الآرامية ومنهم:

2.1. دويلات بيت آديني:

يقع على ضفتي المنعطف الكبير لنهر الفرات، وعاصمتها(تل برسيب)[*]، ومكانها حالياً (تل الأحمر)، ويتبعها عدد من المدن المهمة التي تنتشر شرقاً، وبعد انتصار شلمانصر الثالث عى ملك

---

[31] بابلون، أرنست: الآثار الشرقية (حضارات كلدية وآثور وبابل وسورية وفينيقية واليهودية وقرطاجة وقبرص)، تر: مارون عيسى الخوري، ط1، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، 1987، ص7.

[32]زودن، ف. فون: مدخل إلى حضارات الشرق القديم، تر: فاروق اسماعيل، ط1، دار المدى، دمشق، 2003، ص10.

[*]**تل برسيب:** هي موقع تل الأحمر حالياً، على الضفة الشرقية لنهر الفرات، على بعد 20 كم، جنوبي جرابلس وهي في النقوش اللوفية تسمى ماسوريﻳ، نظر: Del olmolete. G, and Montero fenollos. J. L, **Archaeology of the upper Syrian euphratas the tishrin dam area, proceedings of the international symposium held at Barcelona**, Jamuary 28 TH- 30 TH, 1998, pp613-614.

اللوفيون أو اللوييون: هم شعب هندو أوربي تغلغل خلال الألف الثالث قبل الميلاد في منطقة آسيا الصغرى قدماً ربما من أوروبا، وفي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد أصبحت منطقة اللوفيون جزءاً من الامبراطورية الحثية وتعد اللغ اللوفية من عداد مجموعة اللغات الحثية، إذ تمثلها كتابات وجدت في كليكيا وكبدوكيا وسورية الشمالية تعرف بالكتابات الحثيةﻳ، نظر: عبودي، هنري س: معجم اللغات السامية، ط2، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، 1991، ص 513.

الكتابة اللوفية الهيروغليفية: شاع هذا النظام الكتابي بشكل أساسي عند الحثيين وشمالي سورية بين (1200–700 ق.م)، وهي كتابات تدّون من اليمين إلى اليسار وتبدو مشابهة لنظم الكتابة الهيروغليفية المصرية والكلايتية، لكنها ليست ذات صلة بهاﻳ، نظر: اسماعيل، فاروق: الحثيون وحملاتهم على سورية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 81–82، 2003، ص10.

بيت آديني في عام 858 ق.م، أطلق عليها (قلعة شلمانصر). وكانت دويلة بيت آديني أقوى دويلة في شمال بلاد الرافدين، حيث كانت تشغل مركزاً استراتيجياً على الطريق بين حران* وسورية، أي تتحكم بمعابر نهر الفرات، حيث هذا الموقع جعلها تسهم في إشعال الثورات بين الدويلات الآرامية ضد الدولة الآشورية، مما دفعها إلى تأديب مملكة بيت آديني، وإجبارها على دفع الجزية، وانتهى الأمر بأن تغلب شلمانصر الثالث على ملكها (أخوني)، وضمها إلى الإمبراطورية الآشورية[33].

2.2. دويلة بيت بخياني:

وكان مركزها مدينة جوزانا* (تل حلف حالياً عاصمة لها، وهي تقع غربي رأس العين، اكتشفها فون أوبن هايم منذ عام1911م[34]، إذ ظهرت فيها نقوش آشورية احتوت وثائق تجارية، وإدارية[35]، إذ توجد معظم الوثائق والآثار في متحف اللوفر في فرنسا)[36]. وإلى الشرق في أعالي رافد الخابور، تأسست عدد من المدن الآرامية، من أهمها(نصيبين)*، و(خوريزانا) و(جيدارا).

هنا لا بدَّ من التنويه لما تعرضت له هذه المنطقة من نهب للآثار والوثائق من أجل طمث تاريخها الحضاري، وحصول قطيعة بين الماضي والحاضر على أيدي غزاة الحضارات (تحت مسمى داعش

***حران:** مدينة قديمة يعرف موقعها الحالي بنفس الاسم، تقع قرب منبع نهر البليخ في تركيا بالقرب من الحدود السوريةيُ نظر: مرعي، عيد: حران في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مجلة دراسات تاريخية، العددان 107–108، 2009، ص3.

[33]Del olmolete. G, op,cit, p608-609

***جوزانا:** تقع في أطلال تل حلف حالياً، في محافظة الحسكة، على بعد ثلاثة كيلومتر إلى الغرب من بلدة رأس العين عند منابع نهر الخابور، يُ نظر: أبوعساف، علي: مملكة بيت بخياني الآرامية، مجلة دراسات تاريخية، العدد السادس، 1981، ص 148.

[34] خولديس، نادية؛ مارتن، لوتس: تل حلف، تر: فاروق اسماعيل، دمشق، 2006، ص29.

[35] أبو عساف، علي: مملكة بيت بخياني، مجلة دراسات تاريخية، العدد السادس، دمشق، 1981، ص147.

[36] أبو عساف، علي: المرجع السابق، ص148.

***نصيبين:** هي من الأسماء الشهورة في سورية، وهناك ستة أماكن تقريباً تحمل نفس الاسم، ولكن هذه المدينة تقع في شمال سورية بالقرب من مدينة القامشلي على الحدود التركيةيُ نظر: الحلو، عبد الله: تحقيقات تاريخية ولغوية في الأسماء الجغرافية السورية، ط1، دار بيسان، بيروت، لبنان، 1999، ص541.

التي صنعها الصهاينة والغرب)،وزرعها في بلادنا لتعيس فساداً ودماراً لطمس معالم حضارتنا الغابرة.

أوضاع سورية في الألف الأول قبل الميلاد:

ثمة حقيقة تؤكد أنه لا يمكننا دراسة تاريخ أي بلد من بلدان الشرق الأدنى القديم بمعزل عن دراسة تاريخ البلدان الأخرى لأَن الأحداث لا سيما ببلدان هذه المنطقة يرتبط الواحد منها ارتباطاً وثيقاً بالآخر، وأن العلاقات الحضارية وثيقة وثوقاً أعمق من أسباب القرب الجغرافي التي تمتد جذورها إلى فجر التاريخ عندما نشأت في هذه البقاع حضارات الإنسان الأصلية. إن الصلات السياسية كانت قد ازدادت اتساعاً على إثَر الغزوات والفتوحات، وذلك جراء التفاعل بين تلك الدول[37].

يتسم تاريخ سورية خلال الألف الأول قبل الميلاد بسيادة مجموعتين سكانيتين كبيرتين هما الآراميون والكنعانيون، حيث هم كنعانيو الساحل الذين سموا بلادهم كنعان وأنفسهم كشعب (الصيداويين) نسبة إلى مدينة صيدا .

استقرت مجموعة دويلات المدن الكنعانية على امتداد شاطئ البحر المتوسط، وقيام مجموعة من دويلات المدن الآرامية على امتداد ساحة سورية الداخلية[38]، كان لها دور بارز بالتجارة والملاحة البحريتين. ووجود المؤابيين والعمونيين والأدوميين في مناطق فلسطين والأردن، حيث ساعد الضعف الذي حل ببعض الدول الكبرى التي كانت فاعلة على الساحة السورية في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وهي (مصر والدولة الآشورية)[39]، أو القضاء على دول نتيجة هجوم شعوب البحر كـ (الإمبراطورية الحثية*)، على قيام مجموعة

---

[37] باقر، طه: علاقات العراق القديم وبلدان الشرق الأدنى، مج4،ج1، العراق، 1948، ص86.

[38] أحمدعلي، عبد اللطيف: محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، طبعت بكتب كريديه إخوان، بيروت، 1971، ص150.

[39] فخري، أحمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم (مصر – العراق– سورية – اليمن – إيران) مختارات من الوثائق التاريخية، المرجع السابق، ص102.

* **الحثيون:** ترجع أصول الحثيين إلى شعوب هندو أوربية كانت انطلقت منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد من السواحل الشمالية للبحر الأسود نحو البلقان والأناضول. وقد استقرت بعض هذه القبائل ما بين 2300– 2000 ق.م في وسط الهضبة الأناضولية شرقي نهر الهاليس (قيزيل

الدويلات هذه وازدياد مكانتها نتيجة دورها الرئيسي في عمليات التجارة الدولية (تجارة المرور وذلك بسبب وقوع أغلب هذه الدويلات على طرق القوافل التي كانت تمر من سورية أو في نهاية هذا الطريق على شاطئ البحر المتوسط قبل أن تتابع إلى بلدان أخرى[40]).

الآراميون هم مجموعات قبلية كانت تجوب بقطعانها بادية الشام منذ عصور مبكرة حيث تذكرهم نصوص مختلفة تعود إلى فترات تاريخية قديمة ولكنهم بدؤوا بالظهور كقوة سياسية اعتباراً من القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وذلك بعد انتقالهم إلى حياة الاستقرار والتحضر وإمساكهم بزمام السلطة في أجزاء عديدة من سورية وبلاد الرافدين، بالتأكيد حدث هذا بسرعة نتيجة استيطان قبائل آرامية في تلك المناطق منذ قرون[41].

يمثل الآراميون الموجة الثالثة من الهجرات السامية[42]* التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية وهذا ما يتفق عليه المستشرقون إذ يبرز منهم بروكلمان وريبنان ورايت كما جاء في كتاب معالم حضارة الساميين

إرمق حالياً).وقد أطلق اسم الحثيين على هذه الشعوب وهذا الاسم الذي يطلق أصلاً على الشعوب والقبائل المحلية المقيمة في الأناضول قبل قدوم الأوربيين وكانوا يدعون بالحاتين وبلادهم ببلاد حاتي. ولكن تاريخ هذا الشعب بدأ يتضح بصورة أفضل بعد أن أخذ يحتل موقعه بين القوى الجديدة منذ القرن السابع عشر قبل الميلاد عند تأسيس المملكة الحثية القديمة وبخاصة في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد. ويستنتج من الشواهد المتوافرة أن أسرة حاكمة بدأت تتكون نحو القرن العشرين قبل الميلاد في كوسار.ومن المؤكد أن أول اسم معروف تاريخياً من ملوك هذه الأسرة هو لابارنا وقد وسع ابنه حاتوشيلي مملكته إلى شمال سورية.وقاد الابن المتبنّى لهذا الأخير وهو مورشيليش (مورسيل) حملة صاعقة على سورية وبلاد الرافدين ووصل فيها إلى بابل نحو 1595 ق.م. ويعد دخول الجيش الحثي إلى بابل في نحو ذلك العام بداية عصر من القلاقل والاضطرابات زعزعت أركان بلاد الرافدين والشرق الأدنى القديم وأدت إلأى تغيرات جذرية فيه يُ نظر: فرزات، محمد حرب؛ مرعي، عيد: دول وحضارات في الشرق العربي القديم (سومر وأكاد، بابل وآشور، أمورو وآرام)، ط2، دار طلاس للنشر، دمشق، 1994، ص173وأيضاًُ نظر: باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة، ج2، مصر القديمة – جزيرة العرب– الفرس– اليونان– الرومان، ط1، دار المعلمين العالمية، بغداد– العراق، 1951م، ص18.

[40]قابلو، جباغ؛ فرعون، محمود: تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، منشورات جامعة دمشق، 2009، ص195.

[41] مرعي، عيد: التاريخ القديم، المرجع السابق، ص 144.

*الساميون: نقصد بتسمية الساميين كل الشعوب التي كانت تتحدث باللغات السامية، وقد شاع منذ زمن طويل أن الموطن الأصلي للساميين كان في الجزيرة العربية التي أضحت مبكراً المركز الذي انطلقت منه الهجرات الساميةيُ نظر: زودن ، ف. فون: مدخل إلى حضارات الشرق القديم، تر: فاروق إسماعيل: المرجع السابق، ص25). ويرى العلماء أن فكرة (السامية) لا تصلح إلا في الميدان اللغوي، ولا يمكن على نحو صحيح إطلاقها على شعوب أو صور من الحضارة. ولكن نادى آخرون بعكس ذلك، مؤيدين دعواهم بالإشارة إلى (الشبه العائلي) الملحوظ في النظم الاجتماعية والدينية للشعوب التي تتحدث باللغات السامية. ولكي نبت في هذا الأمر، علينا أن نجد ملول الشعب. فعلم الأجناس الحديث يعّرف الشعب بأنه

وتاريخهم في سورية وبلاد الرافدين لأحمد ارحيم هبو[43]، وكان خروجهم منها في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد[44]، حيث اتجهوا نحو بلاد الشام، حيث توغلوا في شمال ووسط سورية ثم استقروا في المناطق التي تتميز بخصوبة أراضيها وذلك خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد[45].

يرى بعض المؤرخين أن الموطن الأصلي للآراميين كان في البادية السورية (بادية الشام) أو فيما يعرف بمنطقة الهلال الخصيب*[46]. يتفق هذا الرأي مع ما جاء في التوراة، إذ أن النشأة الأولى للآراميين كانت في بلاد(أبناء الشرق)، يقصد بها الصحراء الواقعة بين شرقي فلسطين، وهي البادية السورية.[47]

هكذا كان الآراميون، قبل أن يستقروا في مواطنهم الجديدة ويكوِّنوا إماراتٍ ودويلاتٍ صغيرةً منتشرين في البادية انتشاراً واسعاً حيث كانوا ينتقلون بين نجد في الجنوب وحدود الشام في الشمال ونهر الفرات في

مجموعة من الأشخاص الذين يختلفون في الجنس والموطن الأصلي، ولكنهم ممتزجون في وحدة متجانسة بفضل وحدة المسكن واللغة والتقاليد التاريخية والحضارية. (يُنظر: موسكاتي: سبتينو، الحضارات السامية القديمة، تر: يعقوب السيد، محمد القصاص، د.ط، دار الرقي، بيروت، 1986، ص 48-49). واتفق الكثير من العلماء على ترجيح مجيء العناصر السامية من شبه الجزيرة العربية لأسباب عديدة منها الكتلة الصحراوية الضخمة وفترات الجفاف، الهجرات المعروفة ومنها هجرة القرن السابع الميلادي يُنظر: سعدالله، محمد: في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر- سورية القديمة)، المرجع السابق،ص233. (**الساميون:** هو مصطلح أوربي ويفضل استخدام مصطلح الجزيريون حالياً بناء على رأي الباحثين العرب بعد الاسلام). يُنظر: قابلو، جباغ؛ فرعون، محمود: تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، المرجع السابق، ص15.

[43] هبو، أحمد ارحيم: معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سورية وبلاد الرافدين، ط1، دار القلم العربي- دار الرفاعي، سورية، حلب، 2003، ص88.

[44] عصفور، أبو المحاسن: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1987، ص166_167.

[45]أحمد علي، محمد عبد اللطيف: محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق،ص150.

***الهلال الخصيب:** أطلق المؤرخون وعلماء الآثار والجغرافيا ما يسمى (الهلال الخصيب) على المناطق الممتدة بين طرفي القدس الجبلي الواسع الذي يتكون من جبال إيران الغربية (زاغروس وكردستان) في الشرق وسلال جبال طوروس في الشمال، والأمانوس، والعلويين، ولبنان في الغرب، وهي مناطق معروفة بخصوبة وديانها وسهولها ووفرة مياهها، إذ تجري فيها أنهار كبيرة غزيرة المياه كنهري دجلة والفرات في الشرق والوسط بروافدها المتعددة ونهر العاصي، والليطاني والأردن في الغرب ويقسم الباحثون الهلال الخصيب: إلى منطقتين رئيسيتين هما: بلاد الرافدين أو (العراق) وبلاد الشام أو(سورية). يُنظر: هبو، أحمد ارحيم: تاريخ بلاد الرافدين (من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط بابل 539 ق.م)، المرجع السابق، ص18.

[46]هبو، أحمد ارحيم: المرجع السابق، ص18.

[47]إسماعيل، حلمي محروس: الشرق العربي القديم وحضارته – بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، 1997، ص160.

الشرق وخليج العقبة في الغرب، أما متى تمت هذه الهجرة الآرامية فليس لدى العلماء أدلة تصل إلى حد اليقين بالنسبة لهذه المشكلة وإن كان البعض يرجح أن تكون قد نمت قبل القرن الرابع عشر قبل الميلاد[48].

خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد حدثت تغيرات مهمة في المشرق العربي القديم أهمها: تخلص مصر من حكم الهكسوس* وعودتها للتدخل بقوة في الشؤون السورية، ثم تخلصها من الحثيين الذين استجمعوا قواهم من جديد في الأناضول فعاودوا الكرّة لمد نفوذهم إلى سورية وبخاصة منذ عهد شوبيلوليوما الأول (1380–1346 ق.م)، مما أدى إلى اصطدامهم مع المصريين، أما الكاشيون*، فقد ثّبتوا حكمهم في وسط بلاد الرافدين وجنوبه، أما الآشوريون فقد بدؤوا نشاطهم العسكري في شمال بلاد الرافدين وذلك

---

[48] المشعل، أحمد: الإمارات الآرامية في منطقة الفرات الأوسط، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة في كلية الآداب – جامعة دمشق، 2012، ص 46.

*الهكسوس: حفظ المؤرخ فلافيوس يوسيفوس في كتابه " تاريخ يهودا"مقطعاً منقولاً عن مانيتون، المؤرخ المصري، يصف فيه غزو الهكسوس لمصر فيقول: (بدون توقع أناس من عرقٍ غير معروف، جاؤوا من الشرق وكانت لديهم الشجاعة على مهاجمة بلادنا (أي مصر)، وفتحوها دون صعوبات ودون معركة، ودمروا المدن ومعابد الآلهة بوحشية.قتلوا جزءاً من السكان وحولوا جزءاً إلى عبيد. سمى هذا الشعب كله هكسوس أي (ملوك الرعاة)، فـ حيق Hyq تعني في اللغة المقدسة (ملوكاً) وسوس في اللغة العامية (رعاة)، اتحاد الكلمتين يعطي هكسوس. إن تفسير مانيتون هذا صحيح جزئياً ، فكلمة حوقا Hoqa مأخوذة من حيقا Heqaقائداً ، أميراً . وسوس لا تعني خاسو Chasu:بدوياً، بل هي اختصار لكلمة خاسوت Chasu : غريب. وبالتالي يكون معنى هكسوس (قائداً أو حاكم الغرباء). لم يكن الهكسوس ينتسبون إلى عرق واحد، بل كان الأمر يتعلق باتحاد غير متجانس لسكان غربي آسيا (كنعانيين – أموريين الذين طردوا من مناطقهم نتيجة هجرات الحوريين إلى شمال بلاد الرافدين وشمال سورية)، كان التغلغل الحقيقي للهكسوس في مصر مابين 1720–1700 ق.م وبعد أن استقر الهكسوس عام 1720ق.م في الدلتا احتاجوا ستاً وأربعين سنة أخرى حتى وصلوا إلى ممفيس. بعد أن سيطروا على هذه المدينة شعروا أنهم حكام شرعيون لكل مصر. ويعد هذا بداية الأسرة الخامسة عشرة. حيث سموا (الهكسوس) أحدهم ملكاً واسمه ساليتيس Salitis وطرد الهكسوس على يد أحمس الأول Ahmose I الذي تابع النضال ضد الهكسوس بعد وفاة أخيه كاموس، ووصل حتى الدلتا حيث حاصر أواريس حتى سقطت نحو 1560 ق.م، ثم قام بمهاجمة قواعد الهكسوس وحصونهم في فلسطين، فدمر حصونهم في شاروهين (جنوب غرب فلسطين) وشكيم (بالقرب من نابلس). بعد استمرار حكمهم نحو 130 عام حيث تركوا خلفهم حضارة عريقة. ويعد أحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة التي يبدأ فيها عصر الدولة الحديثة. انظر: مرعي، عيد، التاريخ القديم، ط3، منشورات جامعة دمشق، 2002، ص193. أيضاً انظر: أحمد، محمود عبد الحميد، دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، ط1، منشورات جامعة دمشق، 1996م، ص 123–124.

*الكاشيون: هم من الشعوب الجبلية التي انحدرت من جبال زاغروس إلى بلاد بابل ثم استولوا على السلطة في بلاد بابل بعد سقوط الدولة البابلية القديمة (1530–1150 ق.م)، انظر: كونه، هارتموت، وآخرون، الأختام الأسطوانية في سورية بين (3300–330 ق.م)، دليل معرض جامعة توبنغن11، تر: علي أبو عساف وقاسم طوير، معهد اللغات الشرقية القديمة في جامعة توبنغن– ألمانيا، 1980م، ص187.

بالتخلص من السيطرة الحورية – الميتانية*، وانتهجوا لأنفسهم سياسة خارجية مستقلة خاصة بهم، تمثلت بإرسال الملك الآشوري آشور أوباليط الأول (1363–1328 ق.م)، مما أثار حفيظة الكاشيين والحوريين الذين كانوا يعتبرون الآشوريين أتباعاً لهم. ويشتكي حاكم دلمون (دولة البحرين حالياً) في رسالة أرسلها إلى حاكم نيبور* من نهب تمور بلاده من قبل الأخلامو. في هذه الفترة تقريباً يبدأ اسم قبائل الأخلامو بالظهور في وثائق الدول التي ذكرناها سابقاً. إذاً في هذه الفترة بدؤوا يشكلون خطراً على بلاد الرافدين ويثيرون القلاقل ويهددون استقرار المنطقة وأمنها. ففي إحدى وثائق تل العمارنة* يرد ذكرها من قبل أحد ملوك بابل مرتين بصيغتين(ahlamai, ahlama)[49] أما عن تسمية آرام التي تعني غالباً سكان البلاد المرتفعة، وهي تسمية تطلق على إحدى الشعوب السامية رأى البعض أنها تعني اسم إله هذه الفئة من الشعوب هي التي انتشرت في منطقة الهلال الخصيب، وإن كان بعضهم يتجه إلى القول إنَ الذين حملوا اسم آرام وأطلقوه على السكان الآراميين في سورية، إنما هم الحثيون الذين كانوا على اتصال بأراضي أعالي الدجلة والفرات، ثم سيطروا على سورية وفي تلك الأثناء نقلوا الاسم إلى سورية من أعالي الدجلة و الفرات[50].

*__الميتانيون:__ طبقة حاكمة من أصل هندو جرماني، أسسوا دولتهم الميتانية في سورية الشمالية وجنوبي الأناضول، وعاصمتهم واشوكاني التي لا تزال مجهولة الموقع، وربما كانت في موقع تل الفخيرية في رأس العين في الحسكة، نظر: كونه، هارتموت؛ وآخرون: الأختام الأسطوانية في سورية بين (3300–330 ق.م)، المرجع السابق، ص187.

*__نيبور:__ مدينة نيبور هي عاصمة بلاسومر الدينية في اللف الثالثة قبل الميلاد وموقعها الحالي يعرف باسم نُفر على بعد مئة وخمسين كيلو متراً جنوب شرقي بغداد، نظر: مرعي، عيد: رحلة في علم الآثار" آثاريون ومدن أثرية، ط1، دار روافد للثقافة والفنون، دمشق– سورية، 2010م، ص280.

*__تل العمارنة:__ هو موقع مدينة أخت أتون التي بناها الفرعون أمنحوتب الرابع (أخناتون) على نهر النيل (في شمال مدينة أسيوط الحالية)، ليتخذها عاصمة لدولته بدلاً من مدينة طيبة، وتعود شهرة هذا الموقع إلى اكتشاف مجموعة من الرسائل المكتوبة على الألواح الطينية وبالكتابة المسمارية واللغة الأكادية، التي أرسلها أمراء سورية وفلسطين وملوك آشور وبابل وميتاني والحثيون إلى الفرعونين المصريين أمنحوتب الثالث وأمنحوتب الرابع، وعددها (387 رسالة) وتعرف بمراسلات تل العمارنة حالياً، نظر: مرعي، عيد، رحلة في علم الآثار" آثاريون ومدن أثرية، المرجع السابق، ص166.

[49] قابلو، جباغ: الأخلامو حتى مطلع القرن الحادي عشر قبل الميلاد، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج45و46، دمشق– سورية، 2002–2003م، ص84.

[50] سليم، أحمد أمين: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (سورية – بلاد العرب)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991،ص59–60.

كلمة آرام تعني الأرض المرتفعة وقد نسب إليها أحد الأقوام السامية الذين شغلوا دوراً مهماً في التاريخ القديم حين فرضوا لغتهم على جميع بلاد الشرق الأدنى القديم حتى أصبحت لغة السياسة والدبلوماسية ولغة الرسائل والثقافة وكتبت بها التوراة[51]، ومن أصدق الوثائق فيما يتعلق بالنصف الثاني من الألف الثاني فهناك نقش للملك الآشوري أرك- دين- الـ (Arik-den-ilu) يتحدث عن انتصاراته على جماعة (أخلامو) Akhlamu[52]، ويرد هذا الاسم، أيضاً ، في تاريخ خلفائه من الملوك حتى نصل إلى تيجلات بلاصر الأول، فنجده يعلن أنه هزم الأخلامو- الآراميين الذين جاؤوا من الصحراء مغيرين على ضفاف الفرات، وكان أخلامو قد يكون معناها (المتحالفين) فهنا يبدو أن الآراميين كانوا جزءاً من هذا التحالف، وهذا يعني أن الأخلامو أصبحوا قوة تعمل لصالح الدول المجاورة، فهي تحارب الآشوريين وقد أعطت الحوليات الآشورية أهمية كبيرة للغزوات الآرامية التي ربما كانت إحدى الأسباب الرئيسية لفقدان السيطرة في الجزيرة العليا، وفي نقوش تيجلات بلاصر الأول (1114-1074ق.م)[53]، يصف اسم الأخلامو آراميين كمحاربين وقد هدد هؤلاء البدو السكان المقيمين والقوافل التجارية وهذا ماجعلهم يظهرون أنهم العدو الأول للآشوريين حيث كانت المواجهة الأولى بين الآراميين والآشوريين في العصر الآشوري الوسيط، فقد كان الآشوريون يحاربون الآراميين في وادي الفرات، لإعادة مجد أسلافهم على الفرات الأوسط [54]حيث تقول الحولية: (بدعم الإله آشور سيدي، أخذت عرباتي وجنودي وذهبت إلى الصحراء، وسرت ضد الأخلامو الآراميين، أعداء الإله آشور سيدي، غنمت من طرف أرض سوخي إلى مدينة كركميش إلى أرض خاتي في يوم واحد، قتلتهم ورجعت حاملاً غنائمهم، ثرواتهم وخيرات لا تحصى، جنودهم فروا من أسلحة الإله آشور، سيدي، عبرت الفرات وراءهم على

[51]عثمان، عبد العزيز: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر الحديث، لبنان، 1966، ص 413.

[52]أبو عساف، علي: الآراميون، د.ط، دار الأماني، سورية، 1988، ص34-39.

[53] D, Agostion, Anacleto, **The Assyrian- Aramaean inferaction in the upperkhabvr; the archaeological evidence from tell barri Iron agelayers**, Syria, archeolgie, art, et histoire, tom86, anneeK 2009, p.18.

[54] D, Agostion, Anacleto, **The Assyrian- Aramaean inferaction in the upperkhabvr; the archaeological evidence from tell barri Iron agelayers**, , op. cit, p.18.

طوافات*(مصنوعة من جلد الماعز) استوليت على ستة من قواتهم على سفوح جبل بشري، وخربتهم وجلبت غنيمتهم، ثرواتهم وخيرات لمدينتي آشور)[55]. وبعد تيجلات بلاصر الأول نجد في المصادر الآشورية إشارات أخرى إلى الأخلامو – الآراميين، ولكن الاسم البسيط(الآراميين) يزداد وروداً، وأخيراً ينفرد بالاستعمال[56]، قبل أن يشكلوا مع مطلع الألف الأول قبل الميلاد مجموعة من الدويلات، غطت أرجاء واسعة من سورية الداخلية ومناطق الجزيرة إضافة إلى جنوب بلاد الرافدين[57].

تتفق النقوش الآشورية أن الآراميين، يظهرون في التاريخ أولاً بدواً تتفق حركاتهم وانتقال البدو الآن في مواسم معينة من أطراف الصحراء إلى المناطق المستقرة، وفيما يتعلق باتجاه حركاتهم، نجد أن الخطوط الأساسية لتوسعهم قد حددها وجود شعوب سامية وطيدة الاستقرار في الشرق والغرب في أرض الرافدين وكنعان[58]، إذ يمكن تقسيم الإمارات أو الدويلات الآرامية جغرافياً كالتالي[59]:

2.3. في الوسط والجنوب:

1. دويلة أرام النهرين:

تقع دويلة آرام النهرين وسط السهول المنبسطة بين إقليم الجزيرة والشام، كان مركزها مدينة حران، (يقصد بها نهر الفرات ورافده الخابور، حيث استقر فيها الآراميون الأوائل) التي أصبحت من المراكز المهمة للحضارة الآرامية، حيث كانت تتمتع بمركز تجاري على طريق القوافل بين نينوى وآشور

*****الطوافات:** هي قِرب المنفوخة: مصنوعة من جلد الماعز، حيث تعبأ بالهواء ويغلق فمها بخيط رفيع، وتوضع العديد منها متلاصقة ومربوطة مع بعضها البعض، ويوضع فوقها لوح من الخشب، هذه الطريقة كانت مستخدمة منذ فترة ليست ببعيدة في منطقة الفرات الأوسط في سورية وفي منطقة الأهوار في العراق، يُنظر: قابلو، جباغ: الطرق التجارية، ووسائط النقل في بلدان الشرق القديم خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، فعاليات الأسبوع الثقافي الرابع لقسم التاريخ- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 6-20 آذار 1999-2000م، ص54.

[55] Grayson, A. Kirk, **Assyrian rulers of the early first millenniumB.C(1114-859)B.C**, volume I, 1991,P.230.

[56] سعد الله، محمد علي: في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر– سورية القديمة)، المرجع السابق، ص 249.

[57] قابلو، جباغ؛ فرعون، محمود: تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، منشورات جامعة دمشق، 2009، ص 195–196.

[58] سعد الله، محمد علي: المرجع السابق، ص 249.

[59] اسماعيل، حلمي محروس: الشرق العربي القديم وحضارته – بلاد مابين النهرين والشام والجزيرة العربية، المرجع السابق، ص162–166.

وبابل ودمشق وصور، فمن هذه المنطقة بدؤوا في الانتشار. ومنها مصدر المعلومات حول تكوين الدولة الآشورية[60]، لقد استمرت هذه الدويلة حتى القرن التاسع قبل الميلاد، وتعرضت لهجمات الآشوريين والكلدانيين[61].

2. دويلة أرام دمشق:

كانت عاصمتها (دمشق)، لقد تأسست هذه الدويلة في أواخر القرن الحادي عشر، أو القرن العاشر قبل الميلاد وكانت معاصرة تقريباً تأسيس مملكة العبرانيين، حيث جاء في التوراة أن أحد ضباط ملك صوبا الآرامية ويدعى (رزون) قد تمرد على ملكه وتحصن مع عدد من جنوده في أحد الأدغال، وبعد ذلك انطلقوا إلى دمشق، حيث أعلن رزون نفسه ملكاً عليها، استمر في النضال ضد العبرانيين، الذين كانوا يحاولون السيطرة على هذه المنطقة[62]، فسرعان ما تطورت دويلة دمشق وأخذت إمكانياتها وقواها تنمو بسرعة حيث يرجع ذلك إلى بعدها حتى ذلك الوقت عن أخطار الغزو الآشوري الذي تعرضت له مراراً الممالك الآرامية الشمالية، كما استفادت من التوتر الذي قام بين مملكتي القدس في الشمال ويهودا في الجنوب في فلسطين المجاورة منذ القرن التاسع قبل الميلاد. وقد أصبحت دويلة دمشق مملكة كبرى، تمتد من الفرات شرقاً، إلى نهر اليرموك غرباً، وتتاخم الآشوريين في الشمال، وأرض العبرانيين في الجنوب[63].

ففي أثناء الصراع بين الدولتين العبرانيتين طلب (آسا) ملك مملكة (يهودا) العون والدعم من الملك الآرامي في دمشق لصد الغارات التي كان يشنها على بلاده ملك مملكة (فلسطين)، ويدعى

---

[60] ليفراني، ماريو: توسع الإمبراطورية الآشورية في منطقتي الخابور والفرات الأوسط ، تر: شوقي شعث، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج34، منشورات وزارة الثقافة المديرية العامة للآثار والمتاحف ، 1984م. ص282.

[61] أبو عساف، علي: الآراميون، المرجع السابق، ص34-39.

[62] Eva strommenger, **Tilbarsipc in: From Ebla to Damascus**, op. cit, p.330.

[63] Harveyweiss, **From Ebla to Damascus, smihonian int, washi ngton D.C**,1985, pp.263-345.

(بعشا) بقصد ضمها إلى مملكته وبعث ملك يهودا هدايا ثمينة من الفضة والذهب إلى ملك دمشق بن حدد طاب بن خريون وذلك اعترافاً بالجميل الذي أسداه إليه، كما يذكر أن ملك دمشق قد استغل النزاع القائم بين المملكتين العبريتين، وقام بمهاجمة مملكة فلسطين المجاورة، وتكرر ذلك في عهد ملك فلسطين (عمري) والملك (آحاب)، وفرض ملك دمشق الجزية على مملكة فلسطين، حيث امتد نفوذ ملك دمشق إلى شمال سورية وخاصة حلب، حيث كان يتدخل في الصراعات التي كانت تنشب بين الحين والآخر بين الإمارات الآرامية، وعثر على سلة بالقرب من مدينة حلب نقش عليها اسم ملك دمشق بن حدد بن كاب ابن حزي، وعليها صورة لإله الفينيقيين (ميلقارت)[64].

كان ملك دمشق على رأس تحالف المدن الآرامية في سورية ضم اثني عشر ملكاً ضد الملك الآشوري شلمانصر الثالث الذي لم يحقق انتصاراً حاسماً على هذا الحلف، في موقعة (قرقرة)[*] الشهيرة التي تقع في منطقة حماه على نهر العاصي[65] التي جرت في عام (853 ق.م)[66]عانى فيها الآراميون من خسائر فادحة في الأرواح، حيث ضاقت ساحة المعركة بجثثهم، وخسروا عرباتهم وخيولهم التي استولى عليها شلمانصر الثالث، ومع ذلك لم يتمكن شلمانصر الثالث من الاستيلاء على دمشق وبعد ذلك بنحو سبعين عاماً أصاب الضعف مملكة دمشق، بسبب توالي هجمات الآشوريين عليها، مما شجع ملك فلسطين (يربعام الثاني) على مهاجمتها.

---

[64]Harveyweiss, **From Ebla to Damascus, smihonian int, washi ngton D.C**,1985, pp.263−345. [64]

[*]**قرقر**: يقع الموقع القديم لقرقر إلى الجنوب من بلدة جسر الشغور الحالية، وفيها حدثت معركة حارب فيها الأشوريين ضد ملوك (أمت: حماه) و(إمرشو: دمشق) وحلفائهم (جنديبو العربي:زعيماً عربياً من بادية الشام) في أواسط القرن التاسع قبل الميلادي ُ نظر: السواح، فراس: الحدث التوراتي والشرق الدنى القديم، ط3، دار علاء الدين، دمشق، 1997، ص95.

[65]السواح، فراس: المرجع السابق، ص93.

[66] إسماعل، فاروق؛ الأيوبي، تمام: كتابات أبجدية قديمة، منشورات جامعة حلب، 2013، ص185.

ففي عهد الملك الآشوري تيجلات بلاصر الثالث اجتاح الآشوريون معظم المدن السورية، وحاصروا دمشق، وسقطت في أيديهم، وقتل ملكها (رصين)، ذلك في سنة (732 ق.م)، حيث انتهت بذلك فترة السيادة الآرامية ولكن دمشق ازدهرت من جديد فيما بعد في عهد السيطرة الفارسية على سورية ومصر [67].

3. **دويلة أرام صوبا:**

كانت مملكة آرامية قوية، وتقع عاصمتها (صوبا) في سهل البقاع جنوبي (زحلة الحالية)، لقد امتدت في عهد ازدهارها إلى حدود حماه في الشمال الغربي من سورية. وكانت صوبا في ذروة قوتها تعاصر عهد ملك فلسطين (شاؤول)، عندما كانت العداوة على أشدها في عهده بين الدويلات الآرامية ومملكة فلسطين، واستمر هذا العداء في عهد الملك داود الذي تمكن من ضمها بصفة مؤقتة. وبعد أن ضعفت صوبا أخذت مكانها دمشق تدريجياً حتى أصبحت أعظم الدويلات الآرامية[68].

4. **دويلة معكا:**

تقع في شرق نهر الأردن جنوب جبل حرمون، امتدت في اتساعها نحو نهر الأردن غرباً، باتجاه الجنوب والشرق في الصحراء وقد اشتركت دويلة معكا مع الآراميين في دمشق وصوبا والعمونيين في الحرب ضد الملك داود، لكنه تغلب عليهم.

---

[67] أبو عساف، علي: آثار الممالك القديمة في سورية، وزارة الثقافة، دمشق، 1988، ص 412.

[68] إسماعيل، فاروق؛ تمام الأيوبي: المرجع السابق186.

5. **دويلات آرامية أخرى:**

منها دويلة (جشور)، وتقع بين حرمون وباشان، في شرق الأردن، وإلى الجنوب من معكا(في أطراف حوران)[69]. ومنها دويلة (بيت رحوب)، وتقع قرب معكا، وإلى جوار جشور، ودويلة (طوب)، وهو اسم عبري معناه (طيب)، تقع في شرق الأردن، إلى الجنوب من بلدة أم قيس حالياً.

2.4. في الشمال:

إلى الغرب من المنعطف الكبير لنهر الفرات، تمكن الآراميون من إنشاء عدد من الدويلات الصغيرة ومن أهمها:

1. **دويلة بيت آجوشي:**

ظهرت هذه المملكة في بداية القرن التاسع قبل الميلاد، تقع بين حوض الساجور وجنوب مدينة حلب وأطراف سهل العمق [70]، وكانت عاصمتها مدينة أرفاد* (حلب حالياً)، وكانت قريبة من دويلة بيت آديني. وأول ذكر لهذه الدويلة ورد في تقرير ناصر بال الثاني (883-859 ق.م)، عن حملته إلى مدينة كركميش ثم لبنان، حيث ذكر أنه تسلم الجزية مع آجوشي الياخاني وهو مؤسس هذه الدويلة، أما ياخان فهو الاسم القديم للمنطقة، ومع مرور الزمن اختفى الاسم الثاني وبقي الاسم الأول. نسبت الدويلة إلى الحاكم الأول آجوشي مع إضافة كلمة بيت لتصبح بيت آجوشي. لم يكن لبيت آجوشي كدولة وزن

---

[69] محفل، محمد: دمشق الأسطورة التاريخ من ذاكرة الحجارة ...... إلى ذكرى البشر، الأمانة العامة لاحتفالية دمشق، عاصمة الثقافة العربية، 2008، ص53.

[70] المشعل، أحمد:الإمارات الآرامية في منطقة الفرات الأوسط في العصر الآشوري الحديث (1000-612) ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2012، ص61.

* **أرفاد**: تل رفعت حالياً، تقع في شمال مدينة حلب على بعد 30كم، نظر: فرزات، محمد حرب: عوامل سياسية واقتصادية في تطور سورية في العصر الآرامي القديم (حتى أواخر القرن الثامن ق.م)، مجلة دراسات تاريخية، العددان التاسع عشر والعشرون، نيسان – تموز، جامعة دمشق، 1985، ص187.

بين جيرانها خلال القرن التاسع قبل الميلاد، ولكن مع نهاية هذا القرن بدأت بيت آجوشي تلعب دوراً أساسياً في سياسة سورية الشمالية، ممثلة بشخصية ملكها عتر سمكي ملك أرفاد، الذي كان على رأس تحالف في صراعها مع أدد نيراري الثالث (809–783 ق.م)، الذي يذكر أنه غزا مدينة أرفاد، لكنه لم يستطع تحقيق نصر حاسم عليها، حيث أصبحت إحدى المعارضين للدولة الآشورية، ففي الوقت ذاته لم يستطع عتر سمكي إيقاف مسير أدد نيراري الثالث باتجاه الجنوب، فنجحت أرفاد بإلحاق مدن كانت تنتمي إلى ممالك مجاورة[71]. وقد كان عتر سمكي معاصراً لملك حماه زكور، وهناك نقش مسماري وجد في مناطق أنطاكية*يحتوي على نص معاهدة بين زكور وعتر سمكي وتحت إشراف الملك الآشوري أدد نيراري الثالث ومضمونها تثبيت الحدود بين الدويلتين وتقسيم الاستفادة من مياه نهر العاصي.

ومن أهم المعاهدات السياسية التي عقدت في المشرق العربي القديم المعاهدتان اللتان وقعتهما آخر ملوك الدويلة المعروفين (ميتع إيل) مع آشور نيراري الخامس (754–745 ق.م)، ومع برجاية ملك كتك حيث عثر على هذه المعاهدة في السفيرة* في مدينة حلب. وقد كان التحالف الذي عقده متع إيل مع برجاية هو تحالف ضد الآشوريين وليس معهما، وإن المصطلحات مثل (تل آرام)، (عالي آرام) توحي بوجود اتحاد آرامي ضد التوسع الآشوري في العالم الآرامي، وكان برجاية أحد أطرافه[72]، وفي عهد الملك تيجلات بلاصر الثالث (745–727 ق.م)، سار نحو مدينة أرفاد عاصمة بيت آجوشي وحاصرها حتى استسلمت في عام (740 ق.م)، وأصبحت هذه الدويلة مقاطعة آشورية.

---

[71]SADER, Helene, **les etats arameens de Syria, orient institut**,Bierut, 1987, P. 272.

***أنطاكية:** هي مدينة تقع في شمال غربي سورية في منطقة لواء إسكندرون بالقرب من ساحل البحر المتوسط، نظر: مرعي، عيد: رحلة في عالم الآثار " آثاريون ومدن أثرية، المرجع السابق، ص 115.

***السفيرة:** تقع بلدة السفيرة جنوب شرقي حلب على بعد 26كم، نظر: إسماعيل، فاروق: اللغة الآرامية القديمة، ط1، منشورات جامعة حلب، 2001، ص218.

[72] فرزات، محمد حرب: العلاقات السياسية بين مملكة أرفاد الآرامية وآشور حتى أواسط القرن الثامن قبل الميلاد، مجلة دراسات تاريخية العددان 45–46، سورية، دمشق، 1993، ص138.

2. **دويلة شمأل[*] :**

تقع في منطقة جبال الأمانوس عند منابع نهر الأسود[73]، وتقع أطلالها اليوم في موقع زنجرلي، يذكر شلمانصر الثالث أن تحالفاً قام ضده مكوناً من مجموعة دويلات سورية الشمالية ومن بينها شمأل، لكن هذا التحالف كانت نتيجته الفشل ودفع الجزية للآشوريين من قبل هذه الدويلات[74].وتخبرنا سجيلات زنجرلي، أن هذه الدويلة كانت تدعى مملكة يأدي وأحياناً تدعى مملكة شمأل، وقد سكنت قبيلة آرامية في هذا الموقع منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد[75].

3. **دويلة جرجوم:** وكانت عاصمتها مرقاش ، وهي (مرعشي حالياً).
4. **دويلة ياخان:** وكانت عاصمتها (أرباد).
5. **دويلة خاتينا:**

وكانت عاصمتها (كوتالوا)، تعرضت هذه الدويلات لهجمات الآشوريين مرات عدّة، وخاصةً دويلة خاتينا، التي أغار عليها الآشوريون في عهد آشور بال الثاني، وشلمانصر الثالث، وانتهى الأمر بتولية أحد الموالين للآشوريين على عرش خاتينا. كما وقعت مدينة أرباد في يدي تجلات بلاصر الثالث. وكانت دويلة شمأل آخر الدويلات الآرامية التي ظلت تكافح من أجل الحفاظ على استقلالها حتى القرن الثامن قبل الميلاد عندما تغلب عليها شلمانصر الخامس، وضمها إلى دولته الكبيرة[76].

---

[*] **شمأل:**هي عاصمة دويلة يأدي الآرامية، وموقعها حالياً يعرف باسم (زنجرلي) والذي يعني باللغة التركية ذات السلاسل الحديدية، تقع على بعد 120كم شرق مدينة آضنة التركيةيُ نظر: مرعي، عيد: رحلة في عالم الآثار " آثاريون ومدن أثرية، المرجع السابق، ص214.

[73] حمود، محمود: شمأل العاصمة السورية القديمة مرحلة جديدة من التنقيبات الأثرية، مجلة مهد الحضارات، منشورات وزارة الثقافة- المديرية العامة للآثار والمتاحف- مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، العددان 11-12، 2010، ص71.

[74] جباغ، قابلو: تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، المرجع السابق، ص258.

[75]Dion. Paul. E, **Aramaeant tribes and nations of first millennium western asia civilizations of the ancient near**, volume II, new York, 1999, p. 284.

[76] أبو عساف، علي، آثار الممالك القديمة في سورية، المرجع السابق، ص 438

2.5. في الغرب:

الكنعانيون:

سكن في الغرب السوري الكنعانيون (الفينيقيون) التي تأتي تسميتهم من(**Phoenicians**) منسوبة إلى بلاد فينيقيا (Phoenicia) وهي مشتقة من الكلمة اليونانية (Phoinike) الأرجوان، اللون الأرجواني، وذلك لاشتهارهم بالمنسوجات المصبوغة بهذا اللون الأحمر القاني الذي كانوا يحصلون عليه من أصداف بحرية تحتوي بداخلها رخويات معروفة باسم المريق (Murex)[77].

إن قدوم الكنعانيين من شبه الجزيرة العربية أمر متفق عليه بين أغلب الدارسين، وذلك في حدود منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، مع أن بعض هؤلاء الدارسين يرى أن الكنعانيين قد قدموا من البحرين تحديداً مستندين في ذلك إلى نتائج أعمال التنقيب الأثري التي أثبتت وجود تشابه بين المقابر التي عثر عليها في البحرين وتلك التي عثر عليها على الشاطئ الكنعاني، وأما هيردروت فيروي أن الكنعانيين قدموا من البحر الإريتيري (البحر الأحمر) عبر البحر الميت إلى ساحل المتوسط، أما تحديد حدود كنعان فلا يوجد عليه اتفاق أيضاً ، وفي حين يرى بعضهم أن كلا الساحلين السوري و الفلسطيني هو ساحل كنعان.

يرى بعضهم الآخر أن هذا أمر مبالغ فيه ولا تؤيده الخلافات في بعض المظاهر الحضارية بين الأجزاء المختلفة لهذا الساحل. وعلى ذلك فإنهم يستثنون بعض أجزاء الساحل السوري(أوغاريت) وأجزاء من الساحل الفلسطيني جنوب عكا من كنعان، وأما أصل التسمية فعلى الأغلب تعني اللون الأحمر أو الأرجواني وهو اللون الذي اشتهرت به الأنسجة الكنعانية، وكان أول من استعمل هذه

---

[77] إسماعيل، فاروق، الأيوبي، تمام مصطفى، المرجع السابق، ص61-62

التسمية الشاعر الإغريقي (هوميروس)، وهناك من يرى أصل هذه الكلمة في التسمية المصرية (فنخوا) التي ترد في وثائق وكتابات الدولة القديمة للدلالة على شعب كان يسكن في أحد الأقاليم السورية[78]، وتتميز كنعان بأنها شريط ساحلي ضيق محصور بين البحر المتوسط في الغرب وجبال لبنان والكرمل في الشرق وهذا الساحل كان مقسماً طبيعياً بوساطة نتوءات جبلية تصل إلى ساحل البحر إلى أقسام عدّة ، كان الاتصال فيما بينها صعباً إلا عن طريق البحر وقد قامت على طول هذا الشاطئ مدن مهمة كان لها دورها في التاريخ السياسي والحضاري لسورية لعل أهمها أوغاريت وأرواد وجبيل وصيدا وصور وعكا، وكانت كل واحدة من هذه المدن تتمتع بالاستقلال مع محاولة كل واحدة فرض سيطرتها على جيرانها مع خضوعها كلها بين الحين والأخر لجيرانها الأقوياء (آشوريين ومصريين)، لقد اشتهرت جبال لبنان بغناها بالأشجار (الأرز، الصنوبر، وغيرها)[79].

كما اشتهرت الدويلات الكنعانية بغناها التجاري مما جعلها محل أطماع الدول الكبرى، وبما أن أقرب الدول وأقواها إلى الساحل الكنعاني كانت مصر فإن هذه المدن خضعت منذ البداية أي منذ الألف الثالث قبل الميلاد بشكل أو بآخر للنفوذ المصري سواء أكان هذا النفوذ مباشراً أم غير مباشر، فمدينة جبيل منذ عهد الدولة القديمة كانت مركزاً للنفوذ المصري على الساحل السوري فيها كانت تجمع الأخشاب والزيوت الخمور التي ستشحن إلى مصر، وإليها كانت ترد البضائع المصرية المراد المتاجرة بها مع سورية وبلاد الرافدين، وفيها كان يقيم ممثل الفرعون المصري، وكانت فيها جالية مصرية كبيرة وقد بني فيها معبد للآلهة المصرية (حاتحور).

[78] عصفور، أبو المحاسن: المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص28-52

[79] عصفور، أبو المحاسن: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص 160

ضعف النفوذ المصري نسبياً في هذه المنطقة في أثناء حكم الهكسوس لمصر، ولكن هذا النفوذ سرعان ما عاد بقوة أكبر بعد أن تحررت مصر من حكم الهكسوس، وسعت نحو إقامة إمبراطوريتها العالمية الأولى. فحملات الفراعنة المصريين أجبرت المدن الكنعانية المختلفة على دفع الجزية. كما أن تحوتمس الثالث الذي أراد محاربة الميتانيين صنع السفن اللازمة لعبور الفرات في مدينة جبيل.

وفي عصر العمارنة، ومع اشتداد المنافسة المصرية الحثية على سورية حافظت بعض المدن الكنعانية على ولائها للمصريين ولاسيما جبيل وصور في حين أن صيدا كانت متحالفة مع عبدي عشيرنا وابنه عزيرو حاكمي أمورو المناهضين للمصريين. وكثيرة هي الرسائل التي أرسلها رب عدي حاكم جبيل وأبيملكي حاكم صور، يطلبان إرسال المعونات لهما للوقوف في وجههما وحماية الممتلكات المصرية في سورية: (**عزيرو وأخوته، موجودون في دمشق أرسل رماة السهام. من أجل إلقاء القبض عليه**)، وفي رسالة أخرى إلى أمنحوتب الرابع يخبر رب عدي(**أبناء عبدي عشيرتا استولوا على خيول وعربات الملك. وهم يتفوهون بكلمات معادية للملك، وأنا كتبت للملك عن كلماتهم**). وأما أبيملكي فأرسل يشكو من خيانة ملك صيدا زيمريدا (**زيمريدا، ملك صيدا، يكتب في كل يوم إلى المجرم عزيرو، ابن عبدي عشيرنا...**) وفي رسالة أخرى يذكر ما يلي: (**زيمريدا من صيدا وعزيرو، أعداء الملك، وأناس أرواد حلفوا يميناً، وجددوا اتفاقهم، ووحدوا سفنهم وعرباتهم ومشاتهم من أجل أن يستولوا على صور**)[80].

لكن الأمور لم تستمر على هذا الحال، فمع عودة مصر إلى تأدية دورها بعد وفاة أخناتون وصعود مجموعة من الملوك الأقوياء على العرش المصري في ظل الأسر من الثامنة عشرة إلى العشرين لابدّ من أن تكون منطقة الساحل الكنعاني قد عادت لتدور في فلك النفوذ المصري وبخاصة بعد معركة قادش

[80] قابلو، جباغ؛ فرعون، محمود: تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، المرجع السابق، ص220.

واتفاق السلام الذي عقد بين مصر والحثيين. لقد أثر هجوم شعوب البحر* بصورة متفاوتة على المدن الكنعانية فبعضها تعرض لدمار شديد (صيدا) وبعضها الآخر كان نصيبها من الدمار أقل، ولذلك تمكن من النهوض بسرعة والعودة إلى ممارسة نشاطاته السابقة وبشكل عام فإن العصر الذي تلا هذا الهجوم حتى بداية الهجوم الآشوري الكبير مع عهد تيجلات بلاصر الثالث (745-727 ق.م). يمكن عده عصر استقلال تمتعت فيه المدن الكنعانية تجاه الدول الكبرى مع أنها أدت في بعض الأحيان الجزية للملوك الآشوريين آشور ناصر بال الثاني (884-859 ق.م)، وشلمانصر الثالث (859 - 824 ق.م)، إلا أن هذين الملكين قنعا بالجزية ولم يحاولا القضاء على استقلال هذه المدن[81].

ومن خلال ما تقدم يمكننا الاستنتاج بأن السياسة الاستراتيجية التي رسم خطوطها ونفذها تيجلات بلاصر الثالث هي تحويل الدويلات السورية الكنعانية إلى دويلات آشورية، ولم يكن هدفها حماية آشور فقط، حيث تظهر رغبة الدولة الآشورية واضحة في التوسع بالقوة[82].

3. أوضاع عيلام في بداية الألف الأول قبل الميلاد.

يشير بعض المؤرخون ومنهم (طه باقر) إلى أن السومريين قد سموا الإقليم الكائن إلى شرق وادي الرافدين الأسفل بالمصطلح الذي يفيد المعنى النجف المرتفع، وسماه الآكاديين الساميين في العراق باسم (إيلامتو) ولا يعرف بالتأكيد هل الكلمة الأكادية ترجمة للمصطلح السوري أو هي تصحيح للكلمة السومرية (إنم- Nim) وذلك بإبدال النون لاماً وإن جاز احتمال اشتقاق الاسم السومري من الاسم السامي (عيلام-

---

* شعوب البحر: هو الاسم الذي أطلقه مؤرخو الشرق الأوسط القديم في القرن التاسع عشر على مجموعة من الشعوب القديمة التي هاجرت عن طريق البحر الأبيض المتوسط وهاجمت الممالك التي كانت واقعة شرقي حوض المتوسط، وكذلك مصر فترة حكم الأسرتين التاسعة عشر والعشرين والحثيون في الأناضول، أدت هجمات شعوب البحر سقوط الامبراطورية الحثية وإضعاف المملكة المصرية الفرعونية لمدة طويلة وتدمير العديد من مدن شرق المتوسط العامرة كأوغاريت مثلاً يُ نظر: فرزات، محمد حرب، تاريخ سورية القديم، ط7، منشورات جامعة دمشق، 1998م، ص148.

[81] إسماعيل، فاروق، الأيوبي، تمام مصطفى،المرجع السابق، ص63.

[82] Sader, Helen, op, cit, p278.

إيلام). وأما العيلاميون سموا أنفسهم (حاورتي) أو (حافرتي) وله قراءة أخرى هي (خاتمتي) التي ربما تفيد معنى (أرض الاله) وأما النصوص الفارسية المتأخرة فعرفت الإقليم (هوفاجا) ومنه الكلمة العربية (خور) و(خويرة) وهو إقليم (خوزستان)[83].

ففي بداية الألف الأول قبل الميلاد تأثرت منطقة غرب أسيا بحادثين بالغي الأهمية تركا تأثيراً كبيراً وفعالاً في تاريخ شعوب هذه المنطقة، ويتمثل[84]:

1- الحدث الأول في الغزو الهند أوربي.

2- الحدث الثاني فكان زيادة استخدام الحديد .

مع ذلك فإنه على الرغم من هذه الموافقة فإنه لا يوجد أي سبب يجعلنا نفترض بأن هؤلاء القادمين الجدد قد أدخلوا استخدام هذا المعدن. ولقد شكلت سلاسل جبال زاغروس عقبة أمام تقدم الإيرانيين، وكان يوجد وراءها شعوب لها ماضٍ عريق وحضارة متطورة عبر مئات بل آلاف السنين[85]، فقد كانت هناك عيلام وبلاد مابين النهرين، ثم كان هناك إلى الشمال والشمال الشرقي مملكة (أورارتو) التي أصبحت أرمينيا بعد أربعة قرون. وعلى ذلك فلم يتمكن الإيرانيون في ذلك الوقت من اقتحام هذه التخوم[86].

يعد النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد نقطة تحول كبيرة في تاريخ الإنسانية فقد انتقل مركز (السياسة الدولية) من الأودية التي ظهرت فيها أقدم الحضارات مثل وادي النيل، أو بلاد ما بين النهرين، وانتقل شمالاً إلى مناطق ذات مظاهر طبيعية قاسية حيث تركز الصراع على القوى الدولية ووجدت ثلاث قوى

---

[83] قابلو، جباغ: المرجع السابق، ص227.

[84] عصفور، أبو المحاسن: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، د.ط، مطبعة المصري، الاسكندرية، 1968، ص414

[85] عصفور، أبو المحاسن: المرجع السابق، ص415.

[86] سليم، أحمد: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (سورية – بلاد العرب)، المرجع السابق، ص257.

رئيسية: الآشوريون الساميون بإمبراطوريتهم الواسعة، ومملكة أورارتو المملكة الناشئة القوية ذات الأصل الآسيوي، التي كانت خصماً وعدواً لدوداً للآشوريين، وأخيراً (الفرس) الذين تمكنوا بعد كفاح طويل وشاق من الانتصار على كلا القوتين السابقتين واستطاعوا بما غنموا من أسلاب أن يقيموا على أنقاضهما إمبراطورية ضخمة، لقد جاء أول ذكر الإيرانيين في حوليات الملك شلمانصر الثالث، إذ كانت توجد مواقع إقامتهم في طريق الجيش الآشوري في أثناء قيامه بغزو زاغروس. فعلى الرغم من وفرة المعلومات عن آشور الحديثة في شمال الرافدين وعن حملاتها وانتصاراتها فإن القليل من الأدلة فقط تدل على هجمات الآشوريين على السكان الأصليين في زاغروس[87].

لكن من الواضح أن سبب الصراع والتحديات من قبل آشور لجيرانهم الشرقيين في جبال زاغروس كان الهدف منه اقتصادياً بالدرجة الأولى، فما بين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد هاجم الآشوريون منطقة زاغروس بشكل متكرر للوصول إلى المصادر الطبيعية والمعدنية ولاكتساب السيطرة على طريق خراسان العظيم، أشارت النصوص الآشورية المتكررة إلى معارك في غرب وشمال إيران، ووجدت بعض الدلائل في آشور عن حملات ومعارك وانتصارات، لكن القليل منها وجد في إيران حيث تقتصر هذه الدلائل على ثلاثة نقوش فقط تقدم معلومات قيمة عن بعض مسارات هذه الحملات واكتشاف نقوش أخرى ولكن بدون كتابة هو دليل إضافي عن الوجود الآشوري غرب إيران[88].

---

[87] Ali baigi ,Sajjad, and et. All**, the discovery of aneo assyrain rock- Relief at Mishkhas, Ilam province, Iranica antique**, (Iran), VOL. XLVII, 2012, PP29-34

[88] Ali baigi ,Sajjad, and et. All, op, cit, PP30

الفصل الثاني

التعريف بالدولة الآشورية ومراحل تطورها

1-الآشوريون:

1.1. التسمية والأصل

1.2. العصر الآشوري العتيق: (2500- 2000 ق.م).

1.3. العصر الآشوري القديم: (2000- 1521 ق.م).

1.4. العصر الآشوري الوسيط: (1380-913 ق.م).

1.5. العصر الآشوري الحديث: (نهاية القرن العاشر حتى أواخر القرن السابع قبل الميلاد 911- 612 ق.م).

1. الآشوريون:

1.1. التسمية والأصل:

يقع الإقليم الآشوري على طول دجلة من خط عرض27° شمالاً حتى مصبه جنوباً على صورة مثلث يحصره دجلة والزاب الأعلى والزاب الأسفل، وتحده من الشمال والشرق جبال عالية وهضاب وأراضٍ تتخللها النجاد والأغوار، فهي ليست أرضاً منبسطة بل هي بلاد ذات طبقة جبلية في أغلب الأمر تحصر بينها الرقعة الخصبة التي تمثل وديان الأنهار سالفة الذكر، هذه الرقعةُ الخصبةُ من الأراضي صالحةٌ للزراعة عرفت بها بضعة سهول من بينها سهل أربيل وسهل كركوك، وكان وجود الجبال من ناحية الشمال والشرق بمثابة حدود طبيعية للأقاليم، أما من الجنوب والغرب فالطريق مفتوح ، إلى الجنوب بغير حدود طبيعية حتى الخليج العربي، إلى الغرب حتى الفرات وروافده وما وراَءه، فالحدود السياسية جنوباً وغرباً خاضعة لمدى التوسع العمراني فهي تتقلص مرتان وهي تمتد مرة أخرى تبعاً لمدى السلطان السياسي للإقليم وكانت عاصمة آشور هي مدينة آشور كذلك وتعرف خرائبها اليوم باسم القلعة أو (تل قلعة شرقاط)* في شمالي الرافدين[89] على بعد (110كم) عن الموصل[90].

كان للآشوريين دور كبير في تكوين منطقة الشرق القديم التي سكنوا فيها من خلال فتوحاتهم العسكرية ومنجزاتهم الحضارية والعمرانية التي عبرت عن حياتهم بكل تفاصيلها[91]، لقد انتعشت الدراسات

---

* تل قلعة شرقاط: هو تل من التراب محاط عند السفوح بسور متهدم وكلها ترتفع على مسطبة من البقايا. وتأتي أهميته من أنه موقع العاصمة القديمة لآشوري. نظر: هاري ساكز: قوة آشور، تر: عامر سليمان، منشورات المجمع العلمي، بغداد، 1999، ص، 420.

[89] Baudains, P; Zamaza lova, S; Altaweel; wilison, A. **Modeling strategic decisions in the formation of the earlyneo- Assyrian empire, cliodynamics**, VOLl. 6, NO.1, university of California, U. S. A, 2015, P.3.

[90] سليم، أحمد: في تاريخ الشرق الأدنى القديم، العراق – إيران –آسيا الصغرى، المرجع السابق، ص113-114.

[91] التميمي، مهدي فهمي: التطورات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، 911-745ق.م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بغداد، 2010م، ص3.

الآشورية في السنوات القليلة الأخيرة ويعود الفضل في ذلك في اعتماد أرشيف للدولة يضم نصوصاً آشورية من خلال هذه النصوص تم التعرف على معلومات كثيرة عن الدولة الآشورية[92].

كانت الدولة ذات أعراق متعددة مؤلفة من شعوب عدة وقبائل تنحدر من أصول مختلفة ومع ذلك فإن التعدد العرقي قد كان موحداً في بنية وحدة سياسية واضحة التعريف ومحمية الحدود حيث أنه من المؤكد أن ملوك آشور قد نظروا إليها ككل موحد (أرض آشور)، حيث كانت تبدو بالنسبة للعالم من حولها موحدة صلبة وسكانها لن يتوانوا عن التعريف باسمهم كآشوريين بغض النظر عن انتمائهم العرقي.

أطلق اسم الآشوريين على سكان مدينة لم تزل أطلالها تقع في المنطقة الجبلية المحصورة بين نهري الزاب الأعلى والأسفل وتذكرها الكتابات القديمة باسم آشور [93]، وتبين لنا الرسوم والنقوش التي خلفها الآشوريون لأشخاصهم أنهم كانوا يشكلون خليطاً من البؤر البشرية المحلية في بلاد ما بين النهرين ومن البؤر البشرية التي تعود بأصولها إلى الأرض الأرمينية ولكن الآشوريين لم يعترفوا إلا بأصلهم المحلي، ويؤكد ذلك المؤسس الفعلي للدولة الآشورية الحديثة (الملك أسر حدون) بقوله: إن آباُءه وأجداده يعودون في أصلهم إلى (إنليل- باني) بن (أو-آسي)[94] هذا الأخير اسم يعود إلى لهجة محلية يطلق عليه خطأً اسم السامية[95].

---

[92]Biggs, Robert, **Letters from Assyria and the West, State Archives of Assyria**, Journal ofNear eastern Studies, Vol.50, No. 1(Jan, 1991), PP. 62-63

[93]سليمان، توفيق: دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، من أقدم العصور إلى عام 1190ق.م (الشرق الأدنى القديم بلاد مابين النهرين- بلاد الشام)، المرجع السابق،ص 161.

[94] سليمان، توفيق: نقد النظرية السامية، ج1، دار دمشق للنشر، 1982، ص161.

[95] سليمان، توفيق: المرجع السابق، ص162.

يعود أصل اسم الآشوريين إلى ما هو واضح من التسمية نسبة إلى آشور، وهي كلمة أطلقت على أقدم مراكز الآشوريين، أي عاصمتهم المسماة آشور[96]، وبقيت آشور عاصمة للآشوريين تدار فيها شؤونهم الداخلية وصلاتهم مع الأمم المجاورة لهم حتى اتخذ آشور ناصر بال الثاني(883–859 ق.م) مدينة كالخ حاضرة جديدة لملكه فانتقلت آنذاك الحكومة من آشور إلى هذه المدينة الواقعة على الضفة اليسرى لدجلة قرب الزاوية المتكونة من التقاء الزاب الأعلى لنهر دجلة، وتعرف خرائب هذه المدينة اليوم (نمرود) إلا أن هذا الملك لم يهمل شأن العاصمة القديمة لكونها كانت مقراً لآشور الأعلى بين آلهة الآشوريين[97]وسمي بها أيضاً إلههم القومي آشور.

لا يعلم بوجه التأكيد أيهما أصل للآخر على أنه يجوز الوجهان، فإن نسبة السكان والأقوام إلى المدن استعمال مألوف مثل الأكاديين نسبة إلى (أكد) والبابليين نسبة إلى مدينة بابل، كما شاع أيضاً تسمية بعض المستوطنات والمدن بأسماء الآلهة، ومهما كان الأمر فإن كلمة آشور كانت تكتب بصيغة قديمة على هيئة آ– اوسار(A-usar) التي يبدو كأنها كتابة سومرية رمزية، ولكن الكتابة المألوفة الأخرى كانت بهيئة آشور(A-shur) يتبعها العلامة المسمارية الدالة على الأمكنة كي (Ki) فأقدم ما جاءنا حول هذه الصيغة من النصوص الأكادية المكتشفة في مدينة نوزي (وكان اسمها في العصر الأكادي كاسر– Ca-sur) إذ غلب في الاستعمال في الأدوار الآشورية الحديثة أن يضعف حرف الشين فيقال: آشور(Ash-shur)، وللتعبير عن بلاد آشور القطر الآشوري كانت الكلمة تصدر بالعلامة المسمارية الدالة مات (Mat) أي بلاد فيقال: (مات آشوركي) وتسمى آشور أيضاً نسبة إلى الملك الآشوري الأول بوزور آشور، فكثيراً ما تضاف ياء النسبة المضاهية لياء النسبة العربية للتعبير عن

---

[96]Grayson, A, Kirk, **Assyrian Rulers of The Early First Millennium B.C**, Volume I (1114-859 B.C), + Volume II (858-745 B.C) Toronto, 1991,p.178.

[97]سفر، فؤاد: مديرية الآثار العامة، مطبعة الحكومة، بغداد، 1960، ص6.

الشخص الآشوري والآشوريين ويقال: (آشوريو) وجاء الاسم في المصادر الآرامية والعربية على هيئة (آثور)، و(آفور) حيث استعمل المؤرخ اليوناني هيرودوت المشهور(القرن الخامس قبل الميلاد مصطلح بلاد آشور(Assyria) استعمالاً خاطئاً إذ أطلقه على بلاد بابل والبابليين، مع إن اسم بابل وبلاد بابل كانا معروفين لدى اليونان بالإضافة إلى الآشوريين[98].

إن التسمية التي ذكرناها كانت على ما يرجح هي التسمية التي أطلقها الآشوريون على أنفسهم عندما حلوا في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد في الموطن الذي عرف باسمهم، ويوجد اسم آخر لموطن الآشوريين يرجح أن يكون الاسم الأصلي الأقدم منه هو (سوبارتو) أو (شوبارتو) أو(سوبر – Subir) نسبة إلى القوم الذي استوطنوا هذا الجزء من شمالي العراق منذ أبعد العصور التاريخية قبل مجيء الآشوريين الساميين، حيث يقال إنّ الآشوريين في الأصل فرع من الأقوام السامية أي (المتكلمين بإحدى لغات عائلة اللغات السامية، وهي السامية الشرقية التي سميت اللغة الأكادية[99]، وفرعها الثاني اللغة البابلية حيث تفرعت الأكادية " الأم" إلى هذين الفرعين في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد)، التي هاجرت من مهد الساميين الأصلي[100]، وهو جزيرة العرب بحسب ما يقول به الباحثون.

المرجح أن الآشوريين قضوا على جماعات من أولئك السوباريين وأزاحوا جماعات أخرى منهم إلى سفوح الجبال والمناطق الجبلية المجاورة، واندمج من بقي منهم مع الآشوريين وكان موطن السوباريين يشمل كذلك الأجزاء الشمالية والشرقية من دجلة [101]. ومما لا شك فيه أن الآشوريين تأثروا بهؤلاء

---

[98] مهران، محمد بيومي: مصر والشرق الأدنى القديم– تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، 1990، ص323.

[99] بارو، أندريه: بلاد أشور، تر: عيسى سلمان، سليم التكريتي، بغداد، 1980، ص17–18.

[100] **الساميون:** أصلاً هم جماعة ينتمون إلى أصول أثنية ذي تكوين يغلب عليه الطابع الشرقي.يُنظر: خليل جوارو، إيشومالك: الآشوريون في التاريخ، نقله إلى العربية، نسقه ودقق فيه سليم واكيم، تر: جورج وديع دباس، بيروت، 1962، ص12.

[101] سفر، فؤاد: المرجع السابق، ص6.

السوباريين في النواحي القومية واللغوية والدينية، حتى إنَّ بعض الآلهة السوبارية بقي في العبادة الآشورية.

لكنَّ الآشوريين تحاشوا إطلاق تسمية سوبارتو على بلادهم وعلى أنفسهم باستثناء استعمالها في نصوص قليلة وبوجه خاص نصوص الفأل والتنجيم (ومعظمها نسخ عن أصول بابلية)، ذلك لأن تلك التسمية كانت تنطوي على مدلول شائن، إذ أنها ترادف مصطلح العبد في اللغة الأكادية (Subrum)[102]، تشير إلى ذلك النصوص التي جاءتنا من العهد البابلي القديم، ومنشأ هذا المدلول أن موطن السوباريين كان من بين المصادر المهمة لجلب الرق على هيئة أسرى، على أن البابليين ظلوا يطلقون كلمة سوبارتو على الآشوريين وعلى موطنهم ولا يستبعد أن يكون ذلك من باب الانتقاص، يكفي أن نذكر مثالاً على ذلك الحادثة المؤرخ بها في حكم (دادوشا)، ملك (أشنونا) التي تذكر جيش الملك الآشوري (يسمح- أدد) على أنه (جموع السوبارتو وخانة) ونجد (مردوخ بلادان) الملك البابلي (721-711ق.م)، لا يسمي خصمه الملك الآشوري (سرجون الثاني) ملك الآشوريين بل ملك السوباريين وجيشه جموع السوبارتو، وذكر من نصوص الفأل التي اقتصرت فيها تسمية الآشوريين لبلادهم وأنفسهم على أنهم (سوبارتو) التقرير الذي قدمه أحد المنجمين الآشوريين إلى الملك الآشوري: (إذا شوهد القمر في اليوم الثلاثين من شهر نيسان فإن بلاد (سوبارتو) سوف تتغلب على الأخلامو- إحدى القبائل الآرامية الكبرى ويضيف ذلك المنجم موضحاً نحن السوباريين).[103]

إن آشور بتشديد الشين هو إقليم كبير متسع من آسيا تعرف ناحيته اليوم (كردستان)، وهو كريم البقعة غاية في الخصب يخترقه أنهار أربعة كبيرة أحدها نهر دجلة، وليس في ذلك الإقليم أحسن منظراً

[102] مهران، محمد بيومي: مصر والشرق الأدنى القديم- تاريخ العراق القديم، المرجع السابق، ص325.

[103] باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1،الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، ط1، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2009، بيروت، ص522.

منه ولا أقوى اندفاعاً ولا أكثر سرعة في سيره يضاهي الفرات وبعده نهر أربيس ونهر غرغوس ونهر زابيس، ويتخلل هذا الإقليم جبال متشعبة وأودية كثيرة كانت مشحونة بالبساتين الأنيقة والجنات النضرة إلا أن أكثرها اليوم قد عاد قفراً غامراً [104].

يميل غالبية المؤرخين إلى الحديث عن الأقسام التالية للتاريخ الآشوري:

1.2. العصر الآشوري العتيق: (2500 –2000 ق.م).

عاصرت العاصمة آشور التي قامت فوق ربوة صخرية تحف بها مياه دجلة، والتي قامت على أنقاضها قلعة الشرقاط الحالية، أواخر عصر بداية الأسرات السومري، وتعاملت مع أهله ومن تلاهم من الأكاديين وانتفعت بحضارة هؤلاء وحضارة هؤلاء، لا سيما قواعد الكتابة المسمارية منها، وخلطت بين فنونهم وبين فنونها المحلية البسيطة. وقد اعترفت بنفوذهم في عهود قوتهم، وسلكوها حينذاك من سموهم السوباريين (أهل سوبارتو، والسوبارتو). ثم اتضحت أسماء ملوك آشور ما قبله بقليل، فيما يعاصر دولة أور الثالثة. وامتاز منهم حينذاك بوزور آشور(الأول)، وشاروكين (سرجون) الأول. يسمى عصر أولئك الملوك اصطلاحاً باسم العصر الآشوري العتيق، وقد امتدت فيه اتصالات آشور وتجارتها شيئاً فشيئاً حتى بلغت آسيا الصغرى[105].

1.3. العصر الآشوري القديم (2000 – 1521 ق.م).

يطلق العصر الآشوري القديم على الفترة الزمنية من نهاية سلالة أور الثالثة وينتهي بالنسبة إلى التاريخ الآشوري في حدود منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، كان أهم ما حدث في هذه الفترة وميزها من

---

[104] المدور، جميل أفندي نخلة: تاريخ بابل وآشور، د.ط، مطبعة الغوئد– بيروت، 1893مسيحية، ص42.

[105] صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، ج1،ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990،ص571.

الناحية التاريخية تدفق هجرات الأقوام السامية الغربية أي الأقوام الأمورية إلى بلاد ما بين النهرين[106]، وقد أصاب بلاد آشور نصيب من تلك الهجرات وإن لم يكن بالقدر الذي أصاب بلاد بابل واستتبع عن تلك الهجرات النتائج نفسها بالنسبة إلى التركيب السكاني في الأجزاء الوسطى والشمالية من وادي الرافدين، ومن حيث ازدياد نسبة الأقوام السامية فيها بإضافة جماعات جديدة وكثيرة منهم إلى السكان القدامى من الساميين الذين كانوا قد جاؤوا في هجرات أقدم، واستطاع بعض الجماعات من هؤلاء الساميين الجدد في بلاد آشور أن يقيم كياناً سياسياً كما حدث في بلاد بابل، وبعبارة أخرى اغتنمت بلاد آشور فرصة زوال سلطة أور على إثر تحطيم إمبراطوريتها من جانب الأموريين والعيلاميين فاستقلت وقام فيها ملوك وحكام لكن لايعلم ترتيب تسلسلهم، وقد حكموا على هيئة مجموعات في فترات زمنية كما جاء ترتيبهم في أثبات الملوك الآشورية.

لعل أقدم مجموعة من أولئك الحكام الذين استقلوا في بلاد آشور في الشطر الأول من هذا العصر أي من بعد نهاية سلالة أور الثالثة يتصدرها اسم ورد بهيئة سوليلي (Sulili) ابن أمينو(Amino) ثم يأتي من بعده كيكيا (Kikkia) الذي ركز في أثبات الملوك الآشورية وفي كتابات الملكين الآشوريين (آشور –ريم– نشيشو) و(شلمانصر الثالث) على أنه هو الذي شيد أسوار مدينة آشور ثم يليه اسم الملك (بوزر–آشور–الأول) الذي يرجح أنه أسس سلالة حاكمة وقد ذكره شلمانصر الثالث بأنه كان من الملوك القدامى الذين أقاموا أسوار المدينة.

فمن ملوك هذه المدينة الذين خلفوا بوزر– آشور– الأول الملك المسمى (شالم–آخوم)، ويليه على مايرجح الملك(إيلوشوما) الذي حكم في حدود (1962 –1942 ق.م)، وأعقبه في الحكم ابنه المسمى إيريشيم الأول (الحارث) (1941–1902 ق.م)، وجاءت إلينا من هذين الملكين أخبار مدونة

---

[106] مهران، محمد بيومي: مصر والشرق الأدنى القديم– تاريخ العراق القديم، المرجع السابق، ص340.

عن نشاطهما البنائي في مدينة آشور منها تشييد معابد الآلهة (آشور) و(أداد) وعشتار، بلغ (إيلوشوما) مبلغاً من القوة استطاع فيه أن يدخل في لجّة نزاع ما بين دول المدن في بلاد بابل، فقد غزاها في عهد ملك سلالة (آيسن) المسمى (إشمي- دجان) (1953 -1935ق.م)[107]، والمرجح أنه في عهد الملكين الآشوريين (إيلوشوما) و(إيريشيم) ازدهرت المستعمرات التجارية الآشورية في بلاد الأناضول، جاء من بعدهما في حكم بلاد آشور الملك المسمى(إيكونم) ثم سرجون الأول الذي بلغت في عهده الدولة الآشورية اتساعاً ملحوظاً[108]، يعقب عهد هذا الملك فترة غامضة في تاريخ بلاد آشور في هذا العهد وعانت الضعف والارتباك حتى إن إحدى الدويلات في بلاد بابل وهي مملكة اشنونا فرضت سلطتها عليها، تذكر أثبات الملوك الآشورية من بين الملوك الذين حكموا في أثنائها الملك (نارام سين)، الذي يرجح أن يكون (نارام سين) مملكة إشنونا نفسه ثم قامت سلالة حاكمة أخرى يرجح كثيراً أن بعض الأمراء من الساميين الغربيين هم الذين أسسوها ظهر منها الملك الشهير شمشي أداد الأول (1814-1782 ق.م) الذي يبدو أنه اغتصب السلطة من أخيه، وقد أقام مملكة واسعة في العهد البابلي بعد توطيد سلطته في بلاد آشور حيث اتسعت إلى إمبراطورية شملت منطقة الفرات الأوسط ومركزها مدينة ماري الشهيرة كما ضمت أجزاء مهمة من بلاد الشام وقسمها بين ولديه (أشمي دجان) (1780-1741 ق.م) الذي حكم فترة طويلة من الزمن، انتهى استقلال مدينة آشور من بعد حكمه إذ استطاع الملك البابلي حمورابي أن يضمها إلى إمبراطوريته الواسعة وظلت تحت السيطرة البابلية إلى أن استقلت في الفترة التي تلت عهد حمورابي[109].

---

[107]باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، المرجع السابق، ص526-528.

[108] جوارو، إيشومالك: الآشوريون في التاريخ، المرجع السابق، ص17.

[109]باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، المرجع السابق، ص526-528.

1.4. العصر الآشوري الوسيط (1380- 913 ق.م).

استغرقت هذه المرحلة أكثر من أربعة قرون ونصف (1380-913 ق.م) تقريباً، حكم خلالها ستة وعشرون ملكاً وذلك منذ نهاية أسرة بابل الأولى وحتى بداية العصر الآشوري الحديث، وقد عاصر ملوك العصر الآشوري الوسيط في مصر ملوك عصر الدولة الحديثة وفي خاتى عصر الإمبراطرية الحثية و الكاشيين جنوب العراق.

يبدأ العصر الآشوري الوسيط باستقلال آشور من نفوذ البابليين بعد سقوط دولة بابل الأولى في أيدي الحثيين الذين ما إن تراجعوا عنها حتى احتلها الكاشيون ولقد انتهز الآشوريون الفرصة وأعلنوا استقلالهم في عهد الملك (شمش أداد الثاني) الذي جعل من الآشوريين قوة لها في ذلك الوقت إلا أن خلفاَءه لم يستطيعوا الحفاظ على القوة التي حققها شمش أداد الثاني وذلك نظراً لتطور الأحداث الخارجية بجوار دولة آشور تطوراً سريعاً[110].

تكونت بجوار الآشوريين في ذلك الوقت من جهة الغرب قوة فتية جديدة هي قوة الميتانيين التي أنشأها الحوريون* في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، لقد أخذت قوة الميتانيين تزداد حتى أصبحت لهم اليد الطولى في أحداث الشرق الأدنى القديم خلال هذه المرحلة، ولقد تمكن الميتانيون من فرض سيطرتهم ونفوذهم على دولة آشور واستمرت تلك السيطرة زهاء قرن من الزمان.

---

[110] عبد الحليم، نبيلة محمد: معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف للنشر، الاسكندرية، 1983، ص209.

*الحوريون: هم قوم من القوقاز، انتشروا في بلاد الأناضول وسورية وأعالي ما بين النهرين وشرقي بلاد آشور، وأقاموا دولة قويةيُ نظر: مهران، محمد بيومي: مصر والشرق الأدنى القديم- تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، 1990، ص343. وأيضاًُ نظر: فيلهم، جرنوت: الحوريون تاريخهم وحضارتهم، تر: فاروق اسماعيل، ط1، دار جدل، حلب، 2000، ص9. حيث ذكر في كتابه: يعد الحوريون واحداً من أبرز شعوب الشرق القديم، ويشكل تاريخهم صفحات أساسية من تاريخ سورية القديم خلال الألف الثاني قبل الميلاد. لقد ارتحلوا إليها كغيرهم في أواخر الألف الثالث قبل ا لميلاد، واتخذوها موطناً، وأسهموا في تاريخها السياسي والحضاري، وتمكنوا في مطلع القرن الخامس عشر قبل الميلاد بالتحالف مع الميتانيين من تشكيل مملكة تمركزت في مناطق الجزيرة السورية العليا، وامتدت غرباً في الشمال العراقي.

لقد ساعدت الظروف آشور في التخلص من ميتاني والقضاء عليها، وتمثلت تلك الظروف في الصراع الذي نشب ما بين الميتانيين والحثيين مما أرهق الطرفين، وزاد الأمر سوءاً بالنسبة للميتانيين انقسام البيت المالك الميتاني إلى فريقين متناحرين، فانقسمت إلى دويلتين، الواحدة تسيطر على منطقة بحيرة وان والأخرى تسيطر على بلاد آشور وأجزاء من سورية[111]. عاصر هذه الأحداث الملك الآشوري (آشور أوباليط الأول) الذي انضم لأحد الفريقين المتنازعين، وكنتيجة للمؤامرات والدسائس بين الفريقين قتل الملك الميتاني (توشراتا) المعارض للفريق الموالي للآشوريين، وفر ولده إلى بابل ولكن ملكها (بورنابو رياش) تمسك بمبدأ الحياد ورفض منحه حق اللجوء السياسي، فاضطر إلى الذهاب إلى البلاط الحيثي بينما اقتسمت آشور ودولة صغيرة في حوض دجلة الأعلى تدعى(الشي) بلاد ميتاني، هكذا تمكن آشور أوباليط من دون أن يدخل أي معركة حربية من أن يحرر بلاده من سيطرة الميتانيين، وتمكن كذلك من أن يتسبب في القضاء على الدولة التي كان آباؤه يدفعون لها الجزية وقد اتبع سياسة حكيمة مع جيرانه فتصاهر مع ملك الكاشيين الذي تزوج بابنته أملاً في أن يصبح حفيده يوماً ملكاً على بابل.

وسارت الدولة الآشورية في نموها وتوطيدها ثم توسعها في عهد الملوك الذين خلفوا (آشور أوباليط) كان هؤلاء الخلفاء من طراز مؤسس الدولة حيث التزموا السياسة الحكيمة في تقوية الدولة دون الدخول في مغامرات حربية وفتوحات جديدة تستنزف قوى الدولة فنهجوا نهجه وعمل بعضهم على توسيع سلطان الآشوريين إلى جهات الشرق الأوسط فنشأت بذور الإمبراطورية الآشورية التي نمت ونضجت فيما بعد منذ القرن التاسع قبل الميلاد[112].

---

[111] مهران، محمد بيومي: مصر والشرق الأدنى القديم- تاريخ العراق القديم، المرجع السابق، ص344.

[112] سليم، أحمد أمين: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر-سورية-العراق-إيران-آسيا الصغرى، د.ط، دار النهضة العربية، د.ت، ص186-187.

1.5. العصر الآشوري الحديث (نهاية القرن العاشر حتى أواخر القرن السابع قبل الميلاد، 911-612 قبل الميلاد).

اكتفت آشور بحدودها الضيقة تحت ضغط الآراميين حتى تزعمها آشور دان الثاني (932-912 ق.م) ، فنهضت من جديد وتأهبت لمكافحة الآراميين شرقاً وغرباً، ثم اشتدت عزائمها في عهد ابنه أدد نيراري الثاني (911-890 ق.م) الذي غلبت شهرته على شهرة أبيه ووصفت نصوصها الآراميين حينها بأنهم أهل البراري[113]، ويبدو أن أولئك الآراميين (الشرقيين) وإن أخلوا بحضارة بلاد النهرين واطمأن بعضهم إلى حياة الاستقرار والزراعة واستطاعوا أن يرهبوا دولة آشور فترة طويلة وكادوا يسيطرون على مسالك تجارتها، إلا أنهم ظلوا متخلفين حضارياً عن جيرانهم وعن الآراميين (الغربيين) في بلاد الشام إلى حدٍ ما، وظلوا يؤثرون النظام القبلي والتركز في إمارات منفصلة عرفت كل منها باسم بيت كذا وبيت كذا، فشجع تفرقهم الآشوريين على الاستمرار في محاولة إخضاعهم كلما توافر لهم ملك طموح وظروف مواتية لاستثارة هممهم[114]، وهكذا تتبعوهم عاماً بعد عاماً في عهد أداد نيراري الثاني في منطقة طور عابدين حيث توزعت إمارات خوريزانا وجيدارا ونصيبينا وفي وادي الخابور، وفي عهد أداد نيراري الثاني بدأ عصر جديد طويل عرف اصطلاحاً باسم العصر الآشوري الحديث[115].

بدأ النهوض الحقيقي لآشور حيث تمت السيطرة الآشورية على منطقة الخابور وصولاً إلى بيت عديني الآرامية على الفرات وأما شمالاً فقد وجه حملات عدّة ضد دويلة بيت زماني إلى أن تمكن من إخضاعها، وفي اتجاه الجنوب وجه جيوشه نحو (بابل) متهماً إياها بنقض المعاهدات المعقودة بين

[113] السعدي، حسن محمد محي الدين: المرجع السابق، ص172.

[114] جوارو، إيشومالك: المرجع السابق، ص19.

[115]صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم – مصر والعراق، ج1، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990، ص586.

الطرفين وضم نتيجة ذلك منطقة آرابخا إلى دولته دافعاً حدود هذه الدولة الجنوبية حتى دوركور يجالزو وسيبار[116]. تابع توكولتي نينورتا الثاني (891–884 ق.م) سياسة أبيه الهادفة إلى فرض السيطرة الآشورية على المناطق الجبلية الشمالية والشرقية وإخضاع الدويلات الآرامية المتمركزة في الغرب من آشور.

أما آشور ناصر بال الثاني (884–859 ق.م) كان قائداً متميزاً وسياسياً بارعاً ففي بداية حكمه قام بعدة حملات ناجحة باتجاه الشمال والشرق حصل على مغانم كثيرة وأخمد تمردات كثيرة قامت ضد الحكم الآشوري في أعالي بلاد الرافدين، وأما غرباً فقد ركز حملاته على مملكة بيت عديني محاولاً القضاء عليها وفي عام (876 ق.م) عبر آشور ناصر بال الثاني الفرات من مدينة كركميش التي كان قد أخضعها سابقاً دافعاً بجيوشه نحو البحر المتوسط وصل إلى البحر المتوسط دون أن يحاول أحد من الحكام المحليين الذين مرَّ بأراضيهم من الوقوف في وجهه. وفي عهد الملك شلمانصر الثالث (858–824 ق.م) كانت دويلة بيت عديني الآرامية المتحكمة بالمعابر غرب الفرات من الشرق إلى الغرب، الهدف الأول الذي وضعه شلمانصر الثالث نصب عينيه وكرس السنوات الخمس الأولى من حكمه للتخلص من وحاكمها آخوتي، فأخضعها وحولها إلى مقاطعة آشورية، وفي عام (853 ق.م) التقى جيشاً مؤلفاً من تحالف الإمارات والممالك السورية بزعامة حدد عزر ملك آرام دمشق وذلك في موقع قرقر على العاصي، قام بحملات عدّة باتجاه الشرق عبر جبال زاغروس مصطدماً لأول مرة مع الميديين والفرس. شهدت السنوات الأخيرة من حكمه حرباً أهلية نتيجة تمرد أحد أبنائه عليه. وتوفى دون أن يقضي على التمرد. فانتقلت هذه المسؤولية إلى ابنه شمشي آدد الخامس الذي ركز على الحفاظ على أمن دولته من الأخطار التي تحدق بها من الجهة الشمالية والشرقية. وعندما توفى كان ابنه آدد نيراري الثالث صغيراً

[116]قابلو، جباغ: تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، منشورات جامعة دمشق، 2009م، ص94.

فحكمت أمه سمورات التي تعرف في المصادر الإغريقية باسم سميراميس باسمه حتى خمس سنوات (809–804 ق.م) وجه آدد نيراري ووالدته حملات متعددة نحو الشرق والشمال الشرقي ضد القبائل التي كانت تعيش في بمنطقة بحيرة أورميا، كان هؤلاء من المانيين والميديين فتمكنت الجيوش الآشورية من الوصول إلى البحر الذي تشرق منه الشمس والذي ربما كان بحر قزوين. ووسعت حدود الدولة الآشورية من ناحية الشرق حتى وصلت إلى أعالي الزاب الأدنى وديالى. واستغل آدد نيراري الثالث الانقسامات التي وقعت بين دولة سورية فعبر في عام (805 ق.م) نهر الفرات إلى سورية. بعد وفاة آدد نيراري الثالث دخلت الدولة الآشورية مرحلة من الضعف المؤقت لم تقم خلالها بحملات تذكر إلا لأغراض دفاعية واستمرت حتى آخر ملوك فترة الضعف آشور نيراري الخامس.

لتبدأ مرحلة ثانية منذ عهد الملك تيجلات بلاصر الثالث (745– 727 ق.م). وتنتهي بعهد آشور أوباليط الثاني عام (609 ق.م) عندما سقطت آشور على يد القوة البابلية الميدية. بلغ الآشوريون في هذا العصر من القوة العسكرية ما مكنهم من بسط سيطرتهم على منطقة الشرق الأدنى القديم طوال ثلاثة قرون وأن يشكلوا إمبراطورية كبرى لم تشهد المنطقة مثلها من قبل[117]. ساعدهم على ذلك أن أغلب شعوب الشرق القديم ولا سيما مصر وبابل وعيلام قد بلغت دور شيخوختها وأن الجماعات الجديدة، ومنها الآراميين لم تجتمع كلمتها وتلم شملها، بل بقيت على تفرقها، فانفسح السبيل أمام الآشوريين ليصولوا ويجولوا في الشرق القديم من دون أن يخافوا مجابهة قوة توقفهم، وتحد من طموحات ملوكهم[118].

[117]Baudains, P; Zamaza lova, S; Altaweel; wilison, Aop, cit, , P.3.

[118] صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم – مصر والعراق، المرجع السابق، ص587

الفصل الثالث

النشاط العسكري للدولة الآشورية الحديثة من سنة (745–681 ق.م)

1. **عوامل تطور الجيش الآشوري من العصر الآشوري القديم حتى بداية العصر الآشوري الحديث.**
2. **النشاط العسكري للملك الآشوري تيجلات بلاصر الثالث (745–727 ق.م).**

2.1. في بابل

2.1.1. النزاع مع الكلدانيين

2.2. في سورية

2.3. في عيلام

3.النشاط العسكري للملك الآشوري شلمانصر الخامس (726–722 ق.م).

4. النشاط العسكري للملك الآشوري شاروكين الثاني (722–681 ق.م).

3.1. في بابل

3.2. في سورية

3.3. في عيلام

5. النشاط العسكري للملك الآشوري سنحاريب (705–681 ق.م).

5.1. في بابل

5.2. في سورية

5.3. في عيلام

1. عوامل تطور الجيش الآشوري من بداية العصر الآشوري القديم إلى بداية العصر الآشوري الحديث:

اهتزت أحوال بلاد الرافدين بمولد الدولة البابلية وحاول الآشوريون أن يكون لهم شأن في أحداث عصرهم فاشتبكت جيوش ملكهم إيلوشوما مع جيوش مؤسس الأسرة البابلية (سوم أبوم)، لكن بغير نتيجة حاسمة، ثم مضت كل من الدولتين في طريقها حتى حاول الملك الآشوري شمشي أداد (1726-1694 ق.م) أن يحقق لدولته كياناً ينافس به دولة البابليين، وجعل نينوى عاصمة لأول مرة، واتسع غرباً ناحية دويلة ماري ووجدت له رسائل عدّة في أرضها وروت نصوصه أنه تلقى في عاصمته جزى ملوك توك ريش وملوك القطر الأعلى، وأنه أقام نصباً باسمه العظيم في منطقة لبنان (لا- آب-أ-آن) على شاطئ البحر الكبير، فإذا صحت روايته الأخيرة هذه كان توسعه هو أقدم توسع آشوري في بلاد الشام وربما عادت إلى هذه الفترة بضعة نصوص وجدت في كبادوكية بآسيا الصغرى وكتبت باللهجة الآشورية القديمة[119].

لكن هذا الفاتح الآشوري مالبث حتى اعترف مضطراً بنفوذ معاصره الكبير حمورابي البابلي وأرخ رجاله وثائقهم باسم الملك الآشوري إلى جانب اسمه، أخذت آشور حينذاك بالفن البابلي في أساليب النحت ونقوش الأختام، واستعار رجال دينها بعض صفات (مردوك) رب بابل وخلعوها على معبودهم آشور ، وأضافوا أن مردوك خص من أجله منذ الأزل آلهة الأقاليم الأربعة حتى يمجدوه ولا يتهرب من عبادته

[119]صالح، عبد العزيز: الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، المرجع السابق،ص534-535.

أحد، واعتبروا إيشتار (عشتار) زوجة له ولقبوها بلقب بعليت أي (السيدة أو الملكة)، وخلعوا عليها طابع الحرب وصورها بقوس وسيف[120].

استردت آشور كيانها بعد سقوط أسرة بابل الأولى، ولكن ظل دورها ثانوياً في أحداث عصرها وفيما يوازي أغلب العصر الكاشي وذكرتها النصوص المصرية لأول مرة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد باسم (إسور) خلال عهد الفرعون تحوتمس الثالث وذكرت أن أميرها أهدى إليه كمية من اللازورد الحر وأحجاراً كريمة أخرى، لم يكن الآشوريون أسعد حظاً مع الميتانيين الذين توسعوا في أرضهم حتى كركوك خلال القرن الخامس عشر فاكتفوا حينذاك بنظام دويلات المدن[121].

في الوقت الذي كانت مملكة ميتاني تخوض صراعاً مع مصر في شمال غرب سورية، عقد الملك بوزور آشور الثالث الحاكم في آشور اتفاقاً ثنائياً مع حاكم بلاد كردونياش كما كانت تسمى مناطق الجنوب الرافدي آنذاك، يعد ذلك الاتفاق الأول بين عدد كبير من الاتفاقات التي عقدت خلال القرون التالية بين بلاد بابل وآشور، وثمة نص يعرف بتسمية التاريخ المعاصر يصف العلاقات بين البلدين خلال قرون عدة، وهو يروي أخبار تلك التحالفات وكذلك الصراعات العسكرية ولم يتضح بعد فيما إذا كان الحديث في أحد النصوص عن إرسال كمية عشرين تالنت* من الذهب من مصر إلى آشور ذا علاقة مع النشاطات السياسية الخارجية لآشور.

---

[120] سليم، أحمد أمين: دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم – العراق– إيران، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1992، ص25–30.

[121] صالح، عبد العزيز: المرجع السابق، ص534–535.

* **التالنت:** وحدة وزن تساوي الآن 30 كغ.

كانت مملكة ميتاني تراقب باهتمام وحذر الأحداث في مدينة آشور(1421 ق.م) قام الملك الميتاني سوشتر بحملة عقابية لآشور ونهب المدينة وجلب منها غنائم إلى قصره في وشّوكني عاصمة المملكة الميتانية ومن أبرز تلك الغنائم بوابة مطلية من الذهب والفضة[122].

شهد مطلع القرن الرابع عشر قبل الميلاد صراعاً حول وراثة العرش في البلاط الميتاني وبرز تياران ضمن الأسرة الملكية الحاكمة، تبع كلاً منهما أنصاره، وراحا يتصارعان وبات الوضع السياسي مضطرباً، راقبت القوى المجاورة هذا الوضع بعناية واستغلته بنجاح واستطاع الحثيون والآشوريون أن يستميل كل منهما طرفاً من طرفي الصراع الميتاني الداخلي، نظراً للأهمية الاستراتيجية التي تمتعت بها المملكة، وبدأ حاكم آشور الملك آشور أوباليط الأول يدعم الطرف الذي استماله لمحاربة الطرف الثاني الموالي للحثيين والمتمثل بالوريث الجديد بعد مقتل الملك توشراتا .

لقد كان ثمن دعم الطرفين غالياً فقد استولى الآشوريون مقابل ذلك على الخزينة الملكية وتم أسر عدد من أفراد الطبقة الحاكمة الميتانية ونقلوا إلى آشور، كما احتلوا المناطق الميتانية المركزية، لكن الطرف الموالي للآشوريين لم يستطع في النهاية فرض حكمه، لأن الحاكم المدعوم من الحثيين عسكرياً نجح في استعادة أجزاء من المملكة السابقة وتم تنصيبه ملكاً من قبل الحثيين على الرغم من ذلك أثبتت آشور حضورها بهذا الدور المتميز كقوة سياسية مستقلة إزاء القوة الكبرى الأخرى أي الحثيين[123].

ثم عقد اتفاق بين المملكتين الحثية والميتانية، وتم زواج الملك الجديد من أميرة حثية وهذا يدل على تحقق نوع من الاعتماد على الذات لدى ملوك ميتاني وحقيقة الأمر هي أن مملكة ميتاني السابقة تحولت إلى دمية بيد الحثيين وحاجز لصد الحملات الآشورية المتجهة نحو العرب.

[122]ساغس، هنري: جبروت آشور الذي كان، تر: آحو يوسف، دار الينابيع، دمشق، 1995، ص67.
[123]ساغس، هنري: المرجع السابق، ص 68.

لقد كثف آشور أوباليط الأول علاقاته مع البلاط المصري، على أمل كسب شريك قوي في مواجهة القوة الحثية العظمى، وقد عثر في تل العمارنة (في جنوب مصر) على اثنتين من رسائله الموجهة إلى الفرعون المصري، وذلك ضمن مجموعة كبيرة من المراسلات الدبلوماسية الدولية المصرية خلال عهد الفرعونين أمنوفس (أمنحوتب الثالث) وأمنوفس (أمنحوتب الرابع (أخناتون) وقد صيغت معظم رسائل المجموعة باللغة الأكادية التي كانت تستخدم خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد كذلك مراسلات دولية.

لم تقتصر هذه السياسية الجديدة على مصر، بل وجد آشور أوباليط الأول طريقاً جديداً لعلاقاته مع بلاد بابل المجاورة، إذ زوج ابنته (مبلطات شروا) من ملك بابل الكاشي (بورنا بورياش)، كانت المملكتان آشور وبابل قد عقدتا من قبل اتفاقاً حول الحدود المشتركة بينهما، على الرغم من أن تأثير آشور السياسي كان محدوداً من الناحية الجغرافية ولكنه يدل على حصول تطور استمر بمرور الزمن، خلال القرن الثالث، وقاد إلى تكون دولة آشورية. ومن اللافت أن التسمية (بلاد آشور) ظلت تظهر في اللقب (ملك بلاد آشور) وهذا يعني أن التحول من دولة مدينة صغيرة المساحة إلى دولة واسعة[124]. وكان حكام آشور ملوك مطلقين وكان واجبهم تكليفاً من الإله آشوري في حملاتهم كما تظهر ذلك النقوش الآشورية[125].

فتطور الجيش الآشوري مع الزمن، جعل من الدولة الآشورية بشكل عام دولة ذات طابع عسكري قاسي منذ عصر الدولة القديمة. إلا أن هذا الطابع بات أكثر تطوراً في الفترة الوسطى ثم الحديثة. كما أثبتت ذلك الكشوف الأثرية، حيث استفادت أيضاً من النشاطات العسكرية وحصلت على الثروات من الحروب[126]، إذ عرفوا أنواع الأسلحة وأساليب الحصار والهجوم كافة واستخدموا الخيول والعربات وتكتيك

[124]كيرشباوم، إيفا كانجيك: تاريخ الآشوريين القديم، تر: فاروق اسماعيل، دار الزمان للنشر، د.ت، 41-43.

[125]Harrison, R. Ashurnasirpal II and ninth- century Assyria, History today ltd, Landon, p. 774

[126]Mcarthur, Riana, the Exercise of Assyrian Ideology: An upturned image of reality, 2012, P.7

تقسيم الجيش إلى أقسام من المشاة والخيالة وتفاصيل كثيرة عن طرائق وأساليب القتال في المعارك الكثيرة ضد خصومهم. فلم يكن جيش آشور عبارة عن قطيع من الفلاحين المتعطشين لسفك الدماء تدعمها قوة من الفرسان القساة الذين لاهّم لهم سوى الغنائم ولكنه كان حقيقة منظمة معقدة تضم وحدات متخصصة من عدة أنواع نواتها الجيش المرابط وكان الجيش مكلفاً بمهام وواجبات عدة على أسس دائمة[127]، وهي: توفير الأمن الشخصي للملك الأمر الذي استدعى وجود الحرس الخاص الدائم والحاميات الدائمة الموجودة في نقاط مفتاحية مختلفة في الإمبراطورية وهي تستلزم تزويدها بالرجال والعتاد بشكل دائم وعلى الأمد الطويل. لن يستطيع أن يؤمن هذه الواجبات سوى الرجال المحترفين ولذلك كان بعض هذه الحاميات مسؤولاً بشكل مباشر أمام الملك وليس أمام الولاة المحليين، وهذا ما بدا من التقارير التي كانت ترسل إلى الملك من قبل قواد هذه الوحدات، إن إحدى هذه الوحدات من الجيش المرابط (الإينيتو)[128]، التي نسمع عنها الشيء الكثير كانت مجموعة من الجنود من أصول قبلية.

لم يكن هؤلاء من الآشوريين من الناحية العرقية بل كانوا مجموعة من الجنود من أصول قبلية آرامية من جنوب آشور وهم قريبون من مدينة آشور، هذا وإن قضية (الإينيتو) تظهر أن الجيش الآشوري لم يكن مقتصراً على الآشوريين فقط، إذ لم يكن لدى الآشوريين أي تمييز عنصري، فقد أدخلوا الشعوب التابعة لهم في جيوشهم واعتبروهم على قدم المساواة مع الآشوريين لأغراض القتال وكانوا يؤلفون فوجاً أو وحدة صغرى ويحتفظون بأنواع أسلحتهم وأشكال ملابسهم المستعملة في مناطقهم الأصلية ومجموعات من رماة السهام ورماة المقاليع والسيافين وفرق المشاة الخفيفة وفرق المشاة الثقيلة الذين يتميزون بأحذيتهم الثقيلة وملابسهم وأغطية رؤوسهم فضلاً عن أسلحتهم [129]. وكانت هناك وحدات تقنية

---

[127] قابلو، جباغ؛ فرعون، محمود: المرجع السابق، ص16.

[128] ساغز، هاري، عظمة آشور: تر، خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، د.ط، دار ومؤسسة رسلان، دمشق، 2011، ص366.

[129] رشيد، فوزي، الجيش والسلاح: مجلد حضارة العراق، ج2، بغداد، 1985، ص 39-62.

متخصصة وكان هناك عربات حربية تستخدم في ميدان المعركة مرافقة للجيش وعربات لنقل المعدات اللازمة التي كانت تشمل الطعام والخيام وقطع خاصة من المعدات مثل آلات الحصار والمنجنيقات عندما تصبح الطرق صعبة بالنسبة لمرور عربات النقل وعربات القطع الحربية وعندها تصبح الطرق مقفلة. كانت مهمة فتح الطرق من اختصاص جنود الاستطلاع المجهزين بالفؤوس البرونزية والنحاسية وفي بعض الأحيان عندما كان الجيش يصادف نهراً لا يمكن الخوض فيه وعبوره فإن هذا كان يقتضي إنشاء أطوافٍ أو جسورٍ كانت تضعها جنود الاستطلاع وكانت الأطواف من نوع الكيليك*.

أما الجسور فكانت جسوراً من القوارب مصفوفة عبر مجرى النهر وتوضع فوقها الألواح الخشبية التي من الممكن أن تصبح ممرات للعربات الحربية. فعندما يصل الجيش الآشوري إلى إحدى المدن المراد حصارها كان يستعان بجنود الاستطلاع لوضع المنجنيق والسلالم وأعمال حفر الخنادق. كان هناك عدد من الموظفين القلة وهم الكتبة الذين يسجلون الغنائم وتفاصيل الحملة الأخرى إذا كان هناك فئتان من الكتبة الفئة التي تكتب بالخط المسماري على ألواح من الغضار والفئة التي تستخدم الحروف الأبجدية الآرامية التي تكتب على الرقوق أو على أوراق (البابيروس) المستوردة من مصر وكان هناك أيضاً المترجمون ورجال المخابرات وكان لدى الآشوريين ما يمكن أن يسمى دائرة القساوسة وكان هؤلاء يهتمون بالشؤون الدينية لم يكن لديهم أي علاقة بالاعتناء بالجنود وأرواحهم، إن هذا الملاك من الموظفين كان ملاكاً دينياً

---

* **الكيليك:** هي عبارة عن طوف كبير يسمى كَلَكّ (Kalakku)، وهي كلمة لا تزال تستخدم في العربية الحديثة للمركبة نفسها وهي الكلك. وكان يمكن مشاهدة المراكب من هذا النوع حتى الخمسينات من هذا القرن، إلا أنه لم يعد يشجع استخدامها لأنها غير متقدمة. استخدمت جلود الشياه والماعز الكبيرة. وقد سلخت بأقل ثقوب ممكنة ومن ثم جففت وأعدت. وكانت تنفخ من الفم من خلال فتحة كانت تسد بعد ذلك بالخيط. وكان بشكل هيكل مربع من أعمدة الخشب، وأغصان الأشجار والقصب التي تثبت بحجم المركب المنوي عمله، وتربط الجلود المنفوخة به بوساطة الصفصاف وأغصان أخرى، وتربط معاً . ومن ثم ينقل المركب إلى الماء ويقّوم. ويراعى أن تكون فوهات الجلود إلى أعلى حتى يمكن فتحها بسهولة من قبل الأشخاص المسؤولين عن المركب فيما إذا انفجر أحدها أو كان بحاجة إلى نفخ. وفوق هيكل الخشب كانت توضع رزم البضائع والممتلكات العائدة إلى التجار والمسافرين. ونظراً لطبيعة تركيب الكلك، فإنه يمكن أن يكون حجمه بحجم الحمولة المطلوبة . وكان واجب الربان في الملاحة هو مجرد أن يجلب الكلك إلى التيار الرئيس ويتجنب أي تيار قد يواجهه، وبناء على ذلك يمكن الكلك أن يطفوا باتجاه التيار وبسرعة تيار دجلة. ويفترض في العصور الآشورية أيضاً، أن يفكك الكلك عندما يصل إلى وجهته وأما أ، تباع المواد التي يتكون منها في مكانها أو ترسل ثانية بالطرق البرية.
يُ نظر: ساكز، هاري: قوة آشور، تر: عامر سليمان، د.ط، منشورات المجمع العلمي، التأليف: لندن، 1984، الترجمة: بغداد، 1999، ص282.

حيث كانوا يرافقون الجيش فلم يكونوا منشغلين بتضحية القرابين فحسب بل أيضاً في تفسير وعمل التنبؤات الفلكية عند الضرورة فهناك الكثير من الأزمات التي ساهم المتنبؤون في الجيش في إعطائها قالباً من الفأل الحسن ساهم في تقوية معنويات المحاربين في الأوقات الصعبة . كان بين الموظفين الذين مع الجيش من يقومون بطقوس الجنائز بالنسبة للذين ماتوا في الخدمة العملية.[130]

قد سبق الآشوريون الدول الأخرى في البريد والاتصالات الإدارية والحربية واستخدمت الدواب وبخاصة الخيل والجمال وتدل الوثائق المكتشفة على مبلغ نجاحهم في تنظيم الاتصال بين المناطق البعيدة والعواصم الآشورية، على أن أهم عامل في أداة الحرب الآشورية هو العامل النفسي فالمجتمع الآشوري كان مجتمعاً محارباً مجنداً في سبيل الإله آشور ولكن على الرغم من ضخامة آلة الحرب الآشورية فإن النتائج التي حققتها كانت غالباً مؤقتة[131].

قد أصبحت آشور أكبر وأقوى دولة في الشرق القديم وتجلى ذلك في شخصية الملك العظيم الذكي جداً الطموح صاحب الإمكانات الكبيرة تيجلات بلاصر الثالث الذي قام بإصلاح إداري وعسكري جذري في أجهزة الدولة الآشورية كان هدفه من الإصلاح الإداري الذي بدأ تنفيذه تدريجياً بعد العام (738) ق.م ما يلي[132]:

1- لتقوية السلطة الملكية على حساب السلطات المفرطة لكبار رجالات الدولة فتمت زيادة عدد المقاطعات الموجودة في بلاد آشور، وكانت مساحاتها صغيرة كي لا تتوافر إمكانات كبيرة تحت

---

[130] عبد الله، يوسف خلف: الجيش والسلاح في العهد الأشوري الحديث، بغداد، 1977، ص 216.

[131] فرزات، محمد؛ مرعي، عيد: دول وحضارات في الشرق العربي القديم –سومر وأكاد –بابل وآشور– أمورو وآرام، ط1، دار طلاس للنشر، 1990،ص 192.

[132] ساكز، هاري: قوة آشور، المرجع السابق، ص282.

سلطة الحكام الذين أصبحوا الآن من الخصيان في معظم الأحيان وذلك لمنع نشوء سلالات حاكمة قد تفكر في الانفصال عن العاصمة .

2- أما البلاد التي خضعت للنفوذ الآشوري فعوضاً منأن تبقى مدارةً من قبل حكام محليين حُوِّلت

إلى مقاطعاتٍ آشورية تحكم من قبل حاكم يحمل لقب الآشوري (بيلبيخاتي) سيد المسؤولية أو والي (شكنو)يكون مسؤولاً مباشرةً أمام الملك، أما البلدان والشعوب التي لم يكن بالإمكان دمجها في الإمبراطورية فتركت لسلالاتها المحلية كي تحكمها مقابل أن يوضع إلى جانبها مفتش آشوري (قيبو) يعمل مراقباً ومستشاراً وقد تمتع حكام المقاطعات والولاة بسلطات عسكرية وقضائية وإدارية ومالية كبيرة.

أما الإصلاح العسكري فالهدف منه تحويل الجيش الآشوري من جيش عناصر آشورية فقط يقوم بحملاته ونشاطاته العسكرية في الصيف إلى جيشٍ إمبراطوري يضم بين صفوفه عناصر أجنبية من البلدان الخاضعة للآشوريين ويمارس نشاطه العسكري في كل فصول السنة وبذلك يصبح بإمكان تيجلات بلاصر الثالث القيام بعمليات عسكرية في أي وقت من أوقات السنة ولمدة طويلة من الزمن[133].

2. النشاط العسكري للملك الآشوري تيجلات بلاصر الثالث (745-727 ق.م) وخلفائه.

استمر العصر الآشوري القديم ما يقارب الثلاثة قرون من الزمن وقد بلغ الآشوريون فيه من القوة العسكرية ما مكنهم من بسط سيطرتهم على منطقة الشرق الأدنى القديم، وأن يشكلوا إمبراطورية كبرى لم تشهد اتساعها المنطقة من قبل وساعد على قيام إمبراطوريتهم أن أغلب شعوب الشرق القديم ولا سيما مصر وبابل وعيلام قد بلغت دور الشيخوخة، وأن الجماعات الجديدة ومنها الآراميين لم تجتمع كلمتها

[133]عبد الله، يوسف خلف: المرجع السابق، ص 216.

وتلم شملها بل بقيت على تفرقها فانفتح الطريق أمام الآشوريين ليصلوا ويجولوا في الشرق القديم من دون أن يخافوا مجابهة قوة تفوقهم وتحد من طموحات ملوكهم. يقسم هذا العصر إلى إمبراطوريتين تخللتهما فترة ركود وضعف وتبدأ الإمبراطورية الآشورية الأولى بعهد (أدد نيرراي الثاني)* وتنتهي بعهد (آشور نيرراي الخامس) ذلك حوالي عام (913-745 ق.م). حكم خلالها تسعة ملوك وتبدأ الإمبراطورية الثانية بعهد(تيجلات بلاصر الثالث) وتنتهي بعهد الملك آشور أوباليط الثاني وذلك حوالي عام (745-612 ق.م). وقد حكم خلالها عشرة ملوك[134].

انتهى عهد الدولة الآشورية بوصول ملوك ضعفاء إلى العرش من أمثال شلمانصر الرابع وآشوردان الثالث وآشور نيراري السادس الذي قامت ضده ثورة أهلية في مدينة كالخ (نمرود) قتل فيها، وتولى العرش بعده تيجلات بلاصر الثالث الذي بدأ عهداً جديداً في تاريخ الآشوريين تكونت فيه أضخم وأعظم إمبراطورية آشورية. حيث أوردت النقوش المعاصرة وكتابات العهد القديم اسمه (بولو)*[135]، وذكرته التوراة بـ (فول) سفر الملوك الثاني 15: هامش 19، إلا أنه انتحل اسماً للعرش هو(تيجلات بلاصر الثالث)، حيث تطلبت المكانة الخاصة لبابل وصعوبة السيطرة على المنطقة الجديدة الواسعة أن يبحث تيجلات بلاصر الثالث عن حل جديد، فكان ارتقاؤه شخصياً عرش بابل وبهذا الحدث اكتسبت عملية إخضاع بلاد بابل مظهراً مختلفاً تماماً عن كل الممارسات العسكرية أو الدبلوماسية التي قامت بها

---

* **أدد نيراري الثاني (912-891 ق.م):** ازدادت قوة آشور في عهده بشكل ملحوظ وتعد بداية حكمه بداية عصرٍ جديدٍ في التاريخ الآشوري هو العصر الآشوري الحديث الذي امتد حتى العام (612 ق.م).

[134] سليم، أحمد أمين: في تاريخ الشرق الأدنى القديم- العراق- إيران- آسيا الصغرى، المرجع السابق، ص119.

* **بولو:** حول اسم بولو ينظر:

Brinkman, J, A, Apolitical History of Post- Kassite Babylonia (1158-722 B.C), Roma, 1968, P. 61.

[135] صالح، عبد العزيز: المرجع السابق، ص515.

آشور حتى ذلك الحين[136] ذلك إشارة إلى السياسة التوسعية التي ينوي انتهاجها متمثلاً في ذلك في أول حاكم حمل هذا الاسم.

امتدت فترة حكم تيجلات بلاصر الثالث سبعة عشرة عاماً من (745-727 ق.م). وهناك رأي آخر ينسب هذا الأخير إلى تسلسل الأسرة المالكة على أساس كونه الأخ الأصغر لآشور نيراري الثالث. وإن هذا الأخير هو الذي اختاره لخلافته وهو مشرف على الهلاك وعلى أي حال فأياً كان الأمر فلقد أجمعت كل الآراء على كون تيجلات بلاصر الثالث من أفراد الأسرة الحاكمة وباعتلائه العرش يدخل العصر الآشوري مرحلة ثانية شهدت ازدهاراً على المستويات كافة، وهي مرحلة يمكن أن نميزها بإطلاق مسمى(العصر الآشوري المتأخر)، وإن لم يستقر بعد بين الباحثين الذين يميز بعضهم هذه الفترة (باسم الإمبراطورية الآشورية الثانية)[137]. وهي مرحلة سياسة جديدة لها صفة الثبات بدلاً من الإسراع في شن الهجمات التقليدية على الأعداء التقليديين لآشور. في هذه المرحلة فقد بدأ عهده بالعمل على توسيع رقعة الدولة وإحلال هيبتها في نفوس الشعوب المجاورة له.

بدأ أعماله العسكرية ضد الميديين في فارس بهدف تحصين حدوده الشرقية والجنوبية وبعد ذلك اتجه نحو بابل التي أعلن نفسه ملكاً عليها في عام (729 ق.م). تحت اسم (بولو). وتشير حوليات تيجلات بلاصر الثالث إلى أن جهوده الحربية الفعلية كانت موجهة ضد الأقاليم الواقعة غرب دولته حيث قضى سنوات حكمه في توجيه الحملات إلى هذه المناطق فحارب أرباد أربع مرات (هي العاصمة السياسية لمملكة بيت أجوشي الآرامية التي كانت تمتد على رقعة واسعة في سورية الشمالية بين حوضي

[136]كيرشباوم، إيفا كانجيك: تاريخ الآشوريين القديم، المرجع السابق، ص67.

[137]باقر، طه: المرجع السابق، ص560.

الساجور ووادي العاصي الأدنى، تل أرفاد أو رفعت)[138]. وتدخل في شؤون مملكة يهوذا ووصلته الجزية من العديد من البلدان مثل صور وصيدا ودمشق وسبأ وكذلك من بعض المناطق في آسيا الصغرى وتمكن من إخضاع دمشق عام (730 ق.م)[139].

لم يكتف بتبعيتها لنفوذه بل قام بنقل أهلها إلى مناطق أخرى وبذلك قضى على المملكة الآرامية فيها ثم عين فيها حاكماً آشورياً، وهو بهذا العمل قد سن سنة نقل الشعوب وتشريد أهلها من مواطنهم وهي السياسة التي سار عليها خلفاؤه وقام بتنصيب هوشيا عام (731-722 ق.م).[140] ملكاً على فلسطين ولكن قام ضده بثورة جعلت آشور تتدخل وتجتاح الجليل وقد نزل تيجلات بلاصر الثالث إلى عسقلان التي كان ملكها قد مات فاضطر خلفه أن يتنازل عن جانب من مدينته للملك الآشوري اتقاءً لشره وهكذا كان تيجلات بلاصر ينتهز كل فرصة ليتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد المتاخمة ويسعى جاهداً لتعيين حكام من آشور في كل مكان حتى في بلاد العرب[141]. أما في كنعان فإن اهتمامه بها قد بلغ حد تعيين ابنه الأكبر شلمانصر حاكماً عليها للأسباب التالية:

1- منع وحدة الممالك الآرامية بعد التحالف الذي قام بين ملوك العالم الآرامي لمواجهة الخطر الآشوري في عهده التي كانت تنتهز الفرصة كلما بدا الظرف مناسباً لذلك. وهكذا قضى تيجلات بلاصر الثالث معظم حكمه في الحروب ولكنه ترك من بعده لابنه امبراطورية واسعة الرخاء .

2- العوامل الاقتصادية: وهي الأكثر أهمية في دفع اهتمام الدولة الآشورية باتجاه العالم الآرامي. وذلك لسيطرة الآراميين على طرق المواصلات من بلاد الرافدين إلى سورية، وما لذلك من دور في قطع خطوط

---

[138]إسماعيل، فاروق: أبحاث الندوة العالمية حول تاريخ سورية والشرق الأدنى القديم (3000-300 ق.م)، المنعقدة في جامعة حلب 17-20- تشرين الأول 1992 بالتعاون مع جامعة روما، د.ط، منشورات جامعة حلب، 1995، ص158.

[139] سليم، أحمد أمين: المرجع السابق، ص324-325.

[140]سليم، أحمد أمين: في تاريخ الشرق الأدنى القديم – العراق إيران- آسيا الصغرى ، المرجع السابق، ص416.

.[141]Smith. S.M. A, the superemacy of Assyria, In C. A. H, VOL, III,PP32-42

التجارة في مصر. وبهذا فقد ثبت في النهاية للآشوريين أنه لا يمكن الاعتماد على معظم الدول التابعة في الأزمات الحرجة، لذا كانت آشور مضطرة على اتباع سياسة الحكم المباشر لضمان أمن الطرق التي اعتمدت عليها ولإضعاف تطلعات التمرد وذلك بترحيل الفئات القائدة[142].

وكان نشاط تيجلات بلاصر الثالث في بلاد الرافدين يتمثل في الآتي:

2.1. في بابل :

بدأ تيجلات بلاصرالثالث بإثبات شخصيته واستعادة مكانة آشور بفتوحاته فبدأ في بابل القريبة منه فهيمن عليها بعد مشقة وعهد بأمرها إلى صنيعة له يدعى نابو نصر[143]، وقد أثارت القلاقل والاضطرابات التي حدثت في بابل نتيجة للتنافس على العرش والصراع بين القبائل الآرامية الوافدة على الجنوب الرافدي مع سكان المنطقة الأصليين مخاوف تيجلات بلاصرالثالث وقلقه فشغل تيجلات بلاصر الثالث ببابل وذلك بعد موت ملكها المخلص له فحل ابنه محله لعامين[144]، فاغتصب رجل يدعى (نابوشوم أوكين) منه الحكم وما لبث أن اغتصب العرش منه آرامي من قبيلة إمكاني القوية ويدعى (نابو – أوكين – زير).

فأقلقت هذه التغيرات الملك الآشوري تيجلات بلاصر الثالث الذي قرر التدخل بنفسه ومعاقبة الآراميين في الجنوب، وذلك بعد محاولات لتحريض جماعات بابلية للإطاحة بالملك الآرامي الجديد لكن دون جدوى، فقاد حملة ضد الكلدانيين والقبائل الآرامية الأخرى لتماديهم كمدافع وراغب في إحلال النظام

142 ساكز، هاري: قوة آشور، المرجع السابق، ص128–129.

143 صالح، عبد العزيز: المرجع السابق، ص515–516.

144 السواح، فراس: المرجع السابق، ص105.

والهدوء في البلاد وتأكيد سيادته على الجنوب[145]، فعمد إلى أسلوب التهجير الذي اتبعه في مناطق أخرى فهجر 120 ألفاً من السكان الجنوبيين[146]، لكنه لم يقم بتقسيم بابل إلى مقاطعات آشورية كما جرت العادة عند ملوك الآشوريين عندما يفتحون بلداً من البلدان، هنا أسرع شيوخ القبائل إلى دفع الجزية وإعلان خضوعهم للملك الآشوري[147] ومنهم (بيت داكوري وبلاد البحر وبيت ياكين)، وهي إمارات مستقلة في بلاد الرافدين تأسست من قبائل آرامية في عهد الملك الآشوري آشور رابي الثاني نحو (1010-970 ق.م)[148].

رغبة من تيجلات بلاصر الثالث بإيجاد رابط يجمع بابل بآشور فاتخذ لنفسه لقباً هو ملك بابل وملك سومر وأكاد وأعلن نفسه ملكاً على بابل حتى لا تقع تحت طمع المغتصبين مرة أخرى، وعلى نحو لا يسمح بقيام أي مغامر بمحاولة الانفصال عن بلاد آشور، وأطلق على نفسه اسماً خاصاً هو بولو، وحتى يؤكد صدق نواياه، والاحتفاظ لبابل بشخصيتها وبملكها الخاص جاء في العامين (729-728 ق.م) ليرأس بنفسه بصفته "ملك بابل الطقوس الدينية الخاصة بالإله البابلي مردوك[149].

---

[145] شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، المرجع السابق، ص81.

[146] هبو، أحمد ارحيم: تارخ بلاد الرافدين (من عصور ماقبل التاريخ إلى سقوط بابل 539 ق.م، المرجع السابق، ص235.

[147] Saggs, H. W. F. , The ni mrod letters, Iraq, 1952, p 47-48. وكذلك ينظر: ساكز، هاري: قوة آشور، (لندن، 1984)، تر: عامر سليمان، بغداد، 1999، ص132.

[148] عبد الله، فيصل؛ مرعي، عيد: تاريخ الوطن العربي القديم بلاد الرافدين، المرجع السابق، ص 382.

[149] هبو، أحمد ارحيم: المرجع السابق، ص235.

2.1.1. النزاع مع الكلدانيين:

عانت مملكة آشور في بداية الألف الأول قبل الميلاد ضعفاً شديداً ففي عهد الملك الآشوري آشور رابي الثاني (1010– 970 ق.م). توصلت قبائل آرامية إلى تأسيس العديد من الإمارات المستقلة في بلاد الرافدين، استوطن التيار الآرامي ببلاد آشور وبلاد بابل من الخابور حتى عيلام، ووصل حتى شمال سورية، حيث تأسست هناك العديد من الإمارات الآرامية المستقلة وأشهرها أرفاد (**Arpad**) بالقرب من حلب وآرام حماه، وانتشر الآراميون في جنوبي سورية، وأهمها آرام دمشق، ولم يستطع الملوك الآشوريون : آشور – رابي الثاني، وآشور ريش – أيش الثاني (965–969 ق.م) ، وتيجلات – بلاصر الثاني (964–935 ق.م) مقاومة القبائل الآرامية، فتقلصت مملكة آشور إلى داخل حدودها الطبيعية[150].

لكنَّ هذا الوضع بدأ بالتغير في عهد آشور– دان الثاني (935–912 ق.م) الذي صرفَ همّه ُ أولاً إلى توطيد الوضع الداخلي في آشور، وقام بإنجازات على الصعيد الخارجي ، إذ قام بمهاجمة بعض القبائل الآرامية بإرسال حملات تأديبيّة ضدها إلى المرتفعات الجبلية ، لأنها هددت مراراً أراضي الدولة الآشورية في المنطقة المسماة مُصر Musru، وهي إلى الشمال من نينوى غرب وادي الزاب الكبير، إلا أنَّ هذا الانتعاش قابلة حقبة ضعف اقتصادي تجلّت في ظهور مجاعات، بالإضافة إلى أعباء تجهيز الجيش التي ألقيت على الجماعات العاملة من السكان، وقد كان آشور– دان الثاني مضطراً اضطراراً دائماً بعد انقضاء كل حملة عسكريّة إلى توجيه معظم اهتمامه إلى إنعاش الحياة الاقتصاية، وكان له أثر أساسيٌّ في النهوض بالدولة الآشورية في مختلف المجالات، لذلك يعدّ المؤرّخون العصرَ الآشوريَّ

[150] مرعي ، عيد: تاريخ بلاد الرافدين ط1، دمشق ، 1991 ، ص 111.

الحديث، الذي استمر ثلاثة قرون، قد بدأ في عهده. ويقسّم المؤرخون حقبة الدولةِ الآشوريّةِ الحديثةِ إلى مرحلتين:

المرحلة **الأولى:** تبدأ من عهد آشور –دان الثاني ، وتستمّر حتى حكم أدد– نيراري الثالث.

أمّا **المرحلة الثانية:** فتبدأ منذ عهد تغلات– بلاصر الثالث الذي أدخل الكثير من التجديدات على الدولة، وأعاد الهيبة للدولة الآشورية بإدخال إصلاحاتٍ مهمة عسكريّةٍ وسياسيّةٍ واقتصاديّةٍ وإداريّةٍ على الإمبراطورية، وعلى المقاطعات التابعةِ لها[151]كما سنرى.استمرت هذه الحقبة حتى نهاية الدولة الآشورية سنة (612 ق.م).

ظهرت أمام تيجلات بلاصر الثالث بعض المشكلات في منطقة جديدة فالكلدانيون كانوا يمزقون بابل، وهؤلاء الكلدانيون* هم شعوب قبلية سميت البابلية الجديدة (الحديثة) دخلوا إلى جنوب بابل في حوالي عام (1000 ق.م). وأنشؤوا أولى مستوطناتهم في مناطق المستنقعات في أقاصي جنوب بابل وهي المستنقعات العراقية الشهيرة، ثم بدؤوا بالتحرك إلى أعالي نهر الفرات وحاولوا السيطرة على بعض المدن القديمة[152].

وكانت أسباب النزاع بين الآشوريين والكلدانيين في عهد تيجلات بلاصر الثالث:

---

[151] الحلو عبد الله: التاريخ العام ، سورية القديمة ، المرجع السابق، ص613.

***الكلدانيون:** أول إشارة تؤكد وجود الكلدانيون جاءتنا ضمن نصوص آشور– ناصر– ابل (آشور ناصر– بال الثاني/ 883–859 ق.م / إذ ورد الاسم بصيغة (Kur- Kal- di) عام (778) ق.موحول ذلك يُ نظر: الجبوري، علي ياسين: القبائل العربية القديمة في بلاد بابل خلال الألف الأول قبل الميلاد، وقائع ندوة الوطن العربي والامتداد عبر التاريخ التي عقدتها دائرة التراث العربي والإسلامي في 19–20 شوال 1420هـ / 26–27 كانون الثاني، 2000م، منشورات المجمع العلمي العراقي، 2000، ص 35–36.

[152] شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، المرجع السابق، ص81.

1- في عام (734 ق.م).[153] قام أحد الزعماء الكلدانيين البارزين من قبيلة أموكاني باحتلال بابل يدعى (أوكين زير) والاستيلاء على العرش.

2- انقسمت بابل في ولائها أما بالنسبة للشعب الكلداني فإن جارهم الشمالي كان يمثل النظام القديم المستقر القائم ضد الكلدانيين المخربين، وعندما استجاب تيجلات بلاصر الثالث للوضع بإرسال القوى العسكرية فإن كثيراً من السكان المدنيين في بابل وحتى بعض السكان غير الموالين للكلدانيين مثل شعب باكودوا رحبوا بهذا العمل وقد ذكر باكودوا في كتب آرميا وزكريا[154].

وقد توجهت الهجمة من ولاية آرابخا(كركوك الحالية) وتحرك الجيش الآشوري جنوباً أسفل الضفة الشرقية لنهر دجلة ليدخل بابل بعد عبور النهر في مكان ما قرب بغداد وكانت بعض القبائل الموالية تحرس الطرق بينما كان الجيش الآشوري يتحرك غرباً ليصل إلى المدن البابلية الشمالية التي كان الكلدانيون المتمردون يحتلونها وهكذا سقطت بابل وهرب أوكين زير جنوباً إلى المستنقعات الجنوبية، لكن جيشاً آشورياً لحق به وتبعه إلى هناك بعد أن كانوا ضربوا أراضيه وأراضي حلفائه من القبائل وعندما استقرت الأمور بعد ثلاث سنوات أصبحت بابل تحت الحكم الإداري الآشوري وقد أمسك تيجلات بلاصر الثالث بيد الإله مردوك أي (أنه أخرج معه تمثال الإله) في احتفال جرى في بابل وبذلك كان مخولاً بشكلٍ رسمي بامتلاك بابل وتنصيبه ملكاً عليها، وقد اعترف الكهنة رسمياً باحتفالٍ باهر لتيجلات بلاصر الثالث ممثلاً الآلهة والملك الشرعي لبابل وذلك بإشراكه في وجبةٍ ووليمةٍ سرية خاصة بالأسرار المقدسة والمقامة تكريماً للآلهة وقد حدث هذا في عام (729 ق.م)[155].

[153] ساغز، هاري: عظمة آشور، تر، خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، المرجع السابق، ص122-123.
[154] ساغز، هاري: المرجع السابق، ص122.
[155] ساغز، هاري: عظمة بابل، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، ط1، دار رسلان، دمشق، 2008، ص129-130.

2.2. في سورية :

أراد الملك الآشوري تيجلات بلاصر الثالث أن يثبت شخصيته وأن ينتشل آشور من وحدتها، فاتجه بفتوحاته إلى حيث اعتاد الملوك العظام من قبل فاتجه بجيوشه إلى سورية، وكرس حملته العسكرية الثالثة على سورية التي كانت تمثل عقبة كبيرة في وجه التوسع الآشوري دائماً وتقض مضجع الملوك الآشوريين بتمردها المتواصل وذلك للقضاء على المقاومة في سورية فقد كان (متع إل) حاكم مملكة بيت آجوشي الآرامية وعاصمتها أرباد (تل رفعت الحالي) بالقرب من حلب قد استغل ضعف المملكة الآشورية في عهد ملكها آشور نيراري الخامس فنقض العهد الذي كان مبرماً مع بلاد آشور وشكل تحالفاً مع الممالك السورية الأخرى التي كانت تأمل في الحصول على مساعدة الملك ساردور الثالث ملك أورارتو حيث نص هذا التحالف أن: (آرام العليا وآرام السفلى وكل آرام اتحدتا)، وانضمت إلى هذا الاتحاد ممالك مليدو (ملاطيا وكوموخوا وجورجوم الواقعة على الفرات الأعلى في جبال طوروس والتي كانت تتبع مملكة أورارتو)*.

خرج تيجلات بلاصر الثالث على رأس جيش قوي ضد أرباد التي كانت القوة المحركة للتحالف ولكن لم يكد يصل إلى نهر الفرات حتى ظهر له ساردور الثالث ملك أورارتو الذي كان يطمح في طرد الآشوريين من شمال سورية وفرض سلطته هناك، فجرت المعركة بين الطرفين على ضفة الفرات شمال كركميش بالقرب من بيرجيك، ونتج عنها هزيمة ملك أورارتو وانسحابه إلى بلاده، ولم يلاحقه تيجلات بلاصر الثالث بل تابع زحفه نحو أرباد التي حاصرها نحو ثلاث سنوات من (742–740 ق.م)[156].

* كوموخوا، أو كوموخ: تقع على الحدود الشمالية الغربية للدولة الآشورية، تقع على الضفة اليمنى للفرات قرب كركيمانيءُ نظر: جباغ، قابلو: التنافس الآشوري الأورارتي للسيادة على الشرق القديم خلال النصف الأول من القرن التاسع والثامن، مجلة دراسات تاريخية– العددان 71–72 تموز– كانون الأول، 2000، ص67.

[156] سليم، أحمد أمين: في تاريخ الشرق الأدنى القديم – العراق إيران– آسيا الصغرى ، المرجع السابق، ص111–112.

وعندما سقطت ترك ذلك صدى في كل أنحاء سورية فجاء ملوك ممالك متعددة من بينهم ملوك كركميش وكوموخو وجرجوم ودمشق وصور وقدموا فروض الطاعة للملك المنتصر وكذلك فعلت بلاد أونقي والواقعة في سهل العمق وحول تيجلات بلاصر الثالث أرباد إلى عاصمة إقليمية آشورية ونصب عليها والياً آشورياً بيد أن هذا الانتصار لم يؤد إلى استتباب الوضع بشكل نهائي لصالح آشور فعندما جاء الجيش الآشوري في السنة التالية إلى سورية تشكل تحالف جديد معاد في منطقة جبال طوروس بقيادة ملك مملكة شمأل (الموقع الحالي زنجرلي في جبال الأمانوس الآرامية) الجديد الذي اغتصب العرش فهاجم الملك تيجلات بلاصر الثالث المتحالفين في عام (738 ق.م)[157]. واحتل العديد من المدن في مناطق حماه وشمأل وقسم البلاد المحتلة حديثاً إلى مقاطعات وأعاد إلى عرش شمأل الملك الشرعي (برصر بن فنمو) الموالي له ووسع منطقة نفوذه على حساب مملكة جورجوم المجاورة[158].

ففي الفترة الممتدة بين (737–735 ق.م) قام الملك تيجلات بلاصر الثالث بحملات على المناطق الواقعة إلى الشمال والشرق من آشور ضد الميديين وبلاد نائيري وملك أورارتو وهذا ما أتاح الفرصة لقيام تحالفات معادية للآشوريين في سورية فدمشق والسامرة وعسقلان وغزة رفضت دفع الجزية وتمردت صور وصيدا بسبب العوائق التي فرضها الآشوريون على تصدير الأخشاب* إلى مصر وتشكل تحالف معادٍ للآشوريين شمل كل ممالك فلسطين وشرقي الأردن نظمه حكام عسقلان وغزة[159]، فسار الملك تيجلات بلاصر الثالث في العام (734 ق.م) على رأس جيشٍ ضخم أخضع مدن الساحل الكنعاني وقسمها إلى مقاطعاتٍ عسكرية، لم يسفر الضغط السياسي والعسكري الآتي من المناطق الشرقية على كنعان عن نتيجة حاسمة إلا عندما انهارت الدولة الحثية وظهرت قوة الدولة الآشورية وحينئذ أصبح

---

[157]ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص127–128.

[158] شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، المرجع السابق، ص85.

***الأخشاب**: هي إحدى ثروات ساحل فينيقيا والسبب في حملات آشور ومصروغيرها.

[159]ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص128.

من مبادئ سياسة حكام الرافدين أن يتوسعوا غرباً لكي يقبضوا على نهاية الطريق التجارية هذا فضلاً عن أن آشور بدأت وخاصة منذ أيام تيجلات بلاصر الثالث (745-727 ق.م) ترى أن امتلاكها لسورية وفلسطين وكنعان هو الشرط الأساس لنجاح إمبراطوريتها فهو لم يكن بالنسبة لحكام بلاد النهرين بسبب ثروة بلاد الشام من أخشاب نادرة في الشرق وبسبب ثروتها المعدنية وسواحلها الطويلة على شاطئ البحر المتوسط وتجارتها الغنية فحسب، ولكنه كان كذلك وفي نفس الوقت المدخل إلى جنوب شرق آسيا الصغرى من ناحية ومصر من ناحية أخرى ولهذا سوف نرى تيجلات بلاصر الثالث فيما بعد يتخذ الخطوات الجادة مباشرة لضم الأجزاء الأساسية من سورية وفلسطين وكنعان، ومن هنا فإنه لم يقنع كغيره من الحكام الآشوريين بقبول الجزية ممن يخضعهم من الأمراء في بلاد الشام[160].

ثم توغل أبعد إلى الجنوب وهاجم عسقلان وغزة فقتل أمير عسقلان وهرب حانو ملك غزة إلى مصر ونهبت مدينته ودفعت ممالك أرواد وعمون وأدوم ومؤاب ويهودا وشمشي ملكة بلاد العرب (مناطق شمالي غربي شبه الجزيرة العربية) الجزية[161]. وبعد سنتين استنجد ملك يهودا (آخاذ) بالآشوريون بسبب مضايقات بعض جيرانه كرضيان ملك دمشق فهاجم الملك الآشوري دمشق واحتلها في عام (731 ق.م). بعد حصار قصير لها فقد خلالها رضيان حياته وتم نفي ثمانية آلاف من سكانها إلى آشور وتحويلها إلى مقاطعة آشورية. كان الملك تيجلات بلاصر الثالث قد اتخذ بعد استيلائه على دمشق سلسلة من الإجراءات للإبقاء على النفوذ الآشوري قوياً في سورية فعاقب عسقلان بشدة وفرض جزية ثقيلة على صور وأعطى عرش السامرة إلى تابعه هوشيا ونصب على عرش شمأل « برراكب » مكان أبيه بناموا الثاني الوفي للآشوريين والذي سقط في حصار دمشق وبذلك استطاع الملك الآشوري تيجلات بلاصر

---

[160] مهران، محمد بيومي: مصر والشرق الأدنى القديم-بادية الشام، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990، ص154.

[161] عبد الله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم بلاد الرافدين، المرجع السابق، ص 416.

الثالث تأمين السيطرة الكاملة على سورية حتى نهاية عهده[162]. يوجد نص على تمثال لـ « برراكب » (ابن راكب) محفوظ الآن بمتحف استانبول يذكر فيه جده بنامو. [**أنا بن راكب بن بنامو، ملك شمأل وعبد تيجلات بلاصر الثالث ملك جهات الأرض (الأربع). بسبب صلاحي وصلاح أبي، أحلني سيدي راكب ايل وسيدي تيجلات بلاصر الثالث على عرش أبي، وبيت أبي قد غنم أكثر من الجميع، لقد سرت في ركاب سيدي ملك آشور بين ملوك عظام يملكون الفضة ويملكون الذهب، وأخذت بيت أبي وجددته فصار أفضل من بيوت الملوك العظام..]**[163]وسجلت محفوظات تيجلات بلاصر الثالث في حملته على الشمال السوري ومملكة (حماه) على العاصي والمدن التابعة لها على شاطئ البحر ضمها إلى مناطق آشور ، يشير بعد ذلك إلى استلام (عسقلان) واحتلال (غزة) التي فرَّ ملكها إلى مصر مضيفاً أنه سلب من ملك غزة [....] ممتلكاته وآلهته وأمرت بصنع تماثيل لآلهتي العظام أسيادي وتمثالاً ملكياً لي من ذهب وأقمتها في قصر (غزاتو) واعتبرتها آلهة لبلدهم وفرضت عليهم[....] يكمل نص آخر ما فرضه على غزة: "ذهباً وفضة وألبسة مزركشة وكتاناً "[164].

[162]عبد الله، فيصل، مرعي، عيد، المرجع السابق، ص 515.

[163] السواح، فراس، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص105.

[164] الشواف، قاسم، مآثر ملوك العالم القديم– سومر– اكاد– آشور– أمورو– كنعان (الحكم والسياسة في العالم القديم، المرجع السابق، ص193.

2.3. في عيلام :

تفيد المصادر المختلفة في معرفة اثني عشر ملكاً حكموا المملكة العيلامية الحديثة خلال قرن من الزمن (743–642 ق.م)، وهي فترة لم يتوقف خلالها صراع العيلاميين والآشوريين، بسبب دعمهم للقبائل الآرامية التي انتشرت في جنوبي بلاد الرافدين (بلاد بابل)، وسعت إلى حكم بابل[165].

انصرف الملك الآشوري تيجلات بلاصر الثالث بين عام (737–735 ق.م) إلى محاربة أورارتو والميديين (العيلاميين) في إيران ونائيري فوصل في حملته إلى مناطق في قلب إيران لم يصل إليها ملك آشوري قبله وهو يطارد فلول القبائل الميدية (الإيرانية) حتى موقع مدينة طهران اليوم وقد غنم الكثير من الغنائم.

وقد استمر الكفاح بين أورارتو والآشوريين خلال عهد الملك الأورارتي (أرجيستيس) الذي كان معاصراً للملك الآشوري شلمانصر الرابع (782–772 ق.م)، وتمكن الملك أرجيستيس من ضم كل المناطق الواقعة حول بحيرة أورميا ثم اتجه غرباً وفرض سلطانه على معظم الولايات الموجودة في شرق آسيا الصغرى التي كانت تتبع للآشوريين ويبدو أن الآشوريون ظلوا في ضعفٍ أمام مملكة أورارتو حتى تولى الملك الآشوري تيجلات بلاصر الثالث عرش آشور وعندها فقد تمكن من تغيير ميزان القوى بين المملكتين. فقد تمكن بعد حملاتٍ سريعة من أن يستعيد الإقليم الواقع بين نهر الفرات والبحر والمتوسط ثم تابع حملاته في زاغروس وانتصر على بعض الأمراء الإيرانيين واستطاع العودة بالعديد من الأسلاب والغنائم فلقد قدمت إحدى المدن المهزومة ضريبة من أحجار اللازورد ثم تابع انتصاراته في ميديا إلى

[165]اسماعيل، فاروق: قرن من الصراع العيلامي الآشوري (نحو 743–642 ق.م)، مجلة مهد الحضارات، منشورات وزارة الثقافة– المديرية العامة للآثار والمتاحف، العددان 13–14، 2011، ص29.

شمال غرب حمدان وكانت بارسوا من بين الأقاليم النى ذكرت في حوليات تيجلات بلاصر وبعدها دفع بجيوشه بعيداً حتى وصلت إلى جبل بكنى أو عند حدود صحراء الملح [166].

ومن بين المدن التي ذكرت حوليات الملك تيجلات استيلاءه عليها شير كاري ونشاي وسهل نيسيان جنوب طريق حمدان الكبير الذي يشتهر بخيوله (مقاطعة جيان). وقام تيجلات بلاصر بتنظيم المناطق التي استولى عليها إدارياً وأعاد بناء المدن التي دمرها الحصار حيث عثر في قمة جبل فيها على بقايا قصر آشوري محصن[167].

3. النشاط العسكري للملك الآشوري شلمانصر الخامس (726-722 ق.م).

توفي تيجلات بلاصر الثالث بعد أن ترك آشور تحكم إمبراطورية واسعة تمتد من الخليج الفارسي إلى حدود مصر وتتوسع شمالاً خلال شمالي سورية إلى كليكيا والأناضول، وقد اكتسبت الحملات الآشورية تحت قيادة الملك تيجلات بلاصر الثالث السيطرة على الساحل الفلسطيني جنوباً حتى قطاع غزة وكان هذا يظهر تهديداً لمصر[168]. أيضاً تدخل الآشوريون بالتجارة المصرية ففرضوا حظراً على تصدير الأخشاب من لبنان إلى مصر فكانت هذه العوامل دافعاً لمصر لتنظيم حركات ضد الآشوريون في فلسطين وجنوب سورية [169]في السنوات التالية حيث تمت محاصرة وسبي السامرة من قبل الآشوريين وكانت السامرة هي عاصمة ما تبقى من فلسطين التي ذكرتها التوراة فتسلم السلطة في آشور[170]. بعد

---

[166] سليم، أحمد أمين: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر – العراق– إيران)، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص494-495.

[167]سليم، أحمد، أمين: دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم(5) تاريخ العراق – إيران– آسيا الصغرى، المرجع السابق، ص 425-426.

[168] شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، المرجع السابق، ص86.

[169]ساغز، هاري: قوة آشور، المرجع السابق، ص134.

[170] عبدالله الشمس، مماجد: الحضارة والميثولوجيا في العراق القديم، ط1، دار علاء الدين، دمشق، ص 2.

[170] شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، المرجع السابق، ص98.

الملك تيجلات بلاصر الثالث ابنه شلمانصر الخامس الذي حكم آشور لفترة قصيرة لا تتجاوز الخمس سنوات من (726–722 ق.م)[171].

وقد وجد اسمه في كثير من الآثار الآشورية لكن لم يوجد له إلى اليوم أثر تاريخي ينبئ بأعمال خطيرة له. وعزا ذلك إلى قصر مدة ملكه وإلى أنه لم يكن من عادة ملوك آشور أن ينقشوا ما يخلد ذكرى أعمالهم وغزواتهم الحربية إلا بعد مرور بضع سنين من ملكهم[172]. فقد ذكر لأول مرة حاكماً للمدينة الفينيقية صومور(تل الكزل الحالي جنوب طرطوس) وعندما اعتلى العرش حمل اسمين مختلفين شلمانصر الخامس ملك على بلاد آشور وقد عرفه البابليون باسم أولولو (أولولايو)* وهو اسمه الأصلي ملك على بلاد بابل وذلك للتعبير عن خصوصية بلاد بابل وحدث في عهده تمرد في السامرة في فلسطين ما استدعى الجيش الآشوري الذي حاصر السامرة ثلاث سنوات، لكن من غير الواضح فيما إذا تم الاستيلاء على المدينة في عهد شلمانصر الخامس أو في عهد خليفته شاروكين الثاني[173]. ويذكر المؤلف هاري ساغز في كتابه عظمة بابل أن الملك شلمانصر الخامس قام بمحاولة لقلب الدويلات الصغيرة في فلسطين وجنوب سورية، لقد تورط هوشيا ملك العبرانيين أيضاً بحيث سبب لنفسه هجوماً قام به شلمانصر وقد تبع ذلك الاستيلاء على السامرة بعد حصار دام ثلاث سنوات من الزمن، وتبع ذلك تنفيذ السياسة

---

171 شير، ادي: المرجع السابق، ص87.

172 الدبس، يوسف: تاريخ شعوب سورية القدماء ، تر: مارون رعد، دار نظير عبود، 1994، ص287.

*Farame, G., **The Royal Inscription of Mesopotamia, Babylonian Periods VOL. 2, Rulers of BabyloniaFrom The Secand Dynasty of Isin to End of Assyrian Domination (1157-612 B.C)** (Toronto, (RIMB), .p.134وكذلك ينظر: باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، الوجيز في حضارة وادي الرافدين، ط2، بغداد، 1995، ص187.

173سليم، أحمد أمين: في تاريخ الشرق الأدنى القديم – العراق– إيران– آسيا الصغرى، المرجع السابق، ص125.

المعتادة، وهي عمليات التهجير فقد نقلت القبائل العبرانية العشرة إلى مقاطعة غوزانو Guzanu وإلى المنطقة الواقعة جنوب شرق بحيرة أورميا[174].

يتحدث سفر الملوك الثاني من العهد القديم (الاصحاح 17-18) عن قيام شلمانصر الخامس ملك آشور بمحاصرة السامرة ثلاث سنوات ثم احتلالها وسبي سكانها إلى بلاد آشور نتيجة خيانة ملكها له بعدم تأدية الجزية السنوية ومراسلة فرعون مصر العدو التقليدي لآشور.

ويذكر فيلافيوس يوسفيوس [175](القرن الأول الميلادي) أن شلمانصر الخامس قام بحملة على سورية وحاصر صور خمس سنوات بعد أن أخضع صيدا وعكا[176].

يذم شاروكين الثاني في إحدى الكتابات سلفه المباشر شلمانصر الخامس إذ يقول: " **بينما لم يعرف سكان آشور سابقاً لا الضرائب ولا السخرة فرض شلمانصر الخامس عليهم حيث رفع يده بنية سيئة ضد المدينة ضرائب ثقيلة وسخرة وعاملهم كمن يتوجب عليه دفع فوائد لذلك وضع الإله آشور نتيجة لغضب قلبه نهاية قاسية لحكمه وسماني أنا شاروكين ملكاً على بلاد آشور ووهبني الصولجان والعرش والتاج**"[177].

تبين هذه الكتابة بشكل واضح أن انقلاباً في السلطة قد حدث بقيادة شخص ادعى أن الإله آشور هو الذي منحه الشرعية لحكم بلاد آشور ويبدو أن استخدامه اسم شاروكين يدخل ضمن إطار محاولة شرعنة ما قام به . وإن شلمانصر الخامس لم يعش طويلاً إذ عاجلته المنية ويبدو أنه لم يمت ميتة طبيعية بل يظهر أن العرش تعرض لمحنة نتيجة لثورة في الداخل. ومنهم من قال إنَّ الملك شلمانصر

---

[174]ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص130.

[175]ساغز، هاري: عظمة آشور، المرجع السابق، ص422.

[176] سليم، أحمد أمين: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر – العراق – إيران)، المرجع السابق، ص494.

[177]عبد الله، فيصل؛ مرعي، عيد: تاريخ الوطن العربي القديم بلاد الرافدين، المرجع السابق، ص 422.

الخامس قد تعرض لأسباب غير واضحة لمرض فقدان الذاكرة، ثم قضى نحبه خلال محاصرة مدينة السامرة[178].

4. النشاط العسكري للملك الآشوري شاروكين الثاني (722–705 ق.م).

بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الإمبراطورية الآشورية الحديثة تمثلت بوصول الملك شاروكين الثاني ليعتلي العرش الآشوري ولقد تميزت هذه المرحلة بالعودة مجدداً إلى سياسة إرسال الحملات إلى مناطق بعيدة وتوسيع حدود الإمبراطورية، وعند بلوغ زمن شاروكين الثاني كان الجيش الاشوري قوة ضاربة مؤلفة من قوة المشاة الثقيلة والخفيفة وخيالة وآلات الحصار يدعمها الكشافة والمهندسين والجواسيس[179] ويختلف المؤرخون حول أصل الملك شاروكين الثاني، إذ لا توجد معلومات عن أصله ويبدو أنه كان مغتصباً للسلطة ويسمي نفسه (الرجل الجديد)[180] ولايشير إلى أسلافه أبداً .

وفي مصادر أخرى ادعى شاروكين الثاني(سرجون) أنه ابن الملك تيجلات بلاصر الثالث وقد استولى على العرش بعد قيام اضطرابات في العاصمة القديمة آشور ضد سلطة الملك شلمانصر الخامس الذي لم يدم حكمه طويلاً ، وفي مصادر أخرى فإنه وصل إلى العرش الآشوري في عام (721 ق.م). رجل يدعى شاروكين ولم تذكر المصادر صلته بالملك السابق ولا بالأسرة الحاكمة، إذ يبدو أن ظهوره المفاجئ في الحكم سببه انقلاب قام به على الملك شلمانصر الخامس وأن اسمه سرجون في الأكادية (شاروكين الثاني) يعني الملك الشرعي أو الصادق واتخذه بعد توليه الحكم ليؤكد شرعية حكمه[181]. وذكرت الدراسات حول فكّر العبقرية الماضية، إذ إنَّ حملة سرجون الأكادي والتي خلفت وراءها إرثاً من

---

[178] زودن، ف. فون: مدخل إلى حضارات الشرق القديم، المرجع السابق، ص67.

[179] Todd carey, B. Assyrian king Sargon ll's urartu campaign of 714 B.C was as sensible as it was ruthless, Military History, EBSCO publishing, September 2005, p. 70.

[180] عبد الله، فيصل؛ مرعي، عيد: تاريخ الوطن العربي بلاد الرافدين، المرجع السابق، ص 421–422.

[181] هبو، أحمد ارحيم: تاريخ بلاد الرافدين (من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط بابل 539 ق.م، المرجع السابق، ص236.

الفتوحات التي ألهمت ملكين لاحقين من آشور في أن يتبنوا اسمه وعلى الأقل واحد منهم سرجون الثاني (شاروكين الثاني) جعل من اسمه مفخرة بتقوية وتوسيع فتوحات جده الأكبر وتسجيل إنجازات ينتهي في العام (705 ق.م) اسمه كأول قائدٍ آشوريٍّ يموت في القتال في معركة كما سنرى لاحقاً[182].

اعتلى الملك الآشوري شاروكين الثاني (سرجون الثاني) العرش الآشوري في طيبيت*من عام (722 ق.م). وكان لسلطة ملوك آشور حدودٌ واعترافٌ بالدعم الذي لقيه شاروكين الثاني عند استلامه السلطة فقد أعلن الإعفاء من بعض الضرائب وبعض الالتزامات ليس لشعب آشور فحسب، بل لجميع معابر بلاد آشور، كان عليه أن يواجه مشاكلَ وصعوباتٍ لا حصر لها في الداخل والخارج واضطراباتٍ في بلاد آشور وفي بلاد بابل، وقيام تحالفٍ معادٍ للآشوريون في سورية، وعداء مصر وعيلام وأورارتو العلني[183].

4.1. في بابل :

تعاظمت التحديات التي تعرضت لها آشور في بداية حكم شاروكين الثاني فانتهزت بابل فرصة قيام ملك جديد على آشور لتثير المتاعب ساعية لرفع النير عن كاهلها فانتهز مردوخ إبلا إدين زعيم ياكين الكلداني الذي ورد ذكره في التوراة مروك- ابلا-دانا(الثاني)* سفر الملوك الثاني12: 20-13. فترة المشاكل والقلاقل التي شهدتها الدولة الآشورية والتي صاحبت تغيير الأسرة الحاكمة واستعان بقوات

---

[182] Martin, R. What's in a name? … and is it always necessarily a good idea to emulate yesterday's military genius? Military History, EBSCO publishibg, October, 2002, p.1.

*طيبيت: يرد هذا الشهر في التسلسل العاشر ضمن ثبت الأشهر الآشورية والصيغة السومرية له (ITI AB. BA. E) ويعادل بالتقويم الميلادي أشهر كانون الأول / كانون الثاني. وحول ذلك ينظر: labat, R. Manual D' Epigrapfie Akkadienne,Paris, 1976, p.29.

[183] شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، المرجع السابق، ص88.

* ذكرت المصادر وجود ملكين بهذا الاسم الأول مردوك - ابلا- دانا (الأول)، مردوخ بلا دان ملك بلاد بابل (1173- 1161 ق.م) ، والاسم الآخر هو مردوك - ابلا- ادنا (الثاني)، مردوخ بلا دان (ملك بابل 721-701 ق.م) وهي الشخصية المعنية بالبحث، حول ذلك ينظر: Grayson, A. K. Assyrian and Babylonion chronicles. (New York, 1975, p.226, (ABC).

عيلامية لاسترداد سلطانه الذي فقده أيام الملك تيجلات بلاصر الثالث[184] فأعلن نفسه ملكاً على بابل في عام (721 ق.م)[185]، وذلك بمصافحة الإله بعل في عيد رأس السنة[186]. وتزعم القوم ووحد القبائل الكلدانية للثورة ضد البابليين فهاجم البابليين في عام (721 ق.م)، فعزم شاروكين الثاني على تأديب الثائرين فقاد حملة عسكرية بنفسه وسار لمنازلة العيلاميين* في مدينة الدير القريبة من بدرة الآن الذين جاؤوا من إيران لمساعدة حليفهم مردوخ الذي لم يحضر في الوقت المناسب[187] فالتحم بالعيلاميين ويؤكد كلا الطرفين انتصاره، إلا أن الواقع يشير إلى أن شاروكين الثاني فضل الانسحاب لمشاغل طارئة في آشور، ولم يجد بداً من توقيع اتفاق مؤقت مع الملك البابلي ريثما ينتهي منها ولا سيما تلك المتعلقة منها بالشأن الداخلي فأسكت المعارضة وأعاد لمواطني مدينتي آشور وحران الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها سابقاً كاملةً، وهي الإعفاء من دفع الضرائب ومن أعمال السخرة وتحرير كل معابد البلاد من الأعباء الشبيهة بذلك ونتيجة، لذلك فإن مردوخ إبلا إدين قد ظفر بتاج بابل وتمتع بالسلطة وتوج نفسه ملكاً عليها في ربيع عام (721 ق.م) بمساعدة ملك عيلام التي عادت للظهور من جديد على مسرح السياسة العالمية بعد تأسيس سلالة حاكمة جديدة في العام (742 ق.م)[188].

حسب ما أشارت إليه الحوليات الملكية العائدة لشاروكين الثاني: " في عام حكمي الثاني عشر وضع مردوك- ابلا- ادنا (مردوخ- بلادان) ابن ياكين، ملك كلدو (بلاد الكلدان) الذين يسكنون على

---

[184] Brinkman, Marduk- apla- iddina, Reallexikou der Assyriologie, Band 7, Berlin, 1987-1990, p. 375. وأيضاً حول معنى اسم مردوك ينظر: الجبوري، أحمد مجيد: معاني أسماء أعلام من العصر البابلي القديم، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، مج2، العدد2، كانون الأول 2012، ص7.

[185] هبو، أحمد ارحيم: المرجع السابق، ص237.

[186] ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص131.

* للاطلاع على علاقات بلاد آشور مع بلاد عيلام ينظر: السعدون، نصار سليمان صالح: الجوانب الحضارية والسياسية والعسكرية لعلاقات بلاد الرافدين مع بلاد عيلام في التاريخ القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة القادسية، 2002م.

[187] شير، ادي: المرجع السابق، ص89.

[188] عبد الله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي بلاد الرافدين، المرجع السابق، ص 422.

شاطئ بحر الشرق (الخليج العربي) وضع ثقته بالبحر المر وأمواجه الجبارة وخرق اليمين وامتنع عن دفع آتاواته جاء خومبانيكاش العيلامي لمساعدته... استعد للمعركة ثم انقض على بلاد سومر وآكد لمدة اثنتي عشرة سنة وضد رغبة الآلهة أحكم السيطرة على بلاد بابل مدينة سيد الإله"[189].

إن هذه النقوش كما رأينا تأكد لنا انتصار شاروكين الساحق على العيلاميين[190]، بعد أن أنهى شاروكين الثاني القضاء على مقاومة أورارتو، وأمنَّ سلامة أراضيه من الأخطار الخارجية، ووسّع خارطته السياسية[191]واستطاع أن يتوجه إلى المشكلة المتأصلة وهي مشكلة بابل فكانت عملياته العسكرية التي بدأت في عام (710ق.م). استمرت حتى عام (707 ق.م)[192]. قلد الملك شاروكين الثاني سلفه تيجلات بلاصر الثالث في تكتيكاته العسكرية الأولى وذلك بالتحرك جنوباً على الضفة الشرقية لنهر دجلة وكسب السيطرة على طول المنطقة الممتدة حتى كركميش، ودق إسفيناً بين مردوخ إبلا إدين وبين حلفائه العيلاميين ثم توجه إلى بابل الأصلية. وقد أوردت الأرشيفات الآشورية أخبار التحالف برسالة موجهة إلى الملك الآشوري جاء فيها: " **لقد كتب ابن ياكين إلى ملك عيلام، أن ملك آشور يزحف باتجاهي...**"[193].

وقد ادعى مردوخ إبلا إدين في النقوش أنه قد حمى مصالح المدن البابلية القديمة وكان هناك جزءاً لا بأس به من سكان تلك المدن يشكون في مصداقية تلك الأقوال[194]، فالتجأ مردوخ إلى العيلاميين ولكنه لم يحصل على مساعدة عسكرية منهم فهرب إلى منطقة الأهوار في الجنوب وأطلق سراح بعض

---

[189]Luckenbill, D. D. Anciont Records of Assyria and Babylonia, (ARAB), Vol. II, No: 4, New York, 1927, P. 499

[190] اسماعيل، فاروق، قرن من الصراع العيلامي الآشوري (نحو 743–642 ق.م)، مجلة مهد الحضارات، منشورات وزارة الثقافة– المديرية العامة للآثار والمتاحف، العددان 13–14، 2011، ص30.

[191] مورتكارت، انطوان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تر: توفيق سليمان، دمشق، 1967، ص 304.

[192]ساغز، هاري، قوة آشور، المرجع السابق، ص140.

[193]Fuchs, A, and Parpola.S., **The Correspondence of Sargon II, parl III Letters From Babylonia And The Eastern Provinces, State Archives of Assyria**, . (SAA), Vol. No: 200; No: 201. No: 203. XV, Helsinki, 2001,

[194]ساغز، هاري، عظمة بابل، المرجع السابق، ص131.

الأسرى من عاصمة مردوخ لقاَء إعادة بعض الأراضي المصادرة وإخماد حركات النهب والسلب ضد التجار والقوافل التجارية. وقد كان هناك فئة قوية ضمن المدن البابلية الشمالية لقبول التدخلات الآشورية، وقد فتحت بعض هذه المدن ومن بينها العاصمة أبوابها ورحبت بشاروكين الذي اعترف به رسمياً حاكماً شرعياً لبابل، وذلك بالاشتراك بالطقوس المقدسة. وبعدها هرب مردوخ إلى منطقة قبائله في المستنقعات الجنوبية وقد أصبح محاصراً فيها، فقد اشترى دعم شاروكين الثاني بدفع كمية كبيرة من المال عام(707ق.م). بذلك ترك دون أن يمس ليسيطر على أراضيه القبلية ويعين حاكماً على ولاية بيت ياكيني الجنوبية بعد أن عفى عنه شاروكين الثاني وهكذا حُلت المشكلة البابلية حلاً مؤقتاً أيام شاروكين الثاني واستتب الهدوء في ببلاد بابل طوال أيام حكمه الباقية[195].

4.2. في سورية :

قام يوبيدي ملك حماه وحانونا ملك غزة وبمشاركة أرباد ودمشق وصيمور والسامرة وحظي بدعم من الفرعون المصري بتحالفٍ معادٍ للآشوريين فدخل شاروكين الثاني في العام (720 ق.م) في حرب ضد أعدائه على جبهتين فالتقى الجيش الآشوري بالقرب من دير– Der* مع قوات الملك العيلامي خومبانيغاش(خومبانيكاش) وعلى الرغم من هزيمة الجيش الآشوري إلا أنه استطاع الاحتفاظ بمدينة دير وفي نهاية ربيع العام (720 ق.م)[196]. التقى شاروكين الثاني في معركة مع التحالف السوري هي معركة قرقر التي أدت إلى إعادة إخضاع الممالك المتمردة للسيطرة الآشورية والانتصار على جيش مصري

---

[195]ساغز، هاري: قوة آشور، المرجع السابق، ص142.

*دير– Der: بدرة الحالية تقع بين دجلة وجبال زاغروس. حول ذلك ينظر: رو، جورج، العراق القديم، تر: حسين علوان حسين، مراجعة فاضل عبد الواحد علي، بغداد، 1984، ص416.

[196] شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، المرجع السابق، ص89.

وتدمير رفح الواقعة على الحدود المصرية.[197]ولقد أشار رجل السياسة والنبي أشعيا إلى الدرس الذي ينبغي لنا أن نتعلمه من تلك الحوادث معتبراً أن آشور هي الأداة التي يستخدمها الإله للانتقام ويقول:« **أنت يا آشور العصا التي تنبئ عن غضبي، أنت المنفذة لغضبي سوف أرسل ضدها أمة بخسة وسوف أوكل آشور بالعمل ضد الشعوب التي نزل عليها غضبي وأن نأخذ الغنائم والفراش وأن تدوس آشور أعدائي وكأنهم الوحول الموجودة في الشوارع»**[198].

لقد طال غزة شيء من غضب آشور وقد كانت مصر تدعم غزة عن طريق أحد قوادها وهو الذي يطلق عليه اسم (سو– So) في العهد القديم ولكن عند حدوث المواجهة في رابيهو (Rapiho) عمد القائد المصري إلى الهرب بشكل مخزٍ تاركاً ملك غزة معرضاً للأسر والعذاب وربما الموت[199]. هذا ويصف شاروكين الثاني ما حدث في إحدى كتاباته فيقول: حاصرتُ [200]السامرة وأخضعتها وهجرت (27290) من سكانها[201] وأخذتُ منهم (50) عربة حربية والباقون جعلتهم يمارسون حرفهم التي يعملون بها ونصبت ضابطاً والياً عليهم وأعدت فرض الجزية التي فرضها الملك السابق عليهم حانونا ملك غزة [202]وريئي قائد مصر خرجوا عند رفح لخوض معركة ضدي ألحقت بهم الهزيمة. خاف ريئي من صخب أسلحتي فهرب ولم يعثر على مكان إقامة له. قمت بأسر حانونا ملك غزة بيدي من الفرعون ملك مصر ومن شمشي ملكة العرب ومن إيتامرا السبئي تلقيت جزية من الذهب وخيولاً وجمالاً يوبيدي ملك حماه الحقير الذي لا يستحق العرش الحثي السيِّئ الذي ركز تفكيره على ملكية حماه حرض أرباد

---

[197]عبد الله، فيصل؛ مرعي، عيد: تاريخ الوطن العربي بلاد الرافدين، المرجع السابق، ص 423–424.

[198]ساغز، هاري: عظمة بابل، سبانو، المرجع السابق، ص132.

[199]ساغز، هاري: المرجع السابق، ص132.

[200]Sivan, G. **The siege of Jerusalem: parti: Assyria the world power, Jewish Bible Quarterly**, VOL. 43, NO. 2, Jewish bible Association, Jerusalem, 2015, p 83-84

[201]Todd Carey,B. **Assyrian king sargon ll's urartu campaign of 714B.C was as sensible as it was ruthless, Military History**, EBSCO publishing, septemer 2005, p 70,71

[202]هبو، أحمد ارحيم: المرجع السابق، ص238.

وصيمور ودمشق ضدي وشجعها عليَّ وسلح نفسه للمعركة. استعرضت قوات آشور الضخمة في قرقرو* مدينته المفضلة حاصرته مع قواته واستوليت عليها وأحرقت قرقر[203] بالنار. أما هو فقد سلخت جلده في تلك المدينة. قتلت كل المجرمين وفرضت اتفاقاً للسلام أخذت معي (200) عربة حربية و(600) حصان ركوب مع سكان من حماه إلى آشور وألحقتهم بجيشي[204].

في نهاية العام نفسه عاد الملك شاروكين الثاني مرة أخرى إلى السامرة فأعاد بناء المدينة وجعلها عاصمة المقاطعة الجديدة ساميرينا حيث نقرأ في كتابة أخرى له ما يأتي: " **أعدت بناء السامرة وجعلتها أكبر من ذي قبل، وجعلت أناساً من بلدانٍ كنت قد أخضعتها بيدي ينتقلون إليها،ونصبت ضابطاً والياً عليها وحسبتهم من سكان بلاد آشور**"[205]. وفي العام (717 ق.م) وجد شاروكين حجة لمهاجمة كركميش المتحكمة بمعابر الفرات وآخر مملكة سورية تحكمها سلالة محلية فقد أقام ملكها علاقات سرية مع ميداس فريجية الواقعة في الأناضول فقام شاروكين باحتلالها وتدميرها وهجر الأسرة الحاكمة مع قسم من السكان إلى آشور، وأحل محلهم سكاناً آشوريين،ونظراً لأهميتها الاستراتيجية فقد حولها شاروكين إلى مقاطعة آشورية ودعم الحامية المحلية في فرقة إضافية مؤلفة من (30) عربة حربية و(200) فارس و(3000) جندي مشاة[206].

4.3. في عيلام :

***قرقرو(قرقر)**: مدينة تطل على نهر العاصي ورد ذكرها لأول مرة في نصوص الملك الآشوري شلمان- اشريد الثالث (858-824 ق.م) عندما التقى ب أدد- أدري- الدمشقي وارخلوني الحماتي بمساندة ملوك ساحل البحر وقد بلغ عددهم اثني عشر ملكاً مقدمين الدعم المادي المعنوي لصد الزحف الآشوري الهادف للوصول إلى سواحل البحر المتوسط (البحر الأعلى) وذلك بحدود عام 853 ق.م، وبعد مرور حوالي 133 عاماً ورد ذكرها للمرة الثانية بنصوص الملك شاروكين (الثاني (721-705 ق.م) وللمزيد من الاطلاع ينظر: Mieroop, M. V. D, **A History of Ancient Near East Ca 3000-323 B.C**, London.2004, p. 212

[203] شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، المرجع السابق، ص89.

[204] سليم، أحمد أمين: المرجع السابق، ص126-127.

[205] سليم، أحمد أمين: المرجع السابق، ص128.

[206] هبو، أحمد ارحيم: المرجع السابق، ص238.

أصبحت عيلام تقع على حدود الدولة الآشورية، ذلك بعد أن تم ضُمت بابل إلى الدولة الآشورية من قبل الملك شاروكين الثاني، فسرعان ما دخل شاروكين في حروب مع عيلام [207]ولكنه لم يحرز أي نجاح في هذه الحروب، وربما كان هذا من العوامل التي أدت إلى اشتعال نيران الثورة ضده في الأقاليم الواقعة بين عيلام وآسيا الصغرى ورغم محاربته في أكثر من جبهة[208] إلا أن ميديا ظلت الشوكة التي تؤلمه فقد سارت مناي تحت إمرة حاكمها الإيراني بإيعاز من روسا، لكن هذه الثورة لم تكن ناجحة فقد تعرضت براسوا عقب ذلك إلى حملة آشورية جديدة كان من نتائجها اعتراف ثمانية وعشرين من أمراء الميديين* بسلطان آشور [209].

في عام (715 ق.م) تحرك ملك أورارتو لدخول مناي مطمئناً لاستجابتها له، وذلك بدعم من دايوكا حليف أورارتو الذي أرسل ابنه رهينة إلى عاصمته روساس ليؤكد ولاءه وليطمئنه على أنه إلى جانبه ويعمل في صفه ولكن شاروكين الثاني تدخل في الوقت المناسب واستطاع أن يقضي على هذه المؤامرة وأن يأخذ دايوكا أسيراً ونفاه مع أسرته إلى حماه في سورية[210].

وفي العامين التاليين اضطر الملك شاروكين الثاني إلى الانشغال بأمر الميديين فقاد في عام (713 ق.م) حملة استولى خلالها على جملة أقاليم ومدن مهمة في إقليم كرمنشاه وهمذان، فحطم أمراَءهم وقضى على قواتهم، وأخضع فيها (142) أميراً ميدياً كان بعضاً منهم يعيش في ماوراء مقاطعة

---

[207] الخاتوني، عبد العزيز الياس سلطان: علاقات العراق القديم ببلاد عيلام حتى 639 ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الموصل، 1995، ص192.

[208]Jakubiak, K. **Someremarks on Sargon ll's elghth campaign of 714 B.C**, Iranica Antiqua, VOL XXXIX, Iran, 2004, p.1

*__الميديون:__ هم قبائل كانت تعيش وراء زاغروس على هامش حدود الإمبراطورية الآشورية، قد أسسوا دولة لهم في شمال إيران وحول إباتان (همذان). يُنظر: فرزات، محمد حرب؛ مرعي، عيد: دول وحضارات في الشرق العربي القديم (سومر وأكاد، بابل وآشور، أمورو وآرام)، ط2، دار طلاس للنشر، دمشق، 1994، ص196.

[209]سليم، أحمد أمين: المرجع السابق، ص291–292.

[210]Todd Carey, B. op, cit, p.71

همذان، وقد تباهى الملك الآشوري في حولياته بانتصاره على قوة الملوك الميديين. وقد دونت أخبارها المفصلة وجاءت على هيئة رسالة أرسلها الملك إلى الإله آشور والآلهة الأخرى على أنها تقرير حربي من شاروكين بصفته القائد الأعلى لجيوش الإله آشور[211].

فمن خلال التعرف على كيفية عمل الجيش الآشوري يمكننا التعرف إلى سر بقا ِءه في أثناء الحملات في جبال وعرة وظروف صعبة، وذلك عبر دراسة رواية الأحداث في حملة شاروكين الثاني (721-705 ق.م) إلى جبال زاغروس الشمالية، والتركيز على كيفية توفير الطعام عند انقطاع الدعم من آشور، وعلى كيفية تشكيلة الجيش الذي تعكس طبيعة الحملة. كما نتعرف على التجهيزات في بيئة صديقة، حيث كانت حملة آشورية تبدأ بتجهيز الجيش في العام 714 ق.م.

انطلق الملك شاروكين الثاني من العاصمة (كالخو) في حينها في أوائل الصيف المصادف لشهر دوزر الآشوري وانطلقت غرباً إلى حدود منطقة (مازاموا) لمواجهة القوى التي تجمعت هناك.

إن الصيف قد يبدو متأخراً لبدء الحملة في المناطق الجبلية خصوصاً إذا احتاجوا أن يعودوا إلى المنحدر الغربي لجبال زاغروس بحلول تشرين الثاني إلى أقصى حد حيث سيكون الثلج قد جعل كل الممرات الجبلية غير سالكة ومن المحتمل أن تكون قاتلة، لكنْ هناك سببان دعيا إلى اختيار الصيف كموعد للمغادرة[212].

أولاً : في ذلك التوقيت تكون الممرات خالية من الثلج، وبعض الممرات التي يستخدمها الآشوريين يمكن أن تكون مغطاة بالثلج خلال شهر تموز، والمغادرة صيفاً تعني أن الجيش يمتلك قدرة التوجه في الجبال بنجاح، وأن الحيوانات المجموعة كضريبة من ممالك زاغروس يمكن أن تسافر بدون عوائق في الجبال.

---

[211] op, cit, p.73 Todel carey,

[212] Marrioth, J, Redner,K. **Sustaining the Assyrian army among friends and enemies in 714 BC**. E, university college, London, 2015, p. 128

ثانياً: انطلاق الحملة صيفاً يدل على التخطيط لمؤن الجيش على الأرض المعادية. فقد كانت محاصيل البلدان المعادية أساسية لبقاء الجيش، حيث سيصل شاروكين الثاني إلى أرض معادية في أوائل الخريف بعد الحصاد وستكون مخازن الحبوب مليئة، وفي أيلول ستكون قد انتقلت الماشية إلى المراعي الصيفية وسيسهل على الآشوريين الاستيلاء عليها[213].

في مدينة مازاموا حيث حشد شاروكين قواته في العام 714 ق.م كانت هذه المنطقة تقع على المنحدرات الشمالية الغربية لجبال زاغروس شرقاً عن آشور التي كان مركزها سهل (شاهريزور)، وهذا ما وضع ثقلاً على المنطقة وضغطاً لتأمين المؤن وتقديم حيوانات الجر وأهمها الأحصنة. واستخدمت منطقة (لاهيرو) كنقطة تجميع القوى الأساسية لتتوجه شرقاً .

تُظهِر إحدى الرسائل أن الاستهلاك اليومي والشهري من الحبوب هو 70500 كغ من الحبوب يومياً أو 2115000 كغ كل شهر كدليل على أن شاروكين الذي يوضح التشكيلات المختلفة للجيش كان مقرراً وصولها بوقتٍ متقارب.

وإن الطبيعة غير المركزية لوحدات الجيش كانت تعني أن كل قائد كان يأتي بقواته إلى نقطة تجمع عبر مسارات مختلفة أحياناً عندمُجِّعَ الجيش بنجاح في العام 714 ق.م.

انتقل شاروكين الثاني عبر جبال زاغروس إلى قطاع آخر من المنطقة الآشورية وهو(بارسوا) في المنطقة المعروفة حديثاً بـ (سانانداج) في كردستان إيران حيث بقي شاروكين هناك فترة تجميع الجزية من الممالك الاقطاعية مما أعطاه فرصة لتخفيف الضغط على المنطقة في تأمينها مستلزمات الجيش.

---

[213] Marrioth, J, Redner,K.op, cit, p. 129

إن موقعها على الجانب الآخر من سلاسل زاغروس التي تصل إلى 3600م ارتفاعاً جعل من (بارسوا) منطقة غير ناجحة لتجميع القوات، ولكنها المنطقة المناسبة لإراحة الخيالة ولمواجهة هذه الصعوبة وجب على شاروكين الثاني اعتماد الجمال، وهذا يبرر زيادة حمولة الحيوانات ما يتطلب زيادة كمية إطعامها في مسيرتها الصعبة، واعتمادها على الجمال والبغال لقدرتها على تحمل الجوع ونقص الماء القادرة على أن تبقى 14 يوماً بدون ماء.

بعد أن نجح شاروكين في كسب الولاءات انطلق بقوة خارج حدود أشور إلى مملكة (مينا) حيث ملكها (هولوسونو) كان متوقعاً أن يقدم الإمداد للجيش وجاء الدعم من خلال إنشاء قاعدة آشورية في حصن (بانزيش) على الحدود ما بين مينا وأورارتو[214].

5. النشاط العسكري للملك الآشوري سنحاريب (705 –681 ق.م).

توفي الملك الآشوري شاروكين الثاني مقتولاً في العام (705 ق. م) على يد أحد جنوده إذ إن نهايته لم تُعلم على وجه التأكيد، ورجحت بعض المصادر اغتياله، فجلس على عرش آشور ابنه سنحاريب في الفترة (704– 681 ق.م)[215] بعد أن أرسى دعائم الحكم لسلالة قوية من الملوك المحاربين، وتوسعت الدولة من خلال مسيرته من معارك هامة[216]. يعد شاروكين الثاني أحد أعظم ملوك آشور، وكان قائداً مقتدراً[217]، حيث تتابع بعد الملك الآشوري شاروكين الثاني ثلاثة ملوك عظام من

[214]Marrioth, J, Redner,K.op, cit, p. 130

[215] شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، المرجع السابق، ص99.

[216] Todel carey, **Assyrain king Sargon ll's urartu campaign of 714BC was as sensible as it was ruthless**, Miltary History, Brian, 2005 pp70-

[217]Olmstead, A. **Western asia in the days of Sargon of Assyria**, corneu university library, New York, USA, June, 1906, p. 2-3.

أسرته، كان أولهم سنحاريب*. وقد واجهت الثلاثة مشكلات كبيرة متعددة ظهرت بوادرها منذ عهد أبيهم، وكانت لها جذور امتدت إلى ما قبل عهد أبيهم، وكان على كل واحد منهم أن يتصدى لها ويعالجها بما يتفق وأسلوبه الخاص، وكانت أهم تلك المشاكل[218]:

1- دولة بابل التي ظلت تأنف من الخضوع للآشوريين وكانت محلاً لطمع الآراميين الكلدانيين الذين ما انفكوا يسعون إلى السيادة عليها.

2- استمرار العداء مع العيلاميين الذين يدعمون الآراميين، ويحرضون البابليين على الآشوريين.

3- تمادي المصريين في تحريض السوريين للوقوف في وجه الحكم الآشوري ونفور السوريين المتواصل من العنف الآشوري.

4- رغبة آشور في إخضاع عرب الصحراء المجاورين لهم في الجنوب وتمرد هؤلاء وتمّرد آبائهم.

5- اضطراب الأحوال في الأطراف الشمالية لآشور وفي آسيا الصغرى نتيجة للنزعات الاستقلالية عند أهلها ووصول هجرات هندو أوربية جديدة إليها.

تدرب سنحاريب على أصول الحكم منذ عهد أبيه، واستلم مناصب إدارية وعسكرية مهمة، ولذا فإنه يعد من أعظم ملوك بلاد الرافدين، وقد وصلت الدولة الآشورية في عهده إلى درجة عالية من المجد والازدهار، وكان أول عمل قام به استرضاءً للكهنة إعادة العاصمة إلى نينوى وتجديد بنائها. وقد قال عنها: " **نينوى، الحصن العزيز، المدينة التي تحبها عشتار حيث مارس فيها الملوك آبائي الذين جاؤوا**

***سنحاريب:** قيل إنَّ معنى اسم سنحاريب سين يكثر الإخوة أو ياسين كثر الإخوة، أو سين يقاتل أو سين المقاتل، نظر: شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، المرجع السابق، ص101.

[218] هبو، أحمد ارحيم: تاريخ الشرق القديم، بلاد مابين النهرين- العراق، المرجع السابق، ص230-231.

من قبلي حكم مملكة آشور "[219]. وحكموا رعايا إنليل، وتسلموا هنا سنة بعد سنة جزية الأمراء من جهات الأرض الأربعة، إلا أنه لم يفكر أحد منهم بالاهتمام بقصرها مسكن الملوك.

وهو إداري متمرس إضافة لكونه جندياً، فقد كان من أنصار الحزب العسكري في آشور ولذلك فقد اعتمد في حكمه على القوة بشكلٍ مطلق، وكان أول عملٍ بدأ به سنحاريب هو الانتقال الجديد إلى عاصمة جديدة حيث كانت مدينة سرجون الجديدة، وهي دور شاروكين، وقد بنيت لحراسة المركز الشعبي وهو نينوى، واستمرت مستخدمةً كقلعة لهذا الغرض حيث كانت نينوى نفسها هي التي شُيدت وظهرت بشكلٍ لا مثيل له واختيرت كعاصمة وبقيت حتى سقوط الدولة الآشورية.

وقد وجّه نشاطه العسكري بالدرجة الأولى إلى الجبهة الغربية (بلاد الشام وبلاد بابل) أما في الجبهتين الشمالية والشرقية فق ساد فيهما نوعٌ من الهدوء والاستقرار النسبيين في عهده فاقتصرت حروبه فيهما على إرسال حملات ليست كبيرة إلى جبال زاغروس وآسيا الصغرى ولا سيما إقليم كليكيا. وفي عام (2009م) اكتشفت لقية صخرية في شمال شرق عيلام تصور شخصاً في لباس وهيئة آشورية وهي على تشابه قوي مع قطعة وجدت قريباً في شيكافتي غولكول (SHIKAFT- IGULGUL)، وقد تدلان على ملك آشوري قوي في القرن السابع قد تكون لسنحاريب أو أسرحدون أو آشور بانيبال، والمرجع الملك سنحاريب[220].

---

[219] عثمان، عبد العزيز: المرجع السابق، ص328-329.

[220] ALIBAIGI ,Sajjad, and et. All, (2012), **the discovery of aneo assyrain rock- Relief at Mishkhas, Ilam province (Iran)**, Iranica antique, VOL. XLVII, PP29-34.

5.1. في بابل :

لم يكن لدى الملك سنحاريب ميلاً في بداية عهده لاتباع سياسة والده، فقد استهان بعمليات التتويج التي كانت تجرى في بابل حيث مضت سنتان قبل أن يقوم بالاحتفالات الدينية لتنصيبه ملكاً على بابل رسمياً، وهذا ما سهل عودة مردوخ إبلا إدين إلى بابل واستيلائه على السلطة فيها. ففي العام (703ق.م)[221] قام العدو القديم مردوخ إبلا إدين بتنظيم بعض القبائل الكلدانية مع بعض القبائل الآرامية بدعم من العيلاميين فأوقع بابل في العصيان وتبع ذلك شيء من الفوضى، إذ اعتلى عرش بابل أحد الولاة الذي كان ألعوبة في يد الملك سنحاريب لمدة شهر واحد عندما أطاح به مردوخ إبلا إدين فكان رد الملك سنحاريب سريعاً وقاسياً فقد قادته تلك العوامل للعمل بأقسى أعمال العنف الممكنة ضد بابل فقاد جيشاً وانطلق به جنوباً واشتبك بالقرب من كيش* مع الجيش البابلي المدعم بالعيلاميين فحاصر واحتل مدينة كوناة قاعدة مردوخ إبلا إدين ملحقاً به هزيمةً ساحقةً[222] كما هو مدون بالنص: " .. **سرت كالأسد وأعطيت الأمر بالزحف نحو بابل سمع ذلك الشيطان بزحفي للمعركة فضلاً عن الفرسان ورماة السهام العيلاميين والآراميين والكلدانيين فضلاً عن نركال- ناصر وعشرة قادة (فرق) من عيلام الذين لا يعرفون الراحة، والذين كان معهم جيش لا حصر له قام مردوخ بلا دان بتحسين (تقوية) تنظيم هؤلاء وجلبهم إلى كوثى، وهناك ظل يراقب تقدم حملتي العسكرية وهيئت خيولي، وفي اليوم العشرين من شباط بدأت زحفي من آشور في طليعة جيشي كالثور الجبار ولم أنتظر جيشي ولم أتوقف أرسلت قواتي إلى كيش...** ".

---

[221] ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص138.

*كيش: (تل الأحيمر): مدينة تقع إلى الشرق من بابل وكانت مركز أربع سلالات حاكمة وحول ذلك ينظر: كلين، دانيال: موسوعة علم الآثار، ج1، تر: ليون يوسف، بغداد، 1990، ص488.

[222] شير، ادي: المرجع السابق، ص102.

وقد تمكن مردوخ إبلا إدين من الهرب جنوباً تاركاً بابل ليدخلها سنحاريب ويحتلها فأجلس سنحاريب على عرش بابل صنيعة له يدعى بيل إيبني(Bel-Ibni)* وأرسلت فصيلةٌ من الجيش الآشوري للبحث عن المتمرد جنوباً ولكن من دون جدوى، وطلب من تلك الفصيلة أن تزيل تحصينات كل المناطق الآرامية والكلدانية وتخريب هذه المناطق التي تضم فعلاً جميع بابل الجنوبية من نيبور* إلى الخليج الفارسي[223].

يقول سنحاريب ما يلي:

" في أثناء حملتي لقد حاصرت وهزمت وحملت الغنائم من .... مجموع 33 بلدة ذات أسوار منيعة، وتابعة لقبيلة بيت داخوري ومعها 250 قرية مجاورة وكذلك من ثماني مدن مسّورة قوية من قبيلة بيت سالي، ومعها 120 قرية محيطة بها و39 بلدة مسّورة قوية من قبيلة بيت (راموخاني)، مع 350 قرية مجاورة، وكذلك ثماني بلدات قوية مسّورة من قبيلة بيت- ياقين بالاضافة إلى مئة قرية محيطة بها، ويبلغ مجموعها جميعها 88 بلدة قوية مسّورة، في منطقة كلدية بالاضافة إلى 820 قرية مجاورة، ولقد سمحت لعساكري أن يستهلكوا الحبوب والتمور في حدائق النخيل ويأخذوا محاصيلها في السهل، ولقد مزقت وأتلفت مدنهم وأحرقتها وحولتها إلىروابٍ منسية "[224].

ولقد أدى انشغال الملك سنحاريب بالقضاء على التمرد والاضطرابات التي نشبت في سورية إلى ظهور مردوخ بلا إدين من جديد في جنوب بلاد بابل فأرسل سنحاريب جيشاً ضده في العام(700 ق.م) أجبره على الاختفاء في مستنقعات الجنوب البابلي مرة أخرى وقد وقع في الأسر الآشوري إخوته وأمراء

***بيل إيبني (Bel-Ibni)**: وهو أحد الأمراء الأجانب الكثيرين الذين عاشوا كرهائن في البلاط الملكي الآشوري وقد تربوا هناك انتظاراً لاستخدامهم في مثل هذه الأوضاع (انظر: ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص139.

***نيبور:**هي عاصمة بلاسومر الدينية في الألف الثالثة قبل الميلاد وموقعها الحالي يعرف باسم نُفر على بعد مئة وخمسين كيلو متراً جنوب شرقي بغداد(انظر: مرعي، عيد: رحلة في عالم الآثار" آثاريون ومدن أثرية"، المرجع السابق، ص280.

[223] ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص140.

[224]ساغز، هاري: عظمة آشور، المرجع السابق، ص134.

من بيت ياكين هـ ُجّر (208000) شخص إلى بلاد آشور، وأما بيل – إيبني ملك بابل فإنه كان مفتقراً إلى القدرة على السيطرة على القوات المسلحة لذلك لم يستطع أن يحافظ على كفاءة حكومية فاقتيد[225] إلى الأسر بسبب تصرفه وكأنه غير موالٍ للآشوريين ولجأ سنحاريب إلى طريقة جديدة لحل مشكلة العلاقة مع بابل بشكلٍ جذري ألا وهي تنصيب ابنه الأكبر وولي عهده آشور نادين شومي(Ashur-Nadin-Shum) ملكاً على عرش بابل[226] وذلك حفاظاً على هذا البلد بأيدٍ أمينة ولتدريب خليفته على ممارسة السلطة ولكن هذا الإجراء لم يؤدّ إلى حلٍ جذري فقد ثارت بابل من جديد بقيادة زعيم كلدي آخر وبمساعدة من عيلام وقتِ ُلَ ابن سنحاريب وولي عهده الذي نصب ملكاً على بابل مما أجبر الملك الآشوري على السير إلى بابل ودخولها في العام (689 ق.م)، فقد عامل سنحاريب بابل هذه المرة بقسوة شديدة فالعدد القليل من السكان الذي نجا من المعارك التي حدثت شُرِّوه ُ جِّر من المدينة أو بيع في سوق النخاسة، وحُطمت تماثيل الآلهة أو نقلتإلى آشور ونُ هِبت البيوت والمعابد ودُمِّرت ورُميت الأنقاض في نهر الفرات، وحُوِّل مجرى نهر الفرات، إلى المدينة لتغرقها أو تحملها معها إلى البحر. وتذكر وثيقة قانونية نشرت ترجمتها فقط:

لقد وقعت البلاد في الحصار والمجاعة والفاقة والحاجة ... وقد بيع 2 قا* من الشعير بشاقل* من الفضة [ما يقابل الجنيه الإنكليزي لكل لتر من المقاييس الحديثة]. وأغلقت بوابات المدينة ولم يتمكن أي شخص من الخروج... وملأت جثث الرجال ساحات بابل ولا يوجد من يدفنها. وبعد خمسة عشر شهراً وقعت بابل في قبضة جيش سنحاريب[227].

---

[225] شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، المرجع السابق، ص104.

[226] ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص140.

***قا: كل واحد قا يساوي 1 لتر.**

***شاقل:** كل واحد شاقل يساوي 8غ.

[227] ساكز، هاري: قوة آشور، المرجع السابق، ص150.

5.2. في سورية :

تشكل في سورية تحالف معادٍ للآشوريين، إذ حاولت صيدا وعسقلان وغيرها من المدن والممالك السورية التخلص من السيطرة الآشورية بتحرض من (مصر) التي كانت ترى في التوسع الآشوري في سورية خطراً يهدد مصالحها فخرج سنحاريب في حملته الثالثة في العام (701) ق.م للقضاء على خصومه في سورية فهرب من مواجهته (لولي) ملك صيدا مع أسرته إلى قبرص ونصب سنحاريب حكاماً جدداً على صيدا وعسقلان وتلقى الجزية من هذه المدن وكذلك من أمورو وأرواد وجبيل وأشدود وبيت عمون ومؤاب وإيدوم وغيرها، ولكنها رغم ذلك كله بقيت هذه المدن مناوئة لسنحاريب، فسكان إيكروم سلموا ملكهم الموالي للآشوريين إلى حزقيا ملك يهودا المعادي لسنحاريب ولذلك فقد خافوا من انتقام الآشوريين منهم فلجؤوا إلى الفرعون المصري شبتكا لطلب المساعدة فأرسل لهم عرباتٍ حربية وفرساناً ورماة سهام وتجمعوا في سهل التيكي استعداداً للمعركة، ولكن الفرق الآشورية شتّت شملهم وأسرت عدداً كبيراً منهم بما فيهم عساكر من المصريين واستولي على إيكرون وأُعيد ملكها السابق إليها الذي حرره سنحاريب[228].

يؤرخ العام الرابع عشر لحزقيا لفترة حكم آشور وملوك اليهودية وفتح الآشوريين ليهودا وحصار القدس الذي قاده سنحاريب[229]، حيث هاجم بعد ذلك سنحاريب يهوذا واحتل مدينة لاجيش المحصنة ثم حاصر حزقيا ملك يهودا في القدس واقتطع أراضيكثيرةً كانت تابعة له وألحقها بإيكرون وأشدود وعسقلان وغزة وحذره من الاتكال على المساعدة المصرية وقد حفظ العهد القديم ذلك في سفر الملوك الثاني

[228] قابلو، جباغ: المرجع السابق، ص430.

[229] Edelman, D. **What if we had noaccounts of Senwacherib's third campaign or the palace Depictinq his capture of Lachish?**, Bibical Inter pration Rellefs, Brill publishers, Nether lands, vol8, 2000,pp. 91

(الاصحاح 18-20-22)[230] حيث خاطب سنحاريب حزقيا بقوله:" **على من اتكلت حتى عصيت علي؟ فالآن هو ذا قد اتكلت على عكاذ هذه القصبة المرضوضة على مصر التي إذا توكأ أحد عليها دخلت في كفه وثقبتها وهكذا هو فرعون ملك مصر لجميع المتكلين عليه** "[231]. وكتابات سنحاريب نقلت رواية سنحاريب عن الموضوع دون ملل في الكتب الخاصة بتاريخ العهد القديم. وممّا قاله سنحاريب:

وبالنسبة لحزقيا اليهودي، الذي لم يخضع لغيري، حاصرت وفتحت 46 من مدنه الكبيرة المحصنة مع عدد لاحصر له من القرى المحيطة[232]، وبتقوية المنحدرات لجلب آلات الهدم (إلى الأسوار)، وبهجوم المشاة والألغام والمهاجمين وآلات الحصار... وحبسته هو نفسه في القدس، مدينته الملكية، كالطير في القفص[233].

وبعد حصار طويل للقدس اضطر سنحاريب إلى مغادرة فلسطين والعودة إلى آشور بعد تفشي مرض الطاعون بين جنوده ونشوب اضطرابات في دولته فانتهز حزقيا هذه الفرصة ليعلن الولاء للملك الآشوري خوفاً من عودته إليه وذلك بإرسال جزية إلى العاصمة الآشورية نينوى مؤلفة من كميات كبيرة من الذهب والفضة (30) تالنت ذهب و(800) تالنت فضة [234]وغيرها إضافة إلى بناته وموسيقين من الذكور والإناث وذلك بغية استرضاء سنحاريب. ويذكر النص عن حصار سنحاريب في عام (701) ق.م للملك حزيقيا ملك فلسطين في مدينة الملكية كعصفور في قفص وسلخ مدناً من بلده وسلمها إلى ملك غزة. ويصف النص: أما هو أي(حزقيا) فإن بريق سيادتي الرهيب، أخافه، فأرسل بعد

---

[230]ساكز، هاري: قوة آشور، المرجع السابق، ص147

[231]ساكز، هاري: المرجع السابق، ص430.

[232]Sivan, G. OP, CIT, p 83-84

[233]ساكز، هاري: قوة آشور، المرجع السابق، ص147.

[234] المرجع السابق، ص430.

مغادرتي إلى(نينوى)* مدينة سيادتي، المرتزقة وجنود النخبة الذين جلبهم إلى مدينته الملكية لدعم مقاومتها والذين اتخذتهم كفرقة مساعدة أرسلهم مع 30 وزنةً ذهباً و800 وزنة فضةً و(إثمد) منخوباً وكتلاً كبيرةً من العقيق الأحمر، وأسرّةٍ من البنوس والبقس والعاج وأشياء أخرى، كنزاً ثميناً وبناتٍ ونساءً من قصره ومنشدين ومنشدات، وأوفد رسولاً على حصان لتسليم الجزية وتقديم وقبول التبعية، ويشار في نص آخر إلى الهدايا السلبقة مضافاً إليها " **ألبسة مزركشة متعددة الألوان، وكتان وأرجوان أحمر وأزرق، وأوان من البرونز والحديد والنحاس والقصدير ومركبات وتروس ورماح ودروع وسيوف من الحديد وسهام ومعدات قتال بأعداد كبيرة** "[235]. يعلل العهد القديم انسحاب سنحاريب تعليلاً دينياً، إذ يقول (سفر الملوك الثاني 19:8- 37 إشعيا 13:17) " **إن الجيش الآشوري حل به الموت الإلهي وحام ملك يهوه فوقه ليلاً وفي بكرة الصباح أصبحوا جثثاً هامدة فارتد الملك الآشوري مدحوراً بخذي الوجه إلى أرضه بعد أن أصبح جيشه كالعصافة في مهب الريح** "[236]. وهنا نلاحظ كيف أن المصادر اليهودية شوهت حقيقة أمره بمختلف أنواع التحريف والخداع فما ادعته تفشي الوباء، ولكن المرجح أن الجيش رفع الحصار عن القدس مقابل دفع جزية كبيرة من الذهب والفضة والنساء ومن بينهم بيهن الملك. كما جاء في حوليات سنحاريب، ومما يؤكد مضاء قوة الآشوريين أن الملك خطط وهو في فلسطين لتحرير مصر التي كانت تحكمها سلالة حبشية أجنبية. وإن الأسباب الكامنة وراء ذلك واضحة تفضح اليهود الأمر الذي دفعهم لاختلاق الأكاذيب تحت ستار الدين والأنبياء[237].

---

*__نينوى__:هي أقدم وأشهر مدينة آشورية، تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، مقابل مدينة الموصل الحديثة في العراق، وقد كانت عاصمة الدولة الآشورية الحديثة في عصر ازدهارها الأخير. يُنظر: مرعي، عيد: رحلة في عالم الآثار" آثاريون ومدن أثرية"، المرجع السابق، ص281.

[235]الشواف، قاسم، مآثر ملوك العالم القديم (سومر – أكاد– أشور – أمورو – كنعان) الحكم والسياسة في العالم القديم، المرجع السابق، ص194.

[236] المرجع السابق، ص431.

[237] عبد الله الشمس، ماجد، الحضارة والمثيولوجيا في العراق القديم، المرجع السابق، ص93-98.

يصف سنحاريب أحداث حملته الثالثة على سورية كما يلي[238]: **في حملتي الثالثة سرت إلى بلاد الحثيين كركميش لولي ملك صيدا ركع خوفاً من هيبة سيادتي وهرب بعيداً إلى وسط البحر واختفى إلى الأبد واستسلمت صيدا الكبرى وصيدا الصغرى وبيت زيتي وزبات ومخاليبا(حالياً مخالب شمال صور) وأوشو (القسم البري من صور) وأخذي (الزيب الحالية شمال عكا) وعكا ومدنه المحصنة ومخازن ومعاقله لإشعاعات سلاح آشور سيدي وركعت عند قدميَّ نصبت طوباإيل (إتبعل) بالفنينيقية على العرش الملكي ملكاً عليها وفرضت عليه الجزية عاماً بعد عام مناحيم من سمسي مرونا (ربما في شمالي لبنان) وطوبائيل من صيدا وعبدي ليئتي من أرواد وأورو ميلكي من جبيل وميتيني من قشدود وبودوإلو من عمون وكاموش ندبي من مؤاب وعيار عامو من أدون وملوك بلاد أمورو جميعهم أحضروا هدايا كثيرة كهدايا تحية إليَّ للمرة الرابعة وقبلوا قدميَّ صيدقا ملك عسقلان الذي لم يرضخ لنيري وكذلك آلهة عائلته وهو نفسه وزوجته وبناته وأولاده وأقرباؤه هجرتهم أنا وأرسلت إلى بلاد آشور شارولوداري بن روكيبتي ملكهم السابق نصبته ملكاً على سكان عسقلان وفرضت عليهم دفع جزية وفرضت عليه دفع جزية لسيادتي وخضع لنيري خلال حملتي حاصرت وفتحت ونهبت بيت داجان (بيت داجون جنوب شرق يافا) ويافا وبني باراكا (جنوب شرق يافا) وأزورو (حالياً يازور جنوب شرق يافا) مدن صيدقا التي لم تسارع لإعلان خضوعها لي حكام وأمراء وسكان إيكرون الذين سلموا بابدي ملكهم الذي ارتبط مع بلاد آشور بمعاهدة وقسم مكبلاً بالحديد إلى حزقيا ملك يهودا ارتعدت قلوبهم بسبب هذا الإثم الذي ارتكبوه وقد استعانوا بمساعدة ملك مصر وبرماة سهام وعرباتٍ وخيول ملك ميلوخا(المصود هنا النوبة)[239] قواتٍ لا حصر لها جاءت لمساعدتهم وقد عسكر هؤلاء لمواجهتي في منطقة إلتيكي بعد أن شحذوا أسلحتهم بالاتكال إلى آشور سيدي حاربتهم وألحقت بهم الهزيمة أسرت**

---

[238] الدبس، يوسف، تاريخ شعوب سورية القدماء، المرجع السابق، ص 290.

[239] قابلو، جباغ، المرجع السابق، ص432.

يداي في وسط المعركة محاربي عربات وأمراء مصر إلى جانب محارب عربات ملك ميلوخا أحياء حاصرت إلتيكي وتيمنا وأخضعتها ونهبتها واقتربت من إيكرون قتلت الحكام والأمراء الذين ارتكبوا الإثم وعلقت جثثهم على أبراج المدينة بكاملها وحسبت سكان المدينة الذين ارتكبوا الإثم والخطيئة أسلاباً ، البقية منهم التي لم تشارك في ارتكاب الإثم والخطيئة الذين ثبتت براءتهم فقد أمرت بإطلاق سراحهم، بادي ملكهم أخرجته من القدس ونصبته من جديد ملكاً عليهم وفرضت عليه جزية لحزقيا (ملك يهودا) الذي رفض الخضوع لنيري حاصرته واستوليت على (46) مدينة محصنة وعلى عدد لا حصر له من المدن الصغيرة في محيطها وذلك باستخدام جدران الحصار وأكباش الهجوم وقتال المشاة وحفر الخنادق وإحداث الثغرات وسلالم الهجوم وقد أخرجت منها (200) ألف و(150) إنساناً صغيراً وكبيراً مذكراً ومؤنثاً وأحصنةً وبغالاً وحميراً وجمالاً وثيراناً وحيوانات صغيرة بلا عدد وحسبتها غنائم وحاصرته هو نفسه حزقيا كعصفور في قفصٍ في القدس مقره" [240].

اعتمد المؤرخون المادة التاريخية الآشورية كمصدر موثوق أكثر لتوقيت حملة سنحاريب الثالثة وهجومه على يهوذا، ولو لم يكن لدينا دليل على حملة سنحاريب الثالثة سنكون رغم هذا قادرين على أن نستنتج ونلخص أن عام حزيقيا الرابع عشر من الحكم وقع ضمن حكم سنحاريب، ونميل إلى هذا أكثر من وقوعه في عهد شاروكين الثاني، وهذا بناءً على خلفية التزامن الآشوري البابلي بدراسة فترات الحكم السابقة واللاحقة وبدراسة النقاط المهمة في فترات حكم الملوك الآشوريين واليهود وسيكون بإمكاننا أن نحدد تاريخ حزيقيا وحصار القدس من قبل سنحاريب حتماً 705 ق.م، ولهذا فإن نقاط تقاطع أخرى سيكون أمر غير مهم. والنتائج التي يمكن للعلماء مناقشتها هي أن الكاتب الإنجيلي قام بتدوين العام الصحيح ولكنه أخطأ باسم الملك الآشوري.

---

[240] قابلو، جباغ، المرجع السابق، ص433.

هذه الحملة المذكورة حدثت تحت حكم شاروكين الثاني في الأعوام (712–714) ق.م، أو العلماء سيخلصون إلى أن الكاتب الإنجيلي أخطأ بتدوين العام ولكن اسم الملك صحيح ولهذا سوف يستنتج أن الحملة المذكورة لابدّ أنها حدثت في العام (701 ق.م)، وبما أن التقارير الكثيرة لحملات سنحاريب الثمانية قد تم حُفظت بنقوش كثيرة ولكن ليس منها أي واحدة بجوار سيجوردان (الأردن). فإن المؤرخون بدون شك سيربطون الرواية الانجيلية بالحملة الثالثة المفقودة في المقام الأول، كان شاروكين الثاني نشطاً في في فيلستيا عامي 712–714 ق.م، في حملة على أشدود لتحويلها إلى مقاطعة آشورية، وبالنظر إلى الخراب والدمار فقد نميل إلى تضمينها في حملة سنحاريب المفقودة[241].

إن النص السابق يبين أن معظم المدن سورية الساحلية والجنوبية (أي المدن الفلسطينية) حاولت التخلص من السيطرة الآشورية عليها لكن جيوش آشور الجرارة قضت على تلك المحاولات على الرغم من تلقي المساعدة من مصر .

5.3. في عيلام :

رغم أن الأرشيف الآشوري واللقى في قصور آشور الجديدة شمال الرافدين تقدم معلومات مهمة والصراعات والحملات والانتصارات لكنها تقدم القليل من الدلائل في غرب إيران عن الحملات ضد السكان الأصليين لزاغروس وخلال عام (2009) م اكتشفت لقى حجرية في جنوب غرب عيلام تصور شخصاً بلباس وملامح آشورية، ولم يكن نظراً للشبه القريب للمكتشفات في شيكافتي غوغول من المحتمل أنها تصور أحد أقوى الملوك الآشوريين مثل سنحاريب[242].

---

[241]Edelman, D. **What if we had noaccounts of Senwacherib's third campaign or the palace Depictinq his capture of Lachish?,** Bibical Inter pration Rellefs, Brill publishers, Nether lands, vol8, 2000,pp. 91-92.

[242]Ali baigi, S; Shanbeh zadeh, A; Alibaigi, H. **The discovery of aneo- Assyrian rock- relief at mishkhas, ilam province**, Iranica antique, vol. xl Vii, 2012,p.29.

ظهر الكلدانيون كأحد العوامل المعطلة والمعيقة لآشور ومصالحها ومصالح مدن بابل الشمالية خلال العقود الأربعة الماضية وبدعم ومساندة من عيلام حيث قام بتقديم الملاذ والمساعدة من إجراءات التأديب الآشورية فأصبح الكلدانيون في وضع يصعب السيطرة عليه، ولهذا فقد قرر سنحاريب معالجة المشكلة من خلال ضرب عيلام بشكل مباشر فقام في عام (694 ق.م) بهجوم بحري عبر الخليج العربي حيث كانت هذه العملية تعد ضخمة لوجستياً وهي فن نقل الجيوش وتزويدها بالمؤونة والسلاح فقد كان لديه سفن بنيت في نينوى فأبحرت إلى أسفل دجلة بقيادة بحارة كنعانيين ونقلت الجيوش إلى البر بواسطة عجلات أوصلتهم إلى قناة تصب في نهر الفرات وبعد ذلك أبحر الجيش إلى الخليج وهناك أُنزال الجنود ونقلهم إلى شواطئ عيلام[243].

وعلى الرغم من المقاومة أمن الآشوريون رأس جسرٍ ومن هناك استولوا على عدد من المدن العيلامية ونهبوها مع أنهم لم يتقدموا نحو العاصمة سوزة فردت عيلام بتكتيك مفاجئ بالنسبة لسنحاريب فبدلاً من الدفاع عن الجنوب قامت عيلام بغزوة عبر نهر دجلة إلى شمالي بابل، وبسبب عامل المفاجأة هذا قطع العيلاميون المواصلات الآشورية واعتقلوا الابن الذي نصبه سنحاريب ملكاً على بابل ونصبوا ملكاً مطيعاً لهم مكانه، وهنا يبدو أن نظام الاستخبارات الآشوري كان أقل فاعلية بالنسبة للعيلاميين وقواهم مما كان عليه بالنسبة لأورارتو ولكن قوى العيلاميين الغازية لم تكن نداً للقوى الآشورية فانسحبت بعد اشتباكٍ بسيط مع جيش سنحاريب العائد من القتال.

ولكي يمنع تكرار حدوث تدخل العيلاميين عمد سنحاريب في عام (693 ق.م) إلى مهاجمة عيلام من خلال ولاية الدير التي قام منها العيلاميون في غزوة ضد بابل الشمالية وهنا قام شخص آخر من المدعين بأحقيته في العرش البابلي بعصيان وطلب مساعدة من العيلاميين والتحالف معهم وهكذا فقد

[243] ساكز، هاري: قوة آشور، المرجع السابق، ص148

واجه سنحاريب حلفاً مؤلفاً من العيلاميين والكلدانيين ومؤيديهم في عام (691 ق.م) على نهر دجلة في مكان ما شمال بابل، ولكن تذكر بعض التواريخ البابلية[244] أن سنحاريب أجبر على التراجع مع أنه ادعى أنه انتصر ويذكر هذا التاريخ البابلي أن أحد الباحثين الذي ناقش هذه القضية وصف قصة سنحاريب عن المعركة أنها كذب ضخم وغير عادي، وربما كان في قوله هذا شيء من المبالغة فلم يكن المشهد الذي وقعت فيه المعركة جنوبي ديالا التي اعترف بها بأنها أحد حدود آشور الجنوبية الشرقية وأن الجيش العيلامي المتجه شمالاً قد واجه الجيش الآشوري هناك، وهذا يعني أن عيلام كانت تهدد بغزوها لآشور[245].

وقد كان نجاح جيش سنحاريب في تلك المعركة الدامية قد دق التحالف العيلامي في الصميم وبشدة لدرجة أنه مع أنهم كانوا يقفون على الحدود إلا أنهم لم يستطيعوا المرور وأنه من وجهة نظر سنحاريب مع وجود الجيش الآشوري تحت التهديد الواضح فإنها كانت معركة انتصر بها سنحاريب حقاً. وقال سنحاريب في إحدى كتاباته: « **إني عقدت التاج على رأسي للمحاربة وركبت عربتي المخيفة المبددة للأعداء وكان قلبي يشتعل بنار الثأر. فمسكت القوس القوي الذي أعطاني آشور وقبضت على الدبوس المتلف الحيوة. وحملت بشجاعة وجلالة على جيش العصاة المرذولين وانقضيت عليهم نظير اداد**» وكان القتال شديداً . ووقع خومبوداش قائد الجيش العيلامي قتيلاً. فسرى الخوف في قلوب الحلفاء ووقع نابوز كرشكون بن مردوخ إبلا ادين أسيراً بيد الآشوريين وهرب ملك عيلام وملك بابل كل منهم إلى عاصمته. هذا ما أتى في آثار سنحاريب[246].

[244] ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص141

[245] ساغز، هاري: عظمة آشور، المرجع السابق، ص137-138.

[246] شير، ادي: تاريخ كلدو وآثور، ص108

الفصل الرابع

النشاط العسكري للآشوريين من سنة (681-609 ق.م)

1. **النشاط العسكري للملك الآشوري أسر حدون (681-669 ق.م).**
   - 1.1. في بابل
   - 1.2. سورية
   - 1.3. عيلام
   - 1.4. في مصر
   - 1.5. نهاية أسر حدون
2. **النشاط العسكري للملك الآشوري آشور باينبال(668- 628 ق.م).**
   - 2.1. في بابل
   - 2.2. في سورية
   - 2.3. في عيلام
   - 2.4. في مصر
3. **النشاط العسكري للملك الآشوري آشور إتل إيلاني(627- 625 ق.م).**
4. **نهاية الدولة الآشورية وأسباب سقوطها.**

1. النشاط العسكري للملك الآشوري أسر حدون (681-669 ق.م).

يسميه الآشوريون آشور أخا الدين (Assoor-akhaiddin)، وقد ورد اسمه في التوراة أسر حدون، وورد اسمه في بعض الكتب العربية آشور أخي الدين، وأحياناً (آشور أخ الدين)، فلم يكن الابن الذي ورث سنحاريب هو أحد قاتلي الوالد وأن الظروف التي أحاطت بارتقائه العرش تصور عدداً من مصادر المجتمع الآشوري، فقد كان ابناً حدد له سنحاريب وراثته وذلك كما يخبرنا في نقوشه ، حيث عثر العلماء على وثيقةٍ من عهد آشور أخا الدين تقص كيفية وصوله إلى الحكم: " **أسر حدون الملك العظيم، الملك الشرعي، ملك العالم، ملك آشور، حاكم بابل، ملك سومر وأكاد، ملك الأنحاء الأربعة للأرض، الراعي الحقيقي، المحبوب من كبار الآلهة، الذي اعترف به آشور، شمش، بعل، نبو، عشتار نينوى، وعشتار أربيلا، ملكاً على آشور منذ صباه، كنت حقاً أصغر إخوتي ولكن أبي بأمر من آشور ، سن، شمش، بعل، نبو، عشتار نينوى،عشتار أربيلا قال لي بحضور إخوتي: هذا هو ابني الذي يخلفني ثم وضع هذا الأمر أمام شمش وأدد عن طريق الوحي وأجابا قائلين: حقاً هو من يحل محلك**".[247]

لم يكن ضرورياً أن يكون الولد البكر هو الملك وحتى الملك الحاكم لم يمتلك الصلاحيات المطلقة حول قضية الوراثة ما دام تسمية ولي العهد ينبغي أن تصادق عليها الآلهة وهذا يعني قرار الكهنة وقبولها. وبعد أداء القسم من قبل العائلة الملكية وممثلي الشعب، حيث يذكر نقش أسر حدون شيئاً عن هذه الإجراءات المتبعة:

" **سر ولا تتراجع.**

فنحن سائرون إلى جانبك

---

[247]عثمان، عبد العزيز: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص335-336

وسوف نزيح أعداءك".

وهذه رسالة لتطمين أسر حدون لشرعية قضيته:

" ولكن مع أنني كنت الأخ الأصغر لإخوتي الكبار وبأمر من الإله آشور وسن، وشمش، وبعل، ونابو، وعشتار أربيل، فإن والدي الذي أنجبني قد رقاني ورفع قيمتي بين إخوتي قائلاً:

" **هذا هو ابني الذي سيرثني**". وعندما طلب الحصول على رأي الإله شمش والإله أباد وهما من آلهة الوحي قالا له: نعم وبحزم. قائلين: " **إنه هو وريثك**"[248]. وهذا ما ذكره الأرشف الملكي في نينوى " **ابنك وحفيدك سيحكمان كملكين على حضن (نينورتا)**[249].

ولقد أظهر والدي الاحترام اللائق لكلمتيهما المهيبتين. وبعدها جمع شعب آشور صغيرهم وكبيرهم، وكذلك إخوتي ذرية بيت والدي وقد جعل الجميع يقسمون بكلام مهيب أن يحموا حقي في الوراثة، وذلك أمام الإله آشور وسين وشمش ونابو وهم ألهة آشور، ودخلت الآلهة القصر الذي يوحي بالرهبة حيث يوجد روح وعطر الملكية.

ولكن الأمور لم تجرِ كما كان يشتهي سنحاريب الملك المقتول والبالغ من العمر أكثر من (60) عاماً على يد أحد أبنائه في نينوى[250]. فقد اضطر أسر حدون أن يناضل من أجل وراثة العرش فبعد اغتيال سنحاريب تنافس أبناؤه على الملك، حيث كان قائد الجيش أسر حدون متمركزاً في مكان ما في القرب وأن عملية الاغتيال قد تم توقيتها في غياب ولي العهد[251]. ولكن أسر حدون أبقى جيشه في تمام الحيطة

---

[248] ساغز، هاري: عظمة آشور، المرجع السابق، ص141.

[249] Lamb. D. **The nom - eternal dynastic prmises of jehu of Israel and Esarhaddon of Assyria, vetus testamentum**, VOL60, Brill publishers, Netherlands, 2010. P.337-338.

[250] Novotenw, J. N, **New proposed chronological sequence and dates of compostion of Esarhaddon's Babylon inscriptions,** university of Pennsylvania, USA, 2015, p145.,

[251] Smith. S. M. A., **″ Sennacherib and Esarhaddon″**, In C. A. H., VOL. III, PP61-79.

والاستعداد لخوض المعركة فقد استطاع أن يتحرك باتجاه آشور بالسرعة الفائقة دون التوقف لإجراء الترتيبات والتفتيشات والتزود بالمؤن، وكل تأخره الوحيد هو الطلب من الآلهة أن تمنحه وحياً . وجاء هذا الوحي في وقته :

" سر ولا تتراجع.

فنحن سائرون إلى جانبك

وسوف نزيح أعداءك".

فقد كانت هذه الرسالة لتجعل جيش أسر حدون واثقاً بقضيته ولبذر الشكوك بين أفراد عساكر منافسيه. ولقد واجهته عساكر قتلة الملك في منطقة الخابور الأعلى وحدثت اشتباكات حادة.

كانت الروح المعنوية لدى قتلة الملك وعساكرهم الذين تورطوا في حرب أهلية ضد شخص يعلمون علم ليقين أنه ولي العهد الذي وافقت الآلهة على تنصيبه منخفضةً وفي منتصف المعركة انتشرت صيحات تقول هذا هو ملكاً وهكذا انتقل عساكر قتلة الملك إلى أسر حدون وأظهر ممثلو الشعب الطاعة فأصبح العرش عرشه بالتأكيد فوطد سلطته واستلم الحكم سنة (680 ق.م) وقضى على الفتنة .[252]

1.1. **في بابل:**

تذكر النقوش البابلية عن أسر حدون وتقدم أفضل مجموعة نصوص لهذا الملك في القرن السابع قبل الميلاد، وكانت هذه النصوص تشكل تحدياً في فهم محتوياته بالإضافة إلى ترتيبها التاريخي الذي كتبت فيه، وخلال 12 عاماً من حكم آشور وحكمه الأمر الواقع لبابل، وهناك نصوصٌ تعلق على

---

[252] ساغز، هاري: عظمة آشور، المرجع السابق، ص142–142.

إنجازاته في كل من مجال الحروب باللغة الأكادية واللغة السومرية وليس هناك أقل من 143 نصاً مؤكداً معروفاً اليوم والنصوص البابلية هي الأفضل كنقوش رسمية ذات أهمية كبيرة لأشور وبابل[253].

منذ اعتلاء أسر حدون العرش واجه ثورةً في الجنوب قام بها أحد أبناء مردوخ بعل الدين ويسمى (ينو- زير- كيني- ليسير)، إذ أعلن استقلاله في منطقة القطر البحري فسار إليه آشور أخا الدين وهزمه فالتجأ إلى عيلام حيث استقبله ملكها (حومان حالداش الثاني) سنة (681-676 ق.م)[254]، إلا أن الأخ الأصغر لهذا الملك نايد مردوخ ذهب إلى نينوى وأعلن خضوعه للآشوريين فقام آشور أخا الدين أسر على القطر البحري على أن وقد باتبع سياسةً جديدةً بالنسبة لبابل لم يسر عليها أحد من قبله من ملوك آشور، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن أمه كانت بابلية فأراد أن يكسب قلوب البابليين فأمر بإعادة بناء بابل.[255] فقد كان أسر حدون ينتمي إلى الجماعة المتعاطفة مع بابل في داخل آشور، وقد كرس جهود الناس بها وموارد مالية لإزالة الأضرار التي ألحقها والده في بابل، فقد كانت هناك المشكلة الأساسية التي مفادها: أن الآلهة وضعت مدينة بابل تحت اللعنة لمدة سبعين عاماً. وكان من الواجب إزالة هذه اللعنة، وهذا النوع من الأوضاع هو تفسير لتغيير الخطط الإلهية ووضع الكهان في موقفٍ ليتخذوا فيه دورهم الحقيقيي. فقد فسر الكهنة الموقف بقولهم.ومع أنه في أوقاتٍ سابقة لقد حكموا باللعنة على بابل مدة سبعين عاماً: على أن الإله الرحيم مردوخ وهو رئيس الآلهة في المدينة قلب لوح القضاء على رأسه، وأمر بإعادة إعمار المدينة في العام الحادي عشر. وتفسير ذلك هو أن شكل الرقم (70) بالكتابة المسمارية يصبح (11)[256]، عندما يقلب، وذلك يحدث عندنا عندما نقلب الرقم (8) فيصبح (7)،

---

[253]Novotenw, J. N, op, cit, p.164.

[254]ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص144.

[255]عثمان، عبد العزيز: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص336-337.

[256]ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص145.

أو عندما يقلب الرقم (9)، فيصبح، (6)، والعكس صحيح[257]. وذلك بنقل الحروف المسمارية لتصبح المدة إحدى عشرة سنة. وهكذا فقد انتهى الحرمان بالنسبة إلى بابل في أول سنة من حكم أسرحدون. ولقد حدث أن أتلفت بابل قنوات المياه بحيث أصبحت مكاناً يكثر فيه القصب والأجماث، ولهذا فقد عمد أسر حدون إلى تحويل المياه وقطع النباتات البرية التي كانت تسيطر على المدينة وبعدها تقدم لإعادة بناء المدينة وأسوارها ومعبد مردوخ العظيم وهو معبد الساجيلا. ولقد وضع أسر حدون سلةً فوق رأسه كأنه أحد العمال، ووضع قالباً من الغضار، وقد أعاد السكان المواطنين الذين هربوا، وأعاد لهم أراضيهم وحقوهم وامتيازاتهم وأعفاهم من الضرائب. كما أعاد عادة تقديم القرابين الدينية في معبد الساجيلا، وأعاد الاحترام لطبقات عديدة من خدمة المعبد مع حدوث نفس الإجراءات في المدن الأخرى في بابل والتي أعيدت الإمتيازات القديمة للمواطنين فيها. وساعدت هذه السياسة إلى إعادة العطف على بابل[258]. وهكذا أصبح وضع آشور في بابل راسخاً ومؤمناً بحيث إنه وفي عام 676 ق.م كان من الممكن استعمال بابل كقاعدة لحملة متجهة إلى الصحراء الملحية في بلاد عيلام[259].

1.2. **في سورية:**

في الشمال الغربي كانت آشور تدفع أماكن سيطرتها بالتدريج إلى ما وراء سورية وكيليكيا إلى داخل آسيا الصغرى، ولكن هذا التقدم واجه تحدياً أتى من قبل السيمريين والإسكدذيين(وهم الجومر أو الجوحر والأشكيناز* في التوراة) ولم تكن كيليكيا راضية عن هذه الأحوال، فقامت صيدا وهي إحدى المدن الكنعانية المرتبطة مع كيليكيا بمصالح بحرية مشتركة والتي أساءت فهم القوة الآشورية بالتمرد على

---

[257] عبد الله، فيصل؛ مرعي، عيد: تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين)، ص438.

[258] ساغز ، هاري: عظمة آشور ، ص143-144.

[259] ساغز ، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص145.

* **الأشكيناز**: وهم المعرفون حسب المصادر المسمارية باسم أشكوزايا (Ashguzaya).

آشور حيث تمرد ملكها وتحالف مع ساندواري (Sanduari) وهذا كان حاكماً لبعض المدن الواقعة على خليج أنطاكية[260]. فأرسل أسرحدون في عام (677 ق.م) حملتين على سورية:

الحملة الأولى: ضد مغتصب عربي لعرش دمشق الذي طرد ابن حزائيل الموالي للآشوريين.

الحملة الثانية: ضد صيدا التي اعتقد ملكها عبدي- ميلكوتي أن بإمكانه التخلص من السيطرة الآشورية فثار على أسرحدون معتمداً على دعم أحد ملوك كليكيا ولكنه فشل بثورته وقُطع رأسه مع حليفه ملك كليكيا وأقيمت مكان صيدا المدمرة مدينة جديدة سميت (كار أسر حدون)*[261]، وجُهِّز من بقي حياً من سكان صيدا إلى بلاد آشور، أما المناطق التي كانت تتبع صيدا فقد أعطيت إلى بعل ملك صور مكافأة له على موقفه الموالي للآشوريين وعقد معه أسر حدون معاهدة تنظم العلاقات بينهما ولا سيما التجارية حيث تظهر أحد بنود المعاهدة أنَّ بعل كان خاضعاً لحاكم آشوري نصبه أسر حدون، وهناك بنود تتعلق بالتجارة البحرية، وذكرت في المعاهدة أسماء موانىء عكا ودور وجبيل المسموح لبعل التعامل معها وتضمنت خاتمة المعاهدة أسماء الآلهة الآشورية والفينيقية الكنعانية التي يجب أن تعاقب (بعلاً) ملك صور إذا خرق بنودها.

وهناك ما نقشه أسرحدون على إحدى صفائحه: " **ضربت صيدون التي على ساحل البحر، وأهلكت سكانها، دمرت أسوارها ومنازلها، وألقيت موادها في البحر، ونقضت الهياكل، وفر ملكها عبدي – ميلكوتي في البحر كسمك ليختفي عن وجه عزّتي فاجتذبته إلّي من بين الأمواج، واستحوذت على خزائنه من ذهب وفضة وحجارة كريمة وصندل وأبنوس ومنسوجات من الصوف والكتان، وكل ما حواه**

[260]ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص145.

***كار أسرحدون**:أي ميناء أسر حدون.

[261]ساغز، هاري: عظمة آشور، المرجع السابق، ص146.

قصره، وجلبت إلى آشور جماً غفيراً من الرجال والنساء، وأخذت أيضاً بقراً وغنماً ودواب الركوب والحمل، وأقمت سكان ساحل سورية في أنحاء شاسعة، وبنيت في وسط بلاد الحثيين مدينة سميتها دار أسرحدون (أي مدينة أو قلعة أسرحدون)، وأسكنت فيها القوم الذين قهرهم ذراعي في الجبال التي في جهة جبال مشرق الشمس وأقمت عليهم أحد عمالي حاكماً".

والمراد من تلك العبارات الأخيرة أنه أجلى السوريين إلى آشور وأجلا أقواماً آخرين من شرقي آشور فأسكنهم في سورية ويمكن أن تكون هذه الغزوة بين سنة (678 – 673 ق.م)[262]. وفضلاً عن صيدا فلم تظهر سورية أو فلسطين أي مقاومة أو اضطرابات لآشور وقد استطاع أسر حدون أن يكلف مجموعة من الملوك الخاضعين له لتقديم مواد لازمة لإعادة بناء قصره وتشمل قوائم أسماء الملوك هذه ملوك صور ويهوذا أو حيدوم ومؤاب وغزة وعسقلان وإكرون وبيبلوس وعمون وأشدود فضلاً عن أراضي منطقة تدعى يدنانا في منتصف البحر التي ربما كانت قبرص والتي أصبحت جزءاً من الإمبراطورية الآشورية وإلى الشرق والجنوب من الدول الواقعة في شرق الأردن وهي عمون ومؤاب وصيدا ورفح التي كانت خاضعة خضوعاً تاماً لسيطرة الآشوريين تقع الصحراء بما فيها القبائل العربية، وكان لهذه القبائل أهميتها بالنسبة لآشور ذلك لأن العرب كانوا مسيطرين على تجارة البخور والتوابل الآتية من جنوب بلاد العرب*. وعدا(بعل) ملك صور بقي موالياً للآشوريين ملوك يهودا وإدوم ومؤاب وغزة وعسقلان وإكرون وجبيل وأرواد وعمون واشدود بالاضافة إلى عشرة ملوك من وسط البحر وكان المقصود بذلك عدداً من الأمراء القبارصة. قام أسر حدون بمحاصرة صور في العام (671 ق.م). وهو في طريقه إلى مصر،

---

[262]الدبس، يوسف: تاريخ شعوب سورية القدماء، المرجع السابق، ص 292.

*وكان العرب هم وحدهم القادرين على التفاوض مع قبائل صحراء سيناء في ما بين جنوب فلسطين ومصر وكانت آشور على اتصال مع عرب الصحراء منذ حكم تيجلات بلاصر الثالث وكانت توسع نفوذها بالتدريج إلى داخل الصحراء وقد تابع أسر حدون هذه السياسة بل زاد من سيطرة آشور عن طريق التدخل فيما بين الأخصام المتنافسين للحصول على السيادة القبلية وذلك لدعم المرشح الراغب في قبول السيادة الآشورية، انظر: ساغز، هاري، عظمة آشور، المرجع السابق، ص147.

بعد أن تحالف ملكها (بعل) مع طهارقا(Tarq) ملك مصر وهو من الأسرة الحبشية التي كانت تحكم مصر الذي قام بتحريض ملك صور بعمل بعض الدسائس ضد آشور، ولهذا قرر أسرحدون أن يضرب رأس الفتنة. وهذا ما جعله يخسر جميع المناطق التابعة له على البر، ونجاح أسر حدون في احتلال الدلتا وهزيمة طهارقا[263].

وقد خلد(أسر حدون) ذلك على تمثال له عثر عليه في شمأل (زنجرلي– Zengirli) حالياً في جبال الأمانوس حيث كانت توجد مملكة آرامية أخضعها الآشوريون لسيطرتهم. يظهر التمثال أسر حدون بشكل جانبي، وهو يرتدي اللباس الآشوري الطويل التقليدي، وعلى رأسه ما يشبه الطربوش، لحيته طويلة، وشعره طويل يصل حتى الكتفين، يمسك بيده اليسرى الحاملة للصولجان، حبلاً يربط عدوين مهزومين بحجم صغير، هما طهارقا، ملك مصر الراكع، وعبدي– ميلكوتي ملك صور الواقف وهما يتضرعان إليه، وتوجد أمام وجهة رموز آلهة رافدية مختلفة، من سين إلى شماش إلى آشور، وغيرها. إنها صورة تقليدية لعملية إخضاع الأعداء الخصوم.

1.3. في مصر:

1.3.1. دخول أسرحدون إلى مصر:

لكن السيطرة الآشورية على سورية كانت دائماً عرضة للزوال بسبب تدخلات مصر المستمرة في هذه المنطقة، وإثارتها لأمرائها ضد الآشوريين. رأى (أسر حدون) أن السيطرة على مصر تحقق هدفين هما، توطيد النفوذ الآشوري في سورية من جهة، والحصول على غنائم كثيرة وموارد من جهة أخرى. فسار مرتين بجيوشه نحو مصر، أخفق في الأولى في العام (674 ق.م) ، ونجح في الثانية في عام

[263263]ساغز، هاري: عظمة بابل، المرجع السابق، ص146.

(671 ق.م) ، إذ تمكن من احتلال العاصمة المصرية (منف) منفيس عندالإغريق، وهرب الفرعون المصري طهارقا إلى الصعيد. وكان قد عقد اتفاقاً مع بعض القبائل العربية المقيمة في شمال غربي شبه الجزيرة العربية المساعدة له عند عبوره شبه جزيرة سيناء إلى الدلتا، ذلك العبور الذي استمر نحو أسبوعين. يصف أسر حدون احتلاله مصر في كتاباته فيقول: من مدينة (إشوبري) عند مدخل وادي الطميلات حتى منف، مقره الملكي، مسيرة خمسة عشر يوماً، أنا حاربت يومياً دون توقف، معارك دموية جداً ضد طهارقا(Tarqu) ملك مصر وكوش (النوبة) الملعون من كافة الآلهة العظام ضربته خمس مرات بسنان سهمي (وسببت له) جروحاً لن يبرأ منها.[264]

بعد ذلك ألقيت الحصار على منف مقره الملكي، وفتحتها في نصف ساعة بوساطة النقب والفتحات في السور والسلالم. ملكته ونساء قصره وأشانهورو ولي عهده وأولاده الآخرون ومملكاته وخيوله وحيوانات كبيرة وصغيرة لا تحصى، أرسلتها إلى آشور غنيمة. وهجرت كل الكوشيين من مصر ولم أترك واحداً منهم يقدم لي الخضوع في كل مكان في مصر، عينت ملوكاً محليين جدداً، وحكاماً وموظفين، ومراقبي موانىء ومشرفين ومديرين، وأقمت الواجبات الدينية المنتظمة لآشور والآلهة العظام الأخرى، سادتي في كل الأوقات. وفرضت عليهم جزية لي كسيد أعلى لهم (تدفع سنوياً) دون توقف.

2.3.1. سياسة أسر حدون في مصر:

قسم أسر حدون المنطقة التي سيطر عليها في مصر إلى مقاطعات صغيرة وسمى المدن المصرية بأسماء آشورية وأبقى في كثير من الحالات الأمراء الحاليين في مناصبهم بعد أن وضع إلى جانبهم حكاماً آشوريين وسمى نفسه ملك ملوك مصر وباتروس (مصر العليا)، وعلى الرغم من أنه احتل دلتا

[264] عبد الله، فيصل؛ مرعي، عيد: تاريخ الوطن العربي (بلاد الرافدين)، المرجع السابق، ص439–441.

النيل فقط جاء إليه ممثلون عن مدن الصعيد وأعلنوا خضوعهم لهم، وقدموا جزية تعبيراً عن ذلك ولكن على الرغم من هذه الإجراءات فإن السيطرة الآشورية على مصر كانت هشة، فما إن انسحب الجيش الآشوري حتى نشبت الاضطرابات، ولم تتمكن الحاميات الآشورية التي بقيت في الدلتا من القضاء عليها وعاد (طهارقا) من الصعيد واستعاد منف وقاد المقاومة ضد الآشوريين.

أرسل أسر حدون أحد قادة جيشه لإعادة مصر إلى حظيرة السيطرة الآشورية وعندما فشل هذا القائد قاد هو بنفسه جيشاً (669 ق.م)، إلا أنه لم يتمكن من الوصول إلى مصر إذ توفى في حران وهو في طريقه إليها في العاشر من شهر أرخسمنا (تشرين الأول – تشرين الثاني) من العام نفسه تاركاً مهمة إخضاع مصر من جديد لابنه وولي عهده (آشور بانيبال)[265].

4.1. في عيلام:

ظهر لأسر حدون خطر جديد على الحدود الشمالية إذ بدأت أقوام الإسكندذيين (جومر في التوراة) أو الكيميريين (حسب التسمية اليونانية تحت زعامة رجل ميدي يدعى باسم إيراني (يتوشبا) تغير على الحدود فسارع لملاقاتها وهزمها ثم تقدم نحو كيليكيا وبلاد الأناضول فأخضعها سنة (678 ق.م) وعاد إلى بلاد الرافدين ليجرد حملة في سنة (677 ق.م) لإخضاع قبيلة (بيت دكوري الآرامية) التي قامت برئاسة ملكها (شمش إني) بنهب مزارع بابل وبورسيبا فأثره وعين ملكاً آخر يدعى (نابوشالم) بدلاً منه، ولم يلبث أن سار بجيشه لإخضاع ثورة أخرى قامت سنة (676 ق.م) في سواحل سورية دبرها (عبدي ملكوتي) أو(عبد الملك) ملك صيدا فاستولى عليها وهرب ملكها بحراً نحو حليفه (ساندواري) ملك مقاطعة كوندي قرب (طرسوس) في كيليكيا، فلحق به أسر حدون وقبض عليه

---

[265] عبد الله، فيصل؛ مرعي،عيد: المرجع السابق، ص442–446.

وعلى حليفه وقطع رأسيهما الواحد بعد الآخر وأرسلهما إلى نينوى فطاف بهما جنده في المدينة باحتفال كبير. ولكي يسيطر أسر حدون على ساحل البحر المتوسط، بنى مدينة جديدة بحضور جميع الملوك (حاتو) أي الكنعانيين وساحل البحر سماها بإسمكار، أي (رصيف أسر حدون) ونقل إليهما بعض أسرى الأمم المغلوبة وخاصة الكلدانيين المقيمين على سواحل الخليج العربي، ثم عقد تحالفاً مع ملك صور (بعل) والمدن الساحلية الكنعانية والفلسطينية كمدينة عكا وجبيل، وقد أشهد على هذا التحالف آلهة الآشوريين وبعل وملكارت من آلهة الكنعانيين، وعاد إلى بلاده، فقضى على ثورة كلدانية مدعومة بالعيلاميين الذين استولوا على(سيبار)* لكن ملك عيلام (حومان حالداش الثاني)، مات فجأة، فعقد خلفه (أورتاكو) الصلح مع الآشوريين، لكن الآشوريين أسروا زعيم الكلدانيين (كودور) ونقلوه إلى بلادهم[266].

5.1. نهاية أسر حدون:

لم ينعم أسر حدون بهذه الفتوحات لمدة طويلة، فقد مرض في أثناء الحملة على مصر وتوفى بعد أن حكم ثني عشر عاماً فقط وذلك في سنة (669 ق.م)، كان شبيهاً بأبيه سنحريب وجده سرجون من حيث الشجاعة والجرأة والطموح والإقدام والقسوة والتدين، وإن كان ينسب إليه أنه أكثر تسامحاً وأحذق سياسة من أبيه وخاصة فيما يتعلق باحترامه لمدينة بابل وترميمه لمعابدها وأسوارها ولا سيما معبد مردوخ ومعابد المدن الأخرى في جنوب ما بين النهرين، وكان حريصاً جداً على استشارة الكهان والعرافين في أحلك الساعات العصيبة بالنسبة إليه كما قام بتجميل مدينة نينوى ووسع قصرها الملكي ورمم معبد آشور

---

*__سيبار__: مدينة سومرية قديمة يحددموقعها الحالي بموقع أبي حبة، وكانت تقع على قناة كانت تربط نهر دجلة بالفرات، وقد كانت مركزاً دينياً وتجارياً هاماً في جنوب بلاد الرافدين، نظر: كلين، دانيال: موسوعة علم الآثار، ج1، ط1، منشورات وزارة الإعلام والثقافة العراقية، بغداد، العراق، 1990، ص308.

[266]عثمان، عبد العزيز: معالم تاريخ الشرق القديم، المرجع السابق، ص341 .

ترميماً كاملاً وقد أشرك معه ولديه في الحكم منذ سنة (672 ق.م)[267] فقد كان أسر حدون قبل وفاته بسنوات قد حل مشكلة وراثة العرش فعين ابنه (شمش شوم أوكين –Shamash-Shum-Ukin) ولياً للعهد على بابل، و(آشور بانيبال –Ashur- Ban-Apli) ولياً للعهد على آشور، وليس من الواضح من كان الأكبر ولا يمكن إغفال الحقيقة أنه ربما كانا توَءمين[268]. وطلب وهو مازال على قيد الحياة من جميع السكان والولاة والأمراء إعلان الولاء والخضوع لآشور بانيبال كملك على المملكة الآشورية بأكملها.[269]

2. النشاط العسكري للملك الآشوري آشور بانيبال(668–628 ق.م).

قرر أسر حدون تعيين ابنه آشور بانيبال ولياً للعهد بعد موت أخيه الأكبر متجاوزاً الابن الثاني شمش شوم أوكين الذي كان ميالاً إلى البابليين ومناصراً لهم وثبت وراثة العرش لآشور بانيبال في اجتماع ضم كبار رجال الدولة والقادة العسكريين وحمل هؤلاء على القسم بولائهم لولي العهد الجديد كما أعلن تولية ابنه الثاني ملكاً على بابل حتى لا يثار أنصارهم ويشعرون بالظلم ولكن المشكلة لم تجد حلاً لها بهذه الطريقة بل قوبلت وأثارت الرفض بين القادة العسكريين ورجال الدولة فرفعوا راية العصيان وأعلنوا معارضتهم لولاية آشور بانيبال في عام (670 ق.م)[270] فاضطر أسر حدون لإخماد الفتنة بالقوة فأعدم عدداً من كبار المتمردين وتسلم آشور بانيبال الحكم بعد وفاة أبيه وهو في الطريق إلى مصر بعد إخماد ثورتها في عام (669 ق.م) وبقي على العرش الآشوري مدة من الزمن تتراوح بين اثنتين وأربعين سنة وثماني وثلاثين سنة أي حوالي عام (627) و (630 ق.م)**[271]**.

---

[267] عثمان، عبد العزيز: المرجع السابق، ص .

[268] ساغز، هاري: عظمة بابل،المرجع السابق، ص146.

[269] قابلو، جباغ، فرعون، محمود: تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، المرجع السابق، ص105.

[270] يعقوب، دانية جمال الدين: سياسة الدولة الآشورية الحديثة في بلاد الشام مابين (911–610) ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2009، ص98

[271] هبو، أحمد ارحيم: تارخ بلاد الرافدين (من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط بابل 539 ق.م، المرجع السابق، ص251.

بلغت الدولة الآشورية في عهد آشور بانيبال أوج عزها ومجدها وسيطرتها فقد تدرب الملك منذ صغره على الفروسية ورمي السهام وقيادة العربات الحربية ومارس السياسة والإدارة في أثناء اشتراكه مع أبيه في الحكم وكان ميالاً للآداب والعلوم وامتاز عهده بتقدم كبير في العلوم والفنون والآداب إلى جانب الانتصارات الحربية والفتوحات وإخضاع الشعوب والاستيلاء على بابل وسوسة وطيبة إلا أن إفراط الملك آشور بانيبال بالطموح أدى إلى ثورة المضطهدين وحسد المنافسين فاتحد الساميون الكلدانيون مع الآراميين الميديين وأيدهم فرعون مصر وملوك الدويلات السورية لإسقاط الدولة الآشورية، وقد كان لتقسيم أسر حدون لعرش الدولة الآشورية بين والديه قبل موته مسار خلاف وطمع بين الأخوين . لم يظهر في بادئ الأمر بل ظل كامناً كالجمر تحت الرماد فقد سمح الوفاق المؤقت بين الأخوين لآشور بانيبال لمتابعة العمليات الحربية والتي توقفت في أثناء مرض أبيه وموته [272].

1.2. في مصر:

اغتنم فرعون مصر طهارقا الفرصة بوفاة أسر حدون فأعلن نفسه ملكاً على مصر والحبشة من جديد، ودخل إلى منف وحطم نير آشور وحكم في وادي النيل فأعلن آشور بانيبال التعبئة العسكرية في اثنتين وعشرين مملكة من السواحل السورية والجزر التابعة له في البحر المتوسط فسارع الجيش الآشوري تحت قيادته إلى مصر فحدثت في الدلتا واضطر طهارقا إلى مغادرة منف إلى مصر العليا وعمل على جمع قواه في طيبة بينما عمل آشور بانيبال على إعادة التنظيمات الإدارية الآشورية إلى مصر ووضع في كل مدينة ممثلين اختارهم بنفسه وأطلق عليهم لقب ملك أو حاكم أو نائب ملك فرجع آشور بانيبال إلى نينوى محملاً بغنائم لا تحصى، ولم يكد يصل إلى نينوى حتى قام (نكاو) ملك منف وسايس وبعض ولاته باستدعاء طهارقا من مصر العليا، ولكن مراسلاتهم وقعت في أيدي بعض ولاة

---

[272] عثمان، عبد العزيز: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص341.

آشور بانيبال المخلصين ولما بلغه الخبر أسرع إلى مصر وألقى القبض على الملوك والولاة الذين خانوه وأرسلهم إلى نينوى ودمر المدن المتمردة وخاصة سايس ومندس وتاينس وعين ولاة آخرين إلا أن نكاو دافع عن نفسه وبرر موقفه فأعاده إلى ملكه في سايس وولى ابنه بسماتيك المسمى باسم آشوري (نبو شز يباني) أي بنو أنقذي على عرش أتريب التي سميت باسم آشوري (لمير إيشاكو – آشور) وخلال ذلك توفى طهارقا فتولى ابن أخيه تنوت أمون الحكم وأعلن تمرده على الآشوريين واستولى على طيبة وأوت (هليوبوليس) واتجه إلى منف فسار الملك الآشوري إلى طيبة فنهبها وحرقها واستولى على جميع كنوز المدينة وغنم غنائم جسيمة ومن بينها مسلتان كبيرتان أرسلهما إلى نينوى إلا أن توت أمون فّر إلى بلاد النوبة وتولى بسماتيك حكم مصر باسم الآشوريين، وبهذا تكون مصر قد خضعت خضوعاً تاماً للآشوريين[273].

2.2. في بابل :

خلف آشور بانيبال أباه على العرش ولم يكن ذلك أمراً سهلاً إذا حدث في بلاط أسر حدون خلاف على وراثة العرش، لأن الملك الآشوري لم يختر أكبر أولاده (شمش شوم أوكين) لولاية العرش وكذلك الأمر بالنسبة للابن الثاني وإنما كان ذلك من نصيب الابن الثالث آشور بانيبال على أن يكون أخوه الأكبر ملكاً على بابل فقد نال آشور بانيبال في صغره تهذيباً وتربية فاق بهما سواه من الملوك الآشوريين واستمر التعاون قائماً بين آشور بانيبال وأخوه ملك بابل مدة عشرين عاماً إلى أن ثار عليه أخوه ملك بابل. وقد بدت بوادر ذلك بعد فراغ آشور بانيبال من حروبه في عيلام ومما شجع ملك بابل على تحدي سلطة أخيه انحياز الزعماء الكلدانيين إليه بعد أن عرفوا ما بين الأخوين وعلى هذا فقد أخذ ملك بابل يتهيأ للصدام فبدأ بالمفاوضات السرية مع ملك عيلام واتصل بأمراء العرب وكثيراً من أمراء

---

[273]عثمان، عبد العزيز: المرجع السابق، ص343.

فلسطين وبملك مصر نكاو وفي عام (652 ق.م) نشبت بين الأخوين حرب قاسية طويلة لعلها كانت أخطر الحروب الأهلية في تاريخ الآشوريين فجهز نفسه للصراع وعمد إلى تحصين المدن الخاضعة له وسعى إلى إيجاد الحلفاء الذين يقفون إلى جانبه إذا ما قام بالتمرد وإعلان العصيان على أخيه ملك آشور وسيد البلاد الحقيقي وقد وجد الحلفاء المناسبين الذين تملكوا بأغلبية البابليين والآراميين في بلاد بابل والقبائل العربية في شمال شرقي شبه الجزيرة العربية وبعض الأقاليم في سورية وغربي إيران وعيلام في المقدمة وكلهم كانوا يحقدون على الآشوريين ويتمنون الخلاص من جبروتهم وأساليبهم القمعية القاسية وقد أظهر فيها شمش شوم أوكين مزايا عسكرية فذة ونصره البابليون بحرارة وانضم إليه بعض الأمراء الآشوريين وحكام المناطق واشترك معه العيلاميون ضد أخيه[274] ولكن كل ذلك لم يجد نفعاً تجاه جيوش أخيه المتفوقة ولكن آشور بانيبال كان لهم بالمرصاد، وقد شعر بما يدبر له في السر فبادر إلى الحيلولة دون اتفاقهم وإلى ضرب كل منهم على حدا في الوقت الذي انشغلت فيه عيلام بمشاكلها الداخلية وزحف إلى بابل في عام (650 ق.م) فحاصرها ولم يستطيع اقتحام أسوارها المنيعة واكتفى بالانتظار حولها سنتين حتى هدّ الجوع قوى المدافعين عنها، وعندما حاولت القبائل العربية فك الحصار عن المدينة وهاجمت الآشوريين على ظهور الجمال ردت على أعقابها ومن نجا من القتل التجأ إلى المدينة وشكل عبئاً على أهلها وتمويناتهم القليلة وعندما حانت الفرصة لدخول بابل عام (648 ق.م) اقتحمها الآشوريون من دون قتال وأسر ملكها شمش شوم أوكين أخو آشور بانيبال الانتحار حرقاً في قصره أما حلفاء بابل في الجنوب فقد لقوا جزاَءهم وعادوا صاغرين إلى الحكم الآشوري[275].

[274]سليم، أحمد أمين: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (سورية – بلاد العرب)، المرجع السابق، ص196–197.

[275]هبو، أحمد ارحيم: تارخ بلاد الرافدين (من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط بابل 539 ق.م)، المرجع السابق، ص254.

3.2. في عيلام:

حاول آشور بانيبال إقامة علاقات سلمية مع عيلام وذلك لكسب الوقت لكن عيلام رفضت هذا العرض وفضلت الوقوف إلى جانب معارضي الحكم الآشوري في أقصى جنوبي الرافدين، ففي عام (663 ق.م) توفي ملك عيلام وبدأت مشاكل في البلاد تتعلق بوراثة العرش[276] فقد فرقت الخلافات الداخلية عيلام ولكنها كانت تصحو بين الحين والآخر ولا تزال تكن العداء للآشوريين وتحرض الآراميين ضدهم وتمدهم بالعتاد والمقاتلين كلما سنحت الفرصة بذلك[277] ولم يبخل آشور بانيبال بإعطاء بعض المطالبين بالعرش ملجأ لديه على أمل الاستفادة منهم في المستقبل وجاءت الفرصة في عام (653 ق.م) عندما دخل الملك العيلامي(تي أومان) جنوب بلاد الرافدين ولكنه لقي الهزيمة وأُسِرَ هو وابنه وأُعدما أمام الجيش العيلامي المستسلم ووضع على العرش العيلامي مكانه أحد الأمراء الذين كانوا قد التجؤوا إلى آشور.

2.3.1. تمرد في بابل:

تعرضت آشور لخطر شديد تمثل بتمرد شمشم شوم أوكين شقيق آشور بانيبال وملك بابل وتمكن من كسب مصر وأمراء سورية وفلسطين وشيوخ القبائل العربية والميديين والعيلاميين إلى جانبه حيث وحد بينهم كرههم للآشوريين ورغبتهم بالتخلص من الاحتلال الآشوري لبلادهم وبدأت الأعمال الحربية عام (652 ق.م) ولكن آشور بانيبال كعادته استخدم القوة والحذاقة والإشاعات المعادية لمواجهة الموقف وبالمحصلة وجدت بابل نفسها محاصرة بعد تدمير الجيش العيلامي الذي قدم لمساعدتها، وذلك بعد أن نشر الآشوريون إشاعات مختلفة في صفوفه وأثاروا مشكلة وراثة العرش مجدداً في حين لم تتمكن القوى

---

[276] قابلو، جباغ؛ فرعون، محمود: تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، المرجع السابق، ص106.

[277] هبو، أحمد ارحيم: تارخ بلاد الرافدين (من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط بابل 539 ق.م)، المرجع السابق، ص255.

الأخرى من تقديم مساعدة فعالة لهم باستثناء القبائل العربية فاضطر البابليون للاستسلام بعد حصار دام ثلاث سنوات[278].

جاء بعد ذلك دور عيلام فاتخذ آشور بانيبال قراره بالقضاء على عيلام ومهاجمتها في عقر دارها فتعرضت لهجومين آشوريين في الأعوام (647–646 ق.م) فشرع في دخول أراضيها في عام (647 ق.م) عن طريق محورين أحدهما كان يمر في الجنوب بمحاذاة أطراف الخليج والثاني عبر مدينة دير في الشمال فغدت عيلام بين طرفي كماشة لا حول لها ولا قوة ثم ما لبست العاصمة (سوسة) أن وقعت بيد الفاتحين الآشوريين الذين دمروها ولم يتركوا فيها حجراً فوق حجر ونقل (آشور بانيبال) إلى نينوى غنائم لا تحصى من بينها تماثيل الآلهة وأعدادٌ كبيرة جداً من الأسرى وانتهى بذلك حوالي عام (646) ق.م دور عيلام التاريخي ولم يعد لها مكاناً في مسرح السياسة في الشرق القديم وصارت إقليماً آشورياً وسقطت معها البلاد المجاورة من دون مقاومة ومنها أرض الفرس برسوس التي أرسل ملكها قوروش الأول الجزية إلى نينوى ومعها ابنه رهينة لدى الملك الآشوري[279].

4.2. في سورية:

في أثناء عودة آشور بانيبال إلى سورية من غزواته على مصر يثقل الكنعانيين عند ممره بأرضهم بأعداد الذخائر وإمداد جنوده برجالهم ولا نعلم ما الذي جرّأ بعل ملك صور على المجاهرة بالعصيان على آشور بانيبال في السنة الثالثة لملكه، أي في سنة (664 ق.م) ، فحاصر آشور بانيبال ملك صور بعل في جزيرته حتى أجبره على طلب العفو وتزوج من ابنته وبنات أخيه وأما ابنه (ياخي ملكي) فقد توجه إلى نينوى ليتدرب على الحكم وكذلك فعل ملك أرواد (ياكين لو) الذي أصبحت ابنته زوجة للملك

---

[278] قابلو، جباغ؛ فرعون، محمود: تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، المرجع السابق، ص107.

[279] هبو، أحمد ارحيم: تارخ بلاد الرافدين (من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط بابل 539 ق.م)، المرجع السابق، ص255.

الآشوري قدم له الهدايا والجزية من الأرجوان والأسماك والطيور وأما ملك تابال (موكالو) فقدم الجزية من الخيل وكذلك ملك كليكيا، وذهبا إلى نينوى لإعلان خضوعهم وتقديم ابنتيهما كزوجتين للملك الآشوري وبعد وفاة ملك أرواد عين ابنه الأكبر (آزي– بعل) خليفة له[280]. بقي آشور بانيبال يحكم حتى عام (626 ق.م). فهذا ما كتبه آشور بانيبال على إحدى صفائحه "**ذللت بعلاً ملك صور، وجعلته يعرض عن طماحه ويخضع عنقه لنيري وأشخصت لدي بناته وأخوات أخيه ليكن لي إماء. وأتى ياملك ابنه يبدي خضوعه لي ويقدم لي تقادم لم يسبق إلّي مثلها. ويدفع إلّي رهينة بنته وبنات إخوته. فعفوت عنه ونصبته ملكاً على البلاد**[281]".

لكن أخباره الرسمية انقطعت قبل ما يزيد عن عشر سنوات من هذا التاريخ، حيث إنَّ المعلومات التي كانت متوافرة بغزارة طوال سنوات حكمه ولا سيما من خلال حولياته ونصوصه وآثاره المنقوشة والمصورة المتواصلة قد انقطعت بعد إنهاء عيلام السياسي والإجهاز عليها وإعادة الأمور إلى نصابها في بلاد بابل، وفي كل المناطق التابعة للإمبراطورية، فبدت الأحوال وكأنها استتبت لآشور بانيبال وفقاً لما كان يرغب.

فقد توقفت الحوليات الملكية لأسباب مجهولة عن الحديث عن الملك ونشاطاته الداخلية والخارجية منذ عام (639 ق.م)، كانت المعلومة الأخيرة تتصل بمحاولة قام بها قورش الأول ملك الفرس للتقرب من آشور ليتمكن من الوقوف في وجه الميديين الطامعين في بلده، حيث تسكت المصادر عن تزويدنا بأي خبر يفيد في التعرف على مجريات الأحداث التي تطورت بسرعة مذهلة وأدت إلى تقويض دعائم الإمبراطورية بعد آشور بانيبال وربما في السنوات الأخيرة من عهده، كما أن نهايته لم

---

[280] عثمان، عبد العزيز: المرجع السابق، ص343.

[281] رعد، مارون؛ عبود، نظير: تاريخ سورية الدينوي والديني تاريخ شعوب سورية القدماء مقالة افتتاحية ومقالتين في الحثيين والفينيقيين، المرجع السابق، ص294.

تعرف إن كانت طبيعية ولم يعرف في أي عام قد مات، إذ إنَّ العام (627 أو 630 ق.م) يعتبر من قبيل الاحتمال.

هناك احتمال أيضاً بأن الحكم انتقل إلى أحد أبنائه بسبب شيخوخته وهو مازال على قيد الحياة، أو بسبب ظهور الاضطرابات الداخلية[282]، مع هذا كله فإن الملك آشور بانيبال قد أخبرنا في نصوصه بأن أياماً سوداً قد حلت في أرجاء مملكته وكان يعاني آلاماً جسمية وروحية سلبت راحته[283]، بعد وفاته حدثت اضطرابات ومشاكل على وراثة العرش وقع عبأ ذلك على ابنه وخليفته آشور إتل إيلاني [284].

3. الملك الآشوري آشور إتل إيلاني (627–625 ق.م).

خلف والده على عرش آشور وأمضى سنوات حكمه التي لم تتجاوز السنوات الست (626–621 ق.م)[285] في محاولات مستميتةٍ للدفاع عن العرش ضد الطامعين فيه حتى تمكن أخوه الأصغر (سن شار أشكوم) من إقصائه عن العرش واستئثاره به لمدة تقرب من ثماني سنوات (620–612 ق.م)، حيث أثرت هذه الحروب الداخلية على سمعة الدولة الآشورية وهيبتها[286]، فانفصلت كثير من الولايات عنها وانفصلت مصر وكثير من المدن الساحلية في فلسطين وسورية وأرمينية وتكونت في بابل أسرة جديدة تعرف باسم الأسرة البابلية الأخيرة أو المملكة الكلدانية، واستطاع الملك الميدي (كيا كسيريس) الاستيلاء على شمالي إيران وشمالي العراق ثم توغل إلى سهول آشور حيث جرت بينهم وبين الجيش الآشوري حروب طاحنة وبعد اتفاقه مع ملك بابل هاجما العاصمة الآشورية نينوى فسقطت في أيديهما بعد حروب عنيفة، واقتسما مملكة آشور حيث استولى الميديون على قسمها الشمالي الشرقي

---

[282] هبو، أحمد ارحيم: تارخ بلاد مابين النهرين (العراق) ، المرجع السابق، ص244.

[283] Smith, S. M. A., " Ashurbanipal and. The falloff Assyria", In C. A. H., VOL. III, PP 113-126.

[284] أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم – مصر سورية العراق إيران آسيا الصغرى، المرجع السابق، ص197.

[285] ساغز، هاري: عظمة آشور، المرجع السابق، ص162.

[286] أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص334.

واستولى البابليون على جنوبها وبذلك دمرت العاصمة الآشورية نينوى ونهبت وأحرقت [287]، لم يستطع آخر ملوك آشور(آشور أوباليط الثاني611–609 ق.م) ، الذي استقر في حران أن يفعل شيئاً فقد زال مجد الدولة الآشورية[288] ودخل العراق القديم في آخر مراحله السياسية وهو الذي يعرف باسم العهد البابلي الأخير أو المملكة الكلدانية إذ صارت تحت حكم نبو بولصر ومؤسس السلالة الكلدية في بابل بعد ذلك[289].

4. نهاية الدولة الآشورية:

بدأ عهد الفوضى والغموض في تاريخ الآشوريين بعد وفاة آشور بانيبال سنة (626 ق.م) وقد خلفه ابنه (آشور إتل إيلاني) الذي حكم من سنة (626–621 ق.م)[290]، وبدأ عهده باضطراب داخلي ونزاع على العرش ولكنه نجح في الاستيلاء على الحكم بعد أن تغلب على منافسه، وقد رمم معبد نبو في كالح واسمه (أزيدا). وفي هذه الأثناء اغتنم ملك بابل الكلداني(نبو بو لاصر) الفرصة فأعلن الاستقلال والانفصال عن الدولة الآشورية سنة (625 ق.م)، وحذت حذو بابل معظم الممالك والمدن السورية وقامت حركة قومية جديدة في بلاد الفرس فاستلم الميديون الحكم تحت قيادة ملكهم (كياكسيريس) وبهذا الشكل تفسخت الدولة الآشورية قبل موت آشور إتل إيلاني[291]. ويظهر أن أحد الضباط تولى الحكم بعد موته ومن ثم آل الملك إلى الوريث الشرعي (سين شارا إيشكون) ودام عهده من 620–612 ق.م حيث كانت الأخطار تحيط به من كل جانب منذ توليه الملك فكان الحكم الحقيقي بيد بعض القادة العسكريين فترة من الزمن، ومن ثم قام ببناء معبد آخر باسم أزيدا في آشور للإله نبو إذ

[287] أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص199.

[288] مرعي، عيد: التاريخ القديم، المرجع السابق، ص104.

[289] كيرشباوم، إيفا كانجيك: تر، فاروق اسماعيل، تاريخ الأشوريين القديم، المرجع السابق، ص98.

[290] عبد الله، فيصل؛ مرعي: عيد، تاريخ الوطن العربي القديم بلاد الرافدين، المرجع السابق، ص 449.

[291] بليافسكي، ف. أ: أسرار بابل، تر: توفيق فائق نصار، ط3، دار علاء الدين، دمشق، 2010م، ص58.

أصبحت عبادة إله الآداب والعلوم منتشرة في هذا العهد غير أن الاضطرابات كثرت، وقامت الكثير من الثورات في أجزاء متعددة من الدولة الآشورية فلم يستطع هذا الملك الضعيف من الإمساك في الحكم والسيطرة على زمام الأمر فضعفت أركان الدولة وتقوضت بسرعة فائقة ولعل السبب المباشر في سقوط الدولة الآشورية قيام دولة قوية في بابل على يد أسرة كلدانية جديدة[292].

واستطاع مؤسس الدولة البابلية الجديدة (نبو بولاصر) أن يستولي على بابل ويعقد تحالفاً مع[293]الفرس الميديين وغيرهم من الأمم والشعوب التي كانت ترزح تحت الحكم الآشوري ووضع خطة محكمة لإضعاف الآشوريين وأعلن الإنفصال والاستقلال وشرع لاسترداد المقاطعات والبلدان التي كانت تتبع للدولة البابلية ومن ثم هاجم مع حلفائه مدينتي آشور ونينوى فانهارت الدولة الكبرى التي أقامها السرجونيون وكان ذلك سنة 612 ق.م[294]. وقد وصلت أخبار العمليات الحربية التي أدت إلى انهيار الدولة الآشورية في وثائق قديمة مكتوبة ومحفوظة في المتحف البريطاني تشبه البلاغات الرسمية مكنت العلماء من معرفة التفاصيل الدقيقة التي أدت إلى سقوط مدينتي آشور ونينوى فقد بدأ الهجوم الكلداني في السنة العاشرة من حكم نبوبو لاصر سنة 616 ق.م على منطقة الفرات الأوسط حيث لم يجدوا مقاومة كبيرة ولما أرسل الآشوريون جيشاً لمواجهتهم هزم وتراجع عند(كابليني) في شهر تموز وآب سنة 616 ق.م[295].

اضطر الآشوريون لإرسال قسم كبير من جيشهم ليوقف زحف الميديين في الوقت المناسب في المنطقة الواقعة وراء دجلة في منطقة الريخة بالقرب من كركوك واندفع الجيش الكلداني في السنة التالية

---

[292]ساغز، هاري: عظمة آشور، ص163.

[293]عبد الله، فيصل؛ مرعي، عيد: المرجع السابق، ص 449.

[294]فرزات، حرب؛ مرعي، عيد: دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994م، ص196.

[295]بليافسكي، ف. أ: أسرار بابل، تر: توفيق فائق نصار، المرجع السابق، ص59.

بسرعة حتى وصل في نيسان سنة (615 ق.م) إلى أسوار مدينة آشور ولكنه لم يستطع الاستيلاء على المدينة المنيعة الحصينة فأرسلت قوات آشورية لإنقاذ المدينة المقدسة فهاجمت جيش نبوبولاصر وأجبرت جيشه على التراجع إلى قلعة تكريت والتحصن فيها غير أن الميديين كانوا قد تقدموا في تلك الأثناء حتى وصلوا إلى أبواب نينوى في تموز وآب سنة (614 ق.م) ولم يهاجموها لوحدهم فقد أسرع قسم من جيشهم للقاء القوات الكلدانية بالقرب من مدينة آشور ولكن القوات الكلدانية كانت لاتزال متأخرة وبعيدة فهاجم هذا القسم من الجيش مدينة آشور قبل وصول الكلدانيين إليها واستولى عليها[296] وقام بنهبها ولما وصل نبوبو لاصر وقع معاهدة تحالف مع كياكسيريس ملك الميديين لمهاجمة مدينة نينوى غير أن العاصمة الآشورية صدت ثلاث محاولات قوية للهجوم قامت بها القوات المتحالفة واحدة تلو الأخرى إلا أنها في المحاولة الرابعة سقطت وذلك في آب سنة (612 ق.م)[297]في السنة الرابعة عشرة لحكم نبوبو لاصر وهذا ما يدل على أن مدة المعارك التي أدت إلى انهيار الدولة الآشورية قد دامت أربع سنوات، واختفى تحت آثار المدينة التي دمرت عن آخرها الملك الآشوري (سين شارا إيشكون) غير أن الآشوريين حاولوا جمع صفوفهم وتوحيد شملهم لاستعادة مجدهم فقد حاول خليفة سين شارا إيشكون (آشور أوباليط الثاني) جمع شتات الجيش وأسس مملكة في مدين حران وحكم في المناطق التي بقيت تحت سيطرة الآشوريين، ولكنَّ الكلدانيين والميديين تقدموا في سنة (610 ق.م) لمهاجمته بقيادة نبوخذ نصر وكيا كسيريس فاستولوا على المدينة سنة 609 ق.م وقضوا على قوات آشور أوباليط الثاني ولإحلال التوازن في الشرق الأدنى سارع الملك المصري نكاو الثاني لمساعدة الآشوريين بعد ملاحظته تفوق الكلدانيين فأرسل جيشاً ليشارك في المعركة إلى جانب الآشوريين حيث يذكر بعض المؤرخين أن رغبة نكاو الثاني في الاشتراك كانت للمشاركة في اقتسام أملاك الدولة الآشورية واستعادة سيطرتها على سورية

[296]عثمان، عبد العزيز: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، المرجع السابق، ص351.
[297]ساكز، هاري: قوة آشور، المرجع السابق، ص171.

ولكن جيشه وصل متأخراً إلى منطقة الفرات بعد أن اعترضه يوشيا ملك يهوذا في مجدو سنة (609 ق.م) ووقعت بينهما معركة كبيرة انتصر فيها المصريون انتصاراً كبيراً إلا أنهم تأخروا في نجدة الآشوريين ووصلوا بعد فوات الأوان[298].

اقتسم الميديون والكلدانيون الدولة الآشورية فألحقت بلاد آشور بالدولة البابلية الجديدة واحتفظ الميديون بحران وقسم من شمالي بلاد الرافدين[299] ويمكن تلخيص أسباب سقوط الدولة الآشورية غير المباشرة بالآتي:

1- اعتماد الآشوريين على سياسة القوة العسكرية:

فقد توسعت الدولة الآشورية توسعاً كبيراً وكانت إدارتها عاجزة عن حكم هذه الدولة الكبرى الممتدة الأطراف بغير القوة[300]، لم تعمل على كسب قلوب رعاياها بل على العكس من ذلك كانت القسوة في المعاملة وخشونة طباع الملوك والقادة العسكريين ووحشيتهم الطابع المميز لحكم البلاد التي خضعت لهم، فولدت هذه السياسة كرهاً شديداً في نفوس الشعوب والأمم المحكومة[301].

كان الجيش الآشوري الذي يدعم هذه السياسة أشبه بشيء من الطاعون يمر على المدن العامرة فينهب أموالها ويأسر رجالها ويسبي نساءها وأطفالها ثم يدمرها ويشعل النيران فيها، حتى إنه كان أحياناً يدمر الجدران ويسوي المدن بالأرض ثم يحول الماء عليها لكي لا يبقى منها أي أثر يذكر. ولقد قاست أمم وشعوب الشرق الأدنى القديم آلاماً مبرحة لا تدخل تحت حصر من جراء هذه السياسة التعسفية والأساليب الوحشية التي حفزتهم على الثورة كلما لاح بريق ضعيف من الأمل في الوصول إلى الحرية، فكان الآشوريون يضاعفون من شدتهم وظلمهم وقسوتهم ويفاخرون بما يرتكبونه من جرائم التقتيل والتمثيل

---

[298] فرزات، حرب؛ مرعي، عيد: دول وحضارات في الشرق العربي القديم، المرجع السابق، ص196.

[299] عثمان، عبد العزيز: المرجع السابق، ص352

[300] عبد الله، فيصل؛ مرعي، عيد: المرجع السابق، ص 451.

[301] ساغس، هنري: جبروت آشورالذي كان، تر: آحو يوسف، دار الينابيع، دمشق، 1995م، ص172.

وسلخ الجلود وتمزيق الأجساد. وغير ذلك من الفظائع التي تقشعر لها الأبدان، ولكن ذلك لم يكن إلا حافزاً جديداً لتلك الشعوب لتثور من جديد وتتخلص من الحكم الآشوري الاستبدادي إلى الأبد.

2- كذلك فإن الآشوريين أجبروا الشعوب التي أخضعوها على الالتحاق بجيوشهم فكان ذلك سبباً في تفسخ الجيش وفقده وحدة الشعور الوطني، وأصبح في أواخر عهد الدولة الآشورية عاملاًمهماً في انهيارها وسقوطها.

وقد اعتبرت الشعوب والأمم الخاضعة للآشوريين المغلوبة على أمرها، أن الجيش الكلداني الذي أخذ يتقدم لضم بعض المناطق التابعة للآشوريين كجيش للإنقاذ والتحرير، واستقبلوه بحماس كبير، وانضموا إلى صفوفه متطوعين يحاربون في سبيل الحرية لتخليص البشرية من تسلط وسيطرة الآشوريين. وهكذا أخفقت سياسة القمع والإرهاب وانقلبت في النهاية ضد الذين وضعوها وطبقوها وأدت إلى انقراض الدولة الآشورية[302].

3- سوء الحالة الاقتصادية وانتشار الفقر والبؤس:

لقد سببت كثرة الحروب وتدمير المدن وتشريد السكان بالأسر والنفي والتقتيل والتعذيب، وانقلبت المدن العامرة والحقول والمزارع الغنية إلى أكوام وركام من التراب، وكانت الضرائب والجزية تفُرض بكثرة وتجبى بشدة، فأقفرت البلاد من السكان واليد العاملة، وقل الأمن وفسدت الأخلاق[303].

وقد ورد في الإصحاح الثالث من سفر ناحوم في التوراة ذكر لخراب نينوى وتعبير عما كانت تشعر به الأقوام المستعبدة تجاه الآشوريين كما يأتي:

" ويل لمدينة الدماء. كلها. ملآنة كذباً وخطفاً. لا يزول الافتراس. صوت السوط وصوت رعشة البكر وخيل تخب ومركبات تقفز وفرسان تنهض ولهيب السيف وبريق الرمح وكثرة جرحى ووفرة قتلى ولا

---

[302] هبو، أحمد ارحيم: تاريخ بلاد الرافدين (من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط بابل 539ق.م)، المرجع السابق، ص258.

[303] شير، أدي: تاريخ كلدو وآشور، المرجع السابق، ص136.

نهاية للجثث، يعثرون بجثثهم ...ها أنذا عليك يقول رب الجنود فأكشف أذيالك إلى فوق وجهك وأرى الأمم عورتك والممالك خزيك وأطرح عليك أوساخاً وأهينك فأجعلك عبرة. ويكون كل من يراك يهرب منك: خربت نينوى، من يرثى لها؟ من أين أطلب لك معزين؟".

"...هو ذا شعبك نساء في وسطك، تنفتح لأعدائك أبواب أرضك. تأكل[304] النار مغاليقك. استقي لنفسك ماء الحصار. أصلحي قلاعك ادخلي في الطين ودوسي في الملاط ...هناك تأكلك نار. يقطعك سيف. يأكلك كالغوغاء. وتكاثري كالغوغاء. تعاظمي كالجراد. أكثرت تجارك أكثر من نجوم السماء...رؤساؤك كالجراد، وولاتك كحرجلة الجراد الحالة على الجدران في يوم البرد تشرق الشمس فتطير ولا يعرف مكانها أين هو. نعست رعاتك يا ملك آشور اضطجعت عظماؤك، تشتت شعبك على الجبال ولا من يجمع. ليس جبر لانكسارك جرحك عديم الشفاء كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم عليك لأنه على من لم يمر شرك على الدوام"[305].

كان لسقوط الدولة الآشورية تحولاً كبيراً في تاريخ الشرق القديم، فقد أدى ذلك إلى صعود نجم الكلدانيين في وادي الرافدين، وبعد أن ظلت بابل منذ سقوط الدولة البابلية تصارع صراع المستميت من أجل البقاء والحياة وتتخبط في خضم من الفوضى والقلاقل، نجحت في المساهمة بالقضاء على العملاق الآشوري[306]، ولكن نجاحها كان لأمد موقت، فقد بدأت شعوب أخرى كالميديين والفرس تظهر في هذا الشرق القديم[307]، وتطل على مسرح السياسة، لتلعب دورها الكبير في وقت قريب[308].

[304] عثمان، عبد العزيز: المرجع السابق، ص354

[305] عثمان، عبد العزيز: المرجع السابق، ص355

[306] عبد الله، فيصل؛ مرعي، عيد: المرجع السابق، ص 450.

[307] مرعي، عيد: التاريخ القديم، المرجع السابق، ص106.

[308] هبو، أحمد ارحيم: المرجع السابق، ص258.

الملوك الآشوريون في العصر الآشوري الحديث

اسم الملك	سنوات حكمه
أدد نيراري الثاني	891-911 ق.م
توكلتي نينورتا الثاني	884-890 ق.م
آشور ناصر بال الثاني	859-883 ق.م
شلمانصر الثالث	824-858 ق.م
شمشي أدد الخامس	810-823 ق.م
أدد نيراري الثالث	783-809 ق.م
شلمانصر الرابع	772-782 ق.م
آشور دان الثالث	755-771 ق.م
آشور نيراري الخامس	745-754 ق.م
تناولت الدراسة الفترة من بداية حكم الملك الآشوري تيجلات بلاصر الثالث حتى نهاية الدولة الآشورية (745-609) ق.م	
تيجلات بلاصر الثالث	**745- 727 ق.م**
شلمانصر الخامس	**722-726 ق.م**
شاروكين الثاني	**705-722 ق.م**
سنحاريب	**681-704 ق.م**
أسر حدون	**669-680 ق.م**
آشوربانيبال	**628-668 ق.م**
آشور إتل إيلاني	**625-627 ق.م**
سين شر إشكن	**612-624 ق.م**
آشور أوباليط الثاني	**609-612 ق.م**

الباحث بتصرف: قائمة الملوك الآشوريين في العصر الآشوري الحديث تبين فترة الدراسة

خاتمة

في نهاية هذه الدراسة المتواضعة عن الدولة الآشورية يمكن القول بأن الآشوريين رسموا على مر التاريخ وجهة منظمة لدولتهم فمنذ عهد شمشي أدد وتوسعهم في سورية حتى سقوط دولتهم كان توجههم واحداً يعتمد على التوسع وبذلوا جهداً كبيراً في إعطاء الصفة العسكرية على دولتهم، هذه الصفة التي مثلها الدور العسكري ملوكهم كافة، التي تعتمد على بذل قصارى الجهد لتقوية الجيش وتعزيز النزعة التوسعية في نفوسهم.

يمكن تلمس تلك الفكرة في مراحل وجود الدولة الآشورية كافة بمراحلها الثلاث، ففي عهد الدولة القديمة مثل وجود القوة الآشورية في بحر العالم القديم الذي كان القطب المصري وحيداً فيه ليسرح ويمرح في المنطقة عازلاً دول بلاد الرافدين ومهدداً لمصالحها غرباً أواسط الألف الثاني قبل الميلاد الأمر الذي دفعهم لفرض وجودهم بالقوة التي أسست للدولة الوسطى بعدها.

في عصر الدولة الوسطى تراجع دور القطب المصري وإن ظل قوياً في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، إذ ظهرت قوى جديدة وباتت تلعب دوراً سياسياً مهماً في المنطقة ما حتم على الآشوريين زيادة اهتمامهم بالحياة العسكرية لفرض المزيد من النفوذ وتعزيز الاقتصاد. الخطر الأقرب كان من القوة الميتانية التي لم تتمكن من مجاراة الآشوريين وامتد نفوذها شمال سورية لفترة من الزمن بينما ظلت القوة الحثية أقوى نفوذاً مع نظيرتها المصرية وظلت آشور تعاني من صراع هذه القوى حتى عصر دولتها الحديثة.

في عصر الدولة الحديثة محور الدراسة كان أمامها عدد من التحديات في عصر الدولة الحديثة إذ استعادت آشور دورها مجدداً وامتاز نشاطهم العسكري توسعه وتوجهه نحو المحيط كله وفق منهج

منظم أراد الملوك الآشوريون منه السعي للحفاظ على دولة لها محيط وعمق استراتيجي كبير وواسع للتخلص من الخطر القريب الذي يخترق حدودهم ويشكل خطراً على العاصمة الآشورية وخاصة من المحيط القريب ممثلاً بممالك مدن بلاد الرافدين. وتعزيز الاقتصاد الآشوري القائم على نشاطات عدة حتم عليهم تحقيق مكاسب أكثر لتغطية العبء العسكري وهو ما مثل دافعاً نحو التوجه للقتال المستمر وهو ما أُنجز فعلاً .

ففي بلاد الرافدين لم تقم لأي من قواها قائمة خلال تلك الفترة، إذ تمكن ملوك هذه الفترة من أخذ دور السيد لا بل التوجه نحو عيلام التي كثيراً ما آثارت الفتن بين ممالك بلاد الرافدين كلها.

أما غرباً فقد مثلت سورية وبحرها الكبير مطمع آشور وعمقها الأهم وتوجهها الأبرز لما تمثله من رمزية وأهمية اقتصادية وسياسية، وهو ما تمكنت آشور من القيام به مراراً مسقطة عروش بيوتات آرام الهزيلة المتنافسة مراراً وهو الذي حقق لهم الكثير من المكاسب وإن أرهقهم عسكرياً لعدم قدرتهم على البقاء لاتساع المساحة المستهدفة واستمرار الدعم المصري لبعض القوى ومع ذلك تمكنت آشور من الوصول حتى مصر.

في الشمال لم يكن النشاط الآشوري أقل ومع ذلك لم يكن الاهتمام الآشوري بمناطق الشمال كما هو في الغرب السوري لصعوبة التحرك في مناطق الشمال في آسيا الصغرى ويمكن القول بأن الدولة الآشورية ذات الصبغة العسكرية نجحت لفترة طويلة من الزمن في تحقيق مكاسب عسكرية وأهداف اقتصادية كبيرة ومثلت بالفعل قوة إمبراطورية على مدى مئات السنين وتركت أثرها في العالم القديم مازالت تستحق الدراسة والبحث على مر التاريخ.

نتائج الدراسة

من خلال ماتناولته الدراسة، لابد من الإجابة على كل التساؤلات التي هدفت إليها وهي:

1- ما هوسر وقوة الجيش الآشوري ونواته الذي تمكن من التوسع مراراً ؟

2- هل نجحت دولة آشور في تغيير الخارطة السياسية في غربي آسيا ؟

3- ما هو الأثر الذي تركته الدولة الآشورية عسكرياً في القوى التي جاءت لاحقاً ؟

4- ماهو دور الجيش الآشوري في نقل مؤثرات آشور الحضارية إلى المناطق التي دخلها عسكرياً ؟

خلال القرن الأخير من عمر الدولة الآشورية، كان هنالك في الشرق الأدنى قلة من الناس الذين لم تتأثر حياتهم بهذه الدولة على نحو أو آخر. وكانت مجالات الحياة التي تتعرض لذلك التأثير (باتجاه الأفضل أو باتجاه الأسوأ) هي بالدرجة الأولى الاقتصاد والإدارة، لكن المجال الذي كان الإنسان العادي من خلاله يدخل في تماس مباشر مع بلاد آشور هو على الأغلب، الجيش الآشوري وكانت بلاد آشور قادرة على نشر جيوش يصل تعدادها إلى مئات آلاف الرجال، لكن الفعاليات العسكرية الآشورية لم تكن دوماً تتخذ شكل حملات من هذا الحجم. كان يمكن أن تنظم حملات بقوى صغيرة أو بوساطة الحاميات التي كانت تسيطر على النقاط المفتاحية ويبلغ تعداد الواحدة منها بضع العشرات من الجنود فقط.

رغم ذلك فإن حجم الجيش وفعاليته كان متوقفاً على عاملين أساسيين هما التنظيم والانضباط. إن الجيش الآشوري الأساسي لم يكن عبارة عن قطيع من الفلاحين المتعطشين لسفك الدم الذين أصبحوا مشاةً يتبعهم خيالة رهيبون مستعدون للتدمير والنهب، بل كان الجيش الآشوري في الواقع قوة معقدة التكوين جيدة التنظيم تضم وحدات خاصة من أنماط عديدة، نواة هذه القوة هو الجيش الدائم الذي تناط به عدة أنواع من المهام الواجب أداؤها في قاعدة دائمة حيث كانت المهمة الأولى هي ضمان أمن الملك

الشخصي، والذي يستلزم حارس شخصي دائم وكذلك كانت توجد حاميات عسكرية دائمة في سائر النقاط المفتاحية في أراضي الدولة، إذ لا بدّ من انتشار الجند لوقت طويل وهذا مايقدر عليه الجنود المحترفون فقط.

إنَّ البعض من هذه الحاميات كان يخضع مباشرة للملك وليس للولاة الذين يحكمون في تلك المناطق. كانت إحدى قطع الجيش الدائم التي كثيراً ما نسمع عنها في المصادر هي مجموعة ذات منشأ قبلي (قبيلة إتوعا) تتكون عرقياً من أناس ليسوا آشوريين. كان الـ (إتوعا – Itiwa)، وإن ظاهرة الإيتوعا تبين أن الجيش الآشوري لم يكن مكوناً فقط من الآشوريين إذ لم يكن لدى الآشوريين، نزعة عرقية وكانوا يجندون أفراد الشعوب الخاضعة لهم في قواتهم المسلحة على قدم المساواة مع الآشوريين الأصليين حيث كانت كل مجموعة عرقية تحافظ على هويتها في شؤون القتال وتشكل أفواجاً أو وحدات أصغر ذلك تبعاً لعدد المجندين كما تبقى على نماذج السلاح وشكل الثياب العسكرية المميزة لموطنها الأصلي. وهذا ما يبدو واضحاً في اللوحات المجسمة والتي تصور المجموعات مثل رماة النبال ورماة المقاليع والسيافين والرماحين وفرق المشاة الخفيفة وفصائل المشاة الثقيلة وكلها تتميز من حيث الأحذية واللباس وأغطية الرأس عدا عن تميزها من حيث السلاح، كما نجد معلومات عن وحدات تقنية خاصة في تلك اللوحات.

إن هذه التجهيزات كانت ترافق الجيش في مركبات ميدانية وعربات لنقل اللوازم التي كانت لا تشمل فقط الأشياء الضرورية كالطعام والخيام فحسب، بل ومواد خاصة مثل التجهيزات الهندسية للحصار والمنجنيقات. وعندما كان مرور العربات والمراكب في الدروب الوعرة يصبح صعباً كان لا بدّ من تعبيدها وتلك مهمة جنود الاستطلاع المزودين بفؤوس ومعاول من البرونز والنحاس والحديد. أحياناً كان الجيش يصل إلى نهر يتوجب عبوره، مما يجعل ضرورياً إشادة الجسور أو تصميم الأطواف، وهذا أيضاً من شأن جنود الاستطلاع: الأطواف تصمم على غرار الـ (كيليك) والجسور تتشكل عادة من

قوارب تصف الواحد إلى جانب الآخر في عرض المجرى، ثم تمد فوقها ألواح خشبية لتكون ممراً للجنود، أو حتى طريقاً للعربات. حين كان الجيش الآشوري يصل أخيراً إلى بناء السلالم وحفر الأنفاق كانت المجموعات الخاصة الأخرى أقل عدداً وتتضمن النساخين الذين يسجلون الغنائم وتفاصيل المعركة، وكان هنالك، على الأقل، فئتان من هؤلاء النساخين الذين يكتبون بالأبجدية المسمارية على ألواح الطين والذين يستخدمون الألفباء الآرامية للكتابة على الرق أو على البردي الذي كان يستورد من مصر. كان هنالك في الجيش أيضاً مترجمون وضباط استخبارات.

إذا استخدمنا المصطلحات المعاصرة يمكن القول إنَّ الجيش الآشوري كان له أيضاً من يمكن – تسميتهم (دائرة القساوسة)، إذا جاز إقامة مقارنة من هذا النوع اعتماداً على وجود شخصيات دينية مع الجيش، لكنها تعنى فقط بأمورالطقوس دون أن تكون لديها فكرة حول العناية بأرواح الجنود. كان الأشخاص الذين نتحدث عنهم خدماً طقوسيين يرافقون الجيش، وبالمناسبة، يقومون ليس فقط بتقديم القرابين، بل بالحصول على الآيات وتفسيرها حين يتطلب الأمر ذلك. من الواضح أن هؤلاء الخدم كانوا– من خلال التحكم بتفسير العلائم – يلعبون دوراً هاماً في دعم المعنويات، ونحن نعرف أزمات مختلفة كان الكهنة الموجودين مع الجيش يقدمون فيها فتاوى مؤاتية، على الأغلب، تهدف إلى الشد من إزر المحاربين في اللحظات الصعبة.

هكذا نجد أن أسر حدون – بعد اغتيال أبيه سنحاريب على يد أخويه– تحرك لملاقاة جيش القاتلين بعد حصوله على رسالة من الآلهة، ساعدت على تشجيع قوات أسر حدون وزرع الذعر في صفوف القوات الموالية للأخوين قاتلي أبيهما. كذلك يذكر آشور بانيبال رسالة مهمة جداً وافاه بها كاهن أثناء حملته ضد أخيه المتمرد الذي كان ملكاً على بلاد بابل: على قاعدة تمثال إله القمر كان مكتوباً :(**على كل الذين يتآمرون ضد آشور بانيبال ويضمرون له العداء سوف أنزل موتاً بغيضاً،**

بخناجر الحديد اللامعة وبإضرام الحرائق وبالمجاعة والطاعون، سوف أنهي حياتهم). وفي مناسبة أخرى صادف الجيش في طريقه نهراً في لحظة الفيضان وأحس بالذعر، فما كان من خدم الطقوس إلا أن تلقوا على الفور نبأ سماوياً للتطمين: " شاهد الجنود نهر(إيدايد) وهو سيل عارم فخافوا من العبور، لكن الإلهة عشتار التي تسكن في إربيل أرت جنودي رؤية أثناء الليل، وقالت لهم: " **سوف أمشي بنفسي أمام آشور بانيبال، الملك الذي خلقته يداي**". طُمْئِنَ جنودي لهذه الرؤية وعبروا نهر "إيدايد" بأمان".

ربما كان يوجد بين رجال الدين المرافقين للجيش قسم يقيم الشعائر الخاصة بدفن الموتى الذين يسقطون في أثناء الأعمال العسكرية، مع أنه لاتوجد براهين إيجابية على أن ذلك كان يحصل فعلاً. من الممكن أنه كان هنالك حظر على الذكر العلني للكهنة المرتبطين مباشرة بموت الآشوريين في الحرب. وبالفعل، حين كان يجري تقديم قائمة بالكوارث في المخطوطات الملكية، كان عدد الوفيات الذي يدون فيها متدنياً إلى حد غير واقعي.

كانت بلاد آشور دولة على أهبة الاستعداد للحرب، لكن ليس منذ الأزل. في أوائل الألف الثانية قبل الميلاد كانت الأهمية الرئيسية للدولة تعتمد على المكانة التي تشغلها مدينة آشور كمركز تجاري ترتبط به مستعمرات تجارية في المناطق الأخرى البعيدة حتى أواسط الأناضول. في الحقيقة أن العامل التجاري – رغم طغيان النزعة العسكرية لاحقاً – لم يفقد قط أهميته في الحياة الآشورية حتى لحظة الانهيار النهائي للدولة وانطفائها في أواخر القرن السابع. كان قد مضى زمن طويل على وجود التجارة في الظل الذي يلقيه النشاط العسكري، والموضوع الذي تتحدث عنه الحوليات دائماً هو الحرب وليس التجارة. لقد بدأ هذا التغير بعد نهاية لسيطرة الميتانية على بلاد آشور في القرن الخامس عشر، كان يجب على الآشوريين الآن أيضاً أن يقاتلوا من أجل استعادة استقلالهم، وبعد حصولهم على الاستقلال كانت حدودهم الطبيعية – التي تمنح الأمان للمناطق الزراعية والمراعي التي تشكل نواة الدولة الآشورية ليست بالحدود

التي يسهل الدفاع عنها. لذا كان على الآشوريين الآن أيضاً أن يقاتلوا ليحموا أنفسهم من خطر تكرار تبعيتهم السابقة ويتوسعوا في المناطق التي كانت مصدراً محتملاً لمثل ذلك الخطر لقد تغلب الآشوريون على خطر احتلال بلادهم مجدداً من قبل ميتاني عن طريق احتلال بقايا ميتاني ذاتها.

لكن حتى بعد تحييد هذه الدولة، كان هنالك جبال طور عبدين في الشمال الغربي وكذلك الجبال الشمالية والشمالية الشرقية حيث تسكن شعوب جبلية ضارية مستعدة على الدوام لغزو السهول الآشورية. لأجل وضع هؤلاء عند حدهم، كانت بلاد آشور تحتاج إلى تسيير حملات عسكرية عبر الخطوط المحاذية للجبال، لكن ذلك كان يضمن مجرد سلام هش للخطوط المذكورة، معرض للانهيار فور مغادرة القوات الآشورية. هذا الوضع حتم المحاولات الآشورية الرامية إلى ضمان مزيد من الأمن في المناطق الحدودية، إما عن طريق إخضاعها كدول وإما بفرض الإدارة الآشورية المباشرة. لكن حتى في حالة ضمان الاستقرار في منطقة ما، كان من المحتمل أن يظهر الخطر القديم مجدداً على حدود هذه المنطقة، مما خلق حاجة الآشوريين إلى الذهاب لاحقاً في بحثهم عن الاستقرار. وكانت العوامل الاقتصادية تقوي هذا النزوع إلى التوسع. فالجبال كانت مصدراً للأخشاب الكبيرة اللازمة لأعمال البناء في المدن الآشورية، أما الشعوب القاطنة في الوديان الجبلية فكان يمكن تجنيدها في أعمال الحصول على الخشب. كذلك كان البعض من الجماعات القاطنة في الوديان الجبلية المذكورة يجيد إنتاج المعادن وتربية الخيل وهذه الغنائم التي يقدرها الآشوريين أكثر من غيرها.

كانت الفائدة الاقتصادية والسعي إلى ضمان الأمن هما بالتأكيد عاملين في تصاعد التوسع الآشوري العسكري. هنالك افتراض آخر بوجود عامل ديني يكمن في أن مشيئة الإله آشور هي التي تقضي بأن يوسع الملك دولته. وتبدو الصفات التي كانت تطلق على الإله آشور انعكاساً لذلك: فهو " الذي يهزم جميع المتمردين" و " الذي يبعثر الأشرار" و" الذي يعمل ضد الذين لا يخشون كلمته" والذي "

لا يفلت من شباكه مقترفوا الآثام" وكل هذه التعابير تأتي في سياق الإساءة إلى الإله آشور من خلال معارضة الجبروت العسكري لبلاد آشور. حتى إنَّ أحد الباحثين البارزين يذهب إلى حد أن يقول عن التوسع العسكري الآشوري بأنه " نوع من لاهوت الحرب المقدسة " القائم على الاعتقاد بأن الإله آشور يجب أن يحكم البشرية كلها.

تكاد الرغبة الدينية لإرضاء الآلهة أن تضع التوسع الإمبراطوري الآشوري في مرتبة أعلى من مجرد الفائدة السياسية والاقتصادية، لكنه لايمكن فصل الإيدولوجيا عن الاعتبارات العملية لا توجد إثباتات على أن الإله آشور كان يعلن حاكماً كونياً منذ بداية الألف الثانية، فهذه الفكرة ظهرت فقط مع بداية التوسع الآشوري. يبدو أن اللاهوت لم يكن يحث على السياسة التوسعية بل، على الأرجح، يتطور ليعكس تلك السياسة في أثناء تطورها ويقدم التعبير الديني عنها. لم يكن " لاهوت الحرب المقدسة " قوة محركة مستقلة بذاتها، بل تأويلاً بلغة الأساطير لما كان يجري فعلياً بدافع القوى الاقتصادية والسياسية. رغم ذلك، فإن ذلك اللاهوت، بحكم واقع تطوره، أصبح عاملاً في الحفاظ على زخم الحافز الإمبراطوري الآشوري، فبرز ليس كمجرد استجابة إنسانية للظروف الملموسة بل كنشاط تقرره المشيئة الإلهية. غالباً ما يشير الملوك الآشوريون إلى رسالتهم السماوية.

يبدو أن الآشوريين سبقوا غيرهم في الحرب النفسية والإشاعات، هم أول من لجأ لاستعمال هذا السلاح النفسي بانتشار الأخبار والاشاعات عن وحشيتهم في المعارك وفرض أقصى العقوبات على كل من يجرؤ أن يتصدى لهم. لقد كان أمراً ينسجم مع إحساس الآشوريين برسالتهم السماوية أن يسعوا إلى فرض الإيمان بها على الشعوب الأخرى. فضمان الاستقرار على امتداد الشرق الأدنى كان يقوم على القوة الآشورية ويتطلب إقناع الشعوب الأخرى بأنه لا جدوى من محاولات مناهضة الدولة الآشورية. وكان يمكن إنجاز ذلك من جهة أخرى عن طريق استعراض التفوق في القوى ومن جهة أخرى عن طريق

الدعاية، ويبرز هذان الجانبان منفصلين وغير مترابطين على الإطلاق. فكثيراً ماكانت استعراضات القوة الآشورية (بما فيها عقاب أولئك الذين يذنبون ضد بلاد آشور) موجهة عن وعي لإحداث الأثر الذي كان يعقبها، ليس ضد أولئك الذين كانوا يعانون منها مباشرة، لوحدهم، بل وكذلك ضد أولئك الذين يسمعون بها عن بعد.

هنالك إشارات متكررة في الحوليات الآشورية إلا أن الملك يصب على الأعداء مما يمكن أن نترجمه تقريباً (الخوف الرهيب)، حيث كان عدد من المصطلحات الأكادية يستخدم لهذه الغاية، لكن بعضها يتميز بدقة خصوصية. إنها تلمح إلى نوع العنف الرهيب الذي ينجم عن مجابهة الأشياء ذات الطبيعة السماوية. هكذا نجد الملك الآشوري يقدم على اقتراف جرائم معينة (تصل أحياناً إلى حد الشناعة) من شأنها زرع الهلع في نفوس الأعداء، ويعدّ نفسه أنه بالمعنى الحرفي يدخل (مخافة الله) في قلوب الذين قد تسول لهم نفوسهم معارضة الدولة الآشورية.

هذا الأمر يمثل استخداماً واعياً للقوة من قبل الآشوريين، ليس لأغراض سادية بل لغايات الحرب النفسية.أي لم يكن ذلك أمراً نابعاً عن رغبة التعذيب الانتقامي، بقدر ماكان عملاً موجهاً بشكل علني لتقديم عبرة عامة وتحذير من خلال استعراض مايمكن أن يحصل لمن يناهض بلاد آشور مناهضة نشيطة، ويشير سنحاريب فعلاً إلى أنه قد أخذ على عاتقه عناء القيام باستعراض تحذيري ضد عيلام، لكن الموت المفاجئ العيلامي بعد ذلك بأقل من ثلاثة أشهر تمخض عن انتقال العرش العيلامي إلى الشقيق الأصغر للملك، ولم يكن هذا الشاب ذكياً بما يكفي ليستخلص العبرة اللازمة من ذلك الدرس فيما يتعلق بالجبروت العسكري الآشوري. من وجهة نظر سنحاريب، كان من غير المتوقع وغير المعقول حدوث تدخل عيلامي لاحق في شؤون بلاد بابل (التي كانت من أهم مجلات النفوذ الآشوري) بعد

استعراض القوة الآشورية، ومما يؤكد موقف سنحاريب كونه يشير إلى افتقار الملك العيلامي الجديد للذكاء ثلاث مرات في غضون ثلاثين سطراً من النص.

ثمة حادثة تبين العواقب الطبيعية المتوقعة التي كانت تنجم عن السياسة الآشورية، حيث أقدم آشور بانيبال على غزو منطقة من بلاد المنايين في شمال غرب إيران وشن «إرهاباً فظيعاً ». فكانت النتيجة اغتيال حاكم المنايين المعادي للآشوريين من قبل رعيته واعتلاء العرش من ابنه الموالي للآشوريين. لكن الآخرين صمدوا في موطنهم، حيث إنَّ رواياتهم المرعبة عن القوة الضاربة التدميرية للجيش الآشوري أصابت مستمعيهم بالبكم، إذ يقول شاروكين: « **إن قادتهم، الرجال الذين يفهمون في الحرب والذين هربوا أمام أسلحتي، وصلوا إليهم مصابين بسم الموت ورووا لهم عن مجد الإله آشور ،.. مما جعلهم مثل الموتى»**.

نفس هذا المبدأ مبدأ استخدام الحرب النفسية لأجل التقليل من الحاجة للعمليات العسكرية الفعلية يمكن أن يلاحظ حتى إنَّ الجانب النفسي من الحرب الآشورية يتجلى أيضاً من خلال الطريقة التي كانت تستخدم بها اللوحات الجدارية التي تتصور مشاهد الحرب. ومن المنطقي أن نستنتج أن هذه الغلبة لمشاهد الحرب كان المراد منها أن تقوي لدى الحكام الزائرين والسفراء وعيهم للجبروت العسكري الآشوري.

من الأمور التي كان يقترفها الآشوريون والتي لها جانب دعائي. فلم تكن تلك مجرد إجراءات عقاب ولا مجرد سادية فالقصد الدعائي واضح هنا: التأكيد على أن النشاط ضد الآشوريين والتمرد على الملك الموالي لهم حماقة فادحة. لقد فهم المناييون المقصود بسرعة، فالملك « أولوسونو» شقيق الملك المقتول وخليفته الذي كان متحالفاً في البداية مع أورارتو اقتنع بحماقة أساليبه، إذ إنَّ سنحاريب يتابع: «اجتمع أولوسونو المنابي وكل قومه معاً كرجل واحد وخر ممسكاً رجلي. لقد أشفقت عليهم، غفرت لـ

أولوسونو ذنوبه ووضعته على العرش الملكي وأخذت منه جزية ». فقد كان الجيش الآشوري أداة من أدوات إدارة الدولة، وكان أمراً يستدعي الرضا حين يسفر استعراض القوة عن تحويل حاكم معادٍ إلى موقف التبعية للدولة الآشورية.

لم يكن ذلك أمراً نابعاً عن رغبة التعذيب الانتقامي، بقدر ماكان عملاً موجهاً بشكل علني لتقديم عبرة عامة وتحذير من خلال استعراض ما يمكن أن يحصل لمن يناهض بلاد آشور مناهضة نشيطة. ونجد مثلاً جيداً آخر لآشور بانيبال، حين يذكر في رسالة أن جده سنحاريب، بمناسبة التمرد في بلاد بابل، كان قد منح مكافأة مقابل رأس الزعيم المتمرد على شكل ثقل من الفضة بوزن هذا الزعيم، ويقول إنَّه هو آشور بانيبال سيمنح الثقل نفسه ذهباً مقابل رأس كل زعيم يثور ضده إذا جلب ميتاً أو حياً، لا فرق إن واقع المكافأة كانت تمنح تماماً مقابل تسليم الرجل ميتاً تدل على أن علانية التخويف من مصير المتمردين وليس الحصول على متعة سادية من جراء تعريضهم للتعذيب هي ما كان الملوك الآشوريون يعنون به.

وفقاً لمعطيات الملك شاروكين، كان هنالك موسم ملائم للقيام بالحملات العسكرية، فهو يصف هذا الموسم على أنه « شهر الجبار تينورنا، الابن البكر للإله إنليل، الأكثر جبروتاً بين الآلهة، والذي سجله رب الحكمة نينشيكو على لوح طيني منذ الأزمنة السابقة بصفة حاشد الجيوش لكي يكتمل المعسكر». إن الشهر المعني هو (دوموزي) أي شهر تموز، وهذا ما يدل على أن الحس السليم كان إلى جانب (رب الحكمة)، لأن الحرارة في السهول الآشورية ترتفع في هذه الأثناء، بينما تقام المعسكرات في الجبال بعيداً عن الحرّ. إضافة إلى ذلك أن هذه الفترة هي الأكثر ملائمة لتجميع الجيوش على الصعيد القومي، إذ إنَّ الحصاد لدى الآشوريين كان ينتهي في أواخر أيار أو أوائل حزيران، مما يجعل الفلاحين قابلاً للتجنيد العسكري.

لم يتقيد شاروكين بموسم الحملات العسكريةدائماً ، لأن إحدى حملاته بدأت في شهر أيار (رغم أنه ربما كان مضطراً للاستعجال بسبب تمرد ما يجب إخماده). لكن خلال القرن التاسع نجد بالتأكيد أن الحملات العسكرية تستهل في أي من الشهور التالية: نيسان، أيار، حزيران، آب، تشرين الأول، تشرين الثاني، مع أن المحارب العظيم، الملكآشور ناصربال، كان يفضل شهر أيار أو حزيران. أما الحملات الشتوية فكانت أمراً غير مرغوب وغير اعتيادي. وأحد العوامل التي تقف خلف ذلك هو بدء الأعمال الزراعية في التشارين، بحيث أن مشاكل جدية كانت تبرز إذا مااضطر الفلاحون الجنود أن ينضموا إلى الجيش في هذه الفترة من العام.

أما العمليات العسكرية التي كانت تنظم بجهود الجيش الدائم فلم تكن، بالطبع تتأثر بتلك الاعتبارات، لكن عاملاً آخر هو العوامل الجوية كان من شأنه بطبيعة الحال، أن يستثنى أية عمليات عسكرية في الجبال خلال فصل الشتاء. رغم ذلك، نجد في المخطوطات الملكية، بين حين وآخر، أخباراً عن حملات عسكرية تستمر حتى طيبيت (كانون الثاني، وشباط)، علماً بأن التعليقات المرافقة بشأن سوء الطقس تشير إلى أن ذلك كان يعتبر أمراً شاذاً .

يحتاج الجيش الدائم إلى قواعد عسكرية دائمة، كانت متوفرة في العواصم الآشورية المتتالية، حيث نسمع عن بناء مجتمعات عسكرية في بعضها تحت اسم « إيكال ماشارتي »، مما يعني حرفياً « قصر المكان الذي يصطف فيه الجيش »، وفي الحقيقة، « ثكنة ». كانت تلك بنايات ذات باحات كبيرة للأغراض العسكرية. لكن مع النمو الدائم للأعباء العسكرية للدولة الآشورية، سرعان ما كانت الثكنات تصبح أصغر مما يفي بغرضها. ويتحدث عن ذلك بصراحة عدد من الملوك، إذ يخبرنا أسر حدون (680–669 ق.م) أن الـ « إيكال ماشارتي » التي في نينوى « التي أقامها الملوك الذين سبقوني، أجدادي، لكي يضمنوا الإجراءات اللازمة للمعسكر ولرعاية الجياد والبغال والعربات والتجهيزات اللازمة

للقتال ولنقل الغنائم... هذا المكان أصبح صغيراً لأجل تدريب الخيل ومناورة العربات ». هذا وتشير نصوص أخرى إلى أن الأسلحة والتجهيزات العسكرية عموماً كانت تخزن في الـ « إيكال ماشارتي »، بحيث أن الأخيرة كانت ترسل ترسانة إلى جانب كونها ثكنة، وكان لها موظفوها من النساخين على مستوى دائرة رئيس قسم الإمدادات.

لم تكن العواصم الآشورية المتتالية الواقعة على شطي دجلة، هي وحدها التي تقوم مقام قواعد للعمليات العسكرية، وأهم القواعد العسكرية هي في إربيل وكاليزي إذ نسمع على جيوش آشورية تنطلق من مدينة إربيل ومن مدينة تدعى « كاليزي » إلى الجنوب الغربي من إربيل وعلى بعد ثلاثين ميلاً إلى الشرق من كالخ. كما كان إنشاء القواعد العسكرية يجري في المناطق المحتلة خارج بلاد آشور على أساس تقوية الحصون القديمة المبنية من قبل السلطات المحلية بقصد استخدامها كثكنات، تحت أسماء جديدة، آشورية، فتملأ بالتجهيزات اللازمة للجنود والخيول. في أثناء تنقل الجيش بعيداً عن قواعده، ضمن الأراضي الآشورية، كان توفير الإمدادات مسؤولية الوالي المحلي، وبالتالي، مسؤولية الحاكم المعني حين يتعلق الأمر بدولة تابعة. وحين يكون الجيش خارج الأراضي الخاضعة للنفوذ الآشوري، كان عليه أن يطعم نفسه عن طريق نهب التموينات، وغالباً ما كان هذا الاعتبار يملي اختيار الطرق داخل أرض العدو.

عدا عن هذا المصدر لتأمين الغذاء، كان الجيش يحمل معه حبوباً وتبناً يتم منحها على دفعات كوجبات طعام للجنود والخيول. كانت إحدى الفوائد الفورية من احتلال مدينة ما كما يشير بعض الملوك الآشوريين هو فتح المخازن، بحيث أن الجنود كانوا يشبعون أكلاً بدون تقسيط للوجبات. كذلك كانت تبرز مشاكل تأمين المياه في المناطق الآهلة بالسكان، وحين يعز الماء (هذا أمر سهل الحصول في أجزاء كثيرة من الشرق الأدنى) كان من شأن ذلك أن ينعكس جدياً على انضباط الجيش. هكذا، يذكر شاروكين

حالة قريبة من التمرد نتيجة الإرهاق خلال حملة عسكرية مضافاً إليه انعدام الماء، ويواجه أسر حدون مشاكل بخصوص المياه في أثناء هجومه على مصر. والشيء الوحيد الذي مكنه من عبور صحراء سيناء بجيوشه هو قيام القبائل العربية، الصديقة للآشوريين، بجلب المياه لجنوده في قِرَب تحملها البعير.

كان القسم الأكبر من الجيش الآشوري الجرار يتكون من المقاتلين الذين في إمرة الولاة المحليين، ونجد ذكراً لجنود أحد الولاة. حيث يبلغ عدد خيالته 1500 وعدد الرماة 20000 وبما أنه كان يوجد أكثر من عشرين مقاطعة، فكان من الممكن في أثناء تعبئة عامة في كل أصقاع الإمبراطورية حشد جيش يصل تعداده إلى مئات الألوف بكل سهولة. هذا الأمر يتناسب مع المعلومات حول قوى العدو في إحدى المعارك الكبرى، ألا وهي معركة سنحاريب ضد العيلاميين في «حالول» عام 691 ق.م.

يعلن سنحاريب أن خسائر العيلاميين كانت 150000 شخصاً. ومن الممكن أن تلك كانت مبالغة لأجل الدعاية، لكن يمكن تصديق العدد المذكور من حيث أنه لا يعقل أن يزيد عن العدد المحتمل فعلياً لكل الجيش العيلامي، والذي يمكن أن يقارن به عدد الجنود في الجانب الآشوري. إن المذابح التي كان يمكن أن تحصل حين تلتقي على أرض المعركة قوتان من هذا الحجم أمر نستطيع استشفافه من التصوير الحي في المشاهد التي بقيت على اللوحات المجسمة، كتلك التي يبدو فيها نسر يطير حاملاً أحشاء قتيل.

لا يوجد ما يدعو للاعتقاد بأن كل الجيوش الآشورية كانت تجمع كل سنة. كانت بعض الحملات (التي قد تنجز أحياناً في غضون شهر واحد) يمكن القيام به اعتماداً على قوى أصغر بكثير وربما بجهود الجيش الدائم فقط في حالات معينة، سيما إذا كانت الحملات تخرق الموسم الزراعي. في زمن شاروكين الثاني، حين لم تكن هنالك اعتبارات اعتيادية، كان يمكن أن يكون النظام الطبيعي لسير الجيش

كمايلي: في المقدمة تسير رايات الآلهة يرافقها رجال الدين، ثم يأتي بعدها الملك كان يمكن أن تسير فصيلة ضاربة من سلاح المشاة، الذين يصفهم الملك بقوله: « **جنود القتال الذين يسيرون إلى جانبي** ». غالباً ماكان الملك يشارك مشاركة فعالة في القتال (والحقيقة أن شاروكين الثاني لقي حتفه في معركة، على الأرجح)، حيث هنالك مؤشرات على أن قوة المشاة الضاربة كانت تحت أمرته المباشرة، وتشكل امتداداً لحرسه ورأس حربة في الهجوم. خلف الملك كان يأتي الجسم الأساسي لجيش المقاتلين الآشوريين وأخيراً تأتي الطوابير الخاصة بالنقل التي تؤمن مؤخرة الجيش.

إن التفاصيل العرضية حول سير الجيوش تسمح لنا بإجراء حساب يفيد بأن الجيش الآشوري كان يتقدم حتى الثلاثين كليو متراً كل يوم، وهذا سهل بالنسبة للخيالة (إذ استثنينا المناطق الوعرة)، لكنه يجب أن يكون صعباً لوحدات النقلحين يصبح الجيش في البرية، تبقى الوحدات النظامية (التي كانت تشكل نواة الجيش الآشوري) على أهبة الاستعداد الدائم للقتال، وهذا ما يتضح من كلام أسرحدون حول الأحداث التي جرت بعد اغتيال أبيه سنحاريب عام 681 ق.م. كان أسر حدون حول آمراً لجيش في غرب البلاد، ويقول إنَّه حين سمع الأخبار وتلقى رسالة ملائمة من الآلهة ..«**لم أتباطأ ولو يوماً واحداً ولم أنتظر جنودي (ليجمعوا بالكامل)، ولم أُعنَ بالوحدات الخلفية ولم أبالِ بالكشف عن حال الخيول والمعدات وتجهيزات القتال، كما لم أكوم زاداً للطريق. لم أكن خائفاً من الثلج والصقيع في شهر شباط ولا قساوة الشتاء** ». على العكس من ذلك، انطلق أسر حدون فوراً لمجابهة الأخوين القاتلين. وهذا أمر ممكن فقط إذا كان بين الجنود الذي في أمرته وحدات قتالية في حالة الاستعداد للانطلاق ودخول القتل بإشعار فوري.

كان الانتشار السريع يشكل، بالطبع، عاملاً حيوياً في النجاح العسكري، ومعظم مناطق الشرق الأدنى خارج سهول بلاد الرافدين تتضمن عوائق لتقدم الجيش (الجبال الوعرة والمناطق الصخرية أو

الصحراء الشاسعة)، بينما يقطع السهول ذاتها نهر الفرات ونهر دجلة وروافدهما العديدة، مما يشكل حواجز على طريق تقدم الجيوش.

كان لدى الجيش وسائل مواصلات على العجلات (ليس فقط عربات بل مركبات، تجرها البغال أحياناً أو الثيران أو حتى الجنود) لأجل التموين والمعدات. ووحدات الهندسة العسكرية لأجل شق الطرق الوعرة تجعل تقدم العربات والمركبات مستحيلاً، لكن حتى هذا صعباً في بعض الأماكن، رغم أنه لم يكن ليوقف الزحف الآشوري. فالجيش كان إما يترك المراكب ذات العجلات وراءه، على أمل تجميعها فيما بعد وإما أن يعمد إلى دفعها بالأيدي إذا كان معلوماً أن الطريق ستكون سالكة بعد مسافة معينة. كانت الأنهار تعيق حركة الجيش الآشوري لكنها لاتوقفه كلياً . فحيث يتعذر العبور، كان تحت تصرف الجيش قوارب وأطواف تجمل مع المعدات خصيصاً لهذه الغاية. في أوائل القرن السابع قام سنحاريب باستخدام ريادي أكثر للقوارب، وذلك في سياق حربه ضد العيلاميين في جنوب غرب إيران الحالية. كان سنحاريب يفهم أن المراكب النهرية غير صالحة لتنفيذ خطته، فاستدعى بناة سفن من سورية ليبنوا له أسطولاً في نينوى «من صنع بلادهم » (ربما كان الملك يعني «من النمط المستخدم في البحر الأبيض المتوسط ». بعد ذلك أبحرت السفن بقيادة بحارة فينيقيين عبر دجلة حتى موقع بغداد الحالية، ومن هناك تم نقلها(نظراً لصعوبة الإبحار عبر دجلة السفلى) يدوياً إلى قنال يفضي إلى نهر الفرات، ومنه إلى الخليج الفارسي، حيث استخدمت لنقل الجنود والخيل من أجل هجوم بحري.

لم يكن الملك دائماً يرافق جيشه في أثناء الحملات العسكرية، لكن إعلامه حول العمليات القتالية كان يجري بشكل دائم. يتبين من هذا الأمر من المراسلات الكثيرة التي كان الضباط يرسلونها من ميادين القتال، إما عن نشاطات الجيش ككل وإّما عن أداء وحدات عسكرية مختلفة. وكان الملك بدوره يرسل توجيهات إلى القادة الميدانيين، وفي حالات معينة يزودهم بإرشادات فيما يخص المفاوضات مع الدول

الأجنبية في المنطقة. إن هذا الاتصال الجيد بين العاصمة والجيوش المرابطة خارج حدود الدولة الآشورية كان يصبح واقعاً ممكناً بفضل نظام الاتصالات الفعال. كان نظام الاتصالات الآشوري يتضمن أيضاً منظومة تجسس عسكري، أو يتم الحصول على المعلومات عن طريق السكان المحليين في داخل الأراضي المعادية، إما عن طريق أسر البعض واستجوابهم وإّما عن طريق الجواسيس المأجورين، وهنالك أمثلة على استعمال الأسلوبين كليهما.

هنالك رسالة تذكر أسر أشخاص لأجل استجوابهم حول مواقع العدو، رغم أن هذه الحالة تحديداً تخص المتمردين البابليين الذين حاولوا على هذا النحو معرفة تمركز الجنود الآشوريين. وبعد أن تمكن الفصيل البابلي من أخذ الأسرى، سقط هو نفسه في الأسر في أثناء هجوم معاكس، وخلال استجواب الآشوريين لضباط الفصيل المتمرد يتم اكتشاف هدفه واستعادة الجداول. وكل هذا نجده في رسالة ضابط آشوري إلى الملك آشور بانيبال. تشير التقارير التي كانت ترد إلى الملك أن التجسس العسكري كان يعني ليس فقط بحركة جنود العدو وتوزعهم، بل وكذلك بأية مسألة قد تؤثر على معنويات العدو في زمن سنحاريب.

كانت الجيوش الآشورية قادرة على التنويع في تكتيكها. فحسب الظروف، كان بوسعها خوض حرب العصابات في الجبال في معركة الميدان المفتوح أو إقامة نظم الحصار السكونية حول مدينة ما، وأكثر معركة دامية، ما يبدو كانت المعركة التي تقع بين جيشين في ميدان مفتوح، إذ إنَّ سنحاريب يصف معركة من هذا النوع صد جيشه خلالها الجيش العيلامي الغازي عند شط دجلة في عام 691 ق.م « **مثل هجوم أسراب الجراد في الربيع، جاؤوا مجتمعين ضدي لخوض المعركة، وكان غبار أقدامهم يغطي أديم السماء العريضة مثل العاصفة المكفهرة في الشتاء البارد القاسي. ووقفوا في وضعية القتال في حالول على شط دجلة وقطعوا طريقي إلى مياه الشرب واستعدوا للمعركة** ».(وهنا تضرع سنحاريب للآلهة طالباً

النصر وارتدى درعه وصعد إلى مركبة القتال وتقدم للمعركة). « **بأمر الإله آشور، الرب العظيم، انقضيت على الأعداء مثل اقتراب الاعصار ... لقد هزمتهم هزيمة نكراء وأعدتهم من حيث أتوا. لقد خرمت جنود العدو بالرماح والسهام. أما« هومبان أونداشا » القائد الأعلى لدى ملك عيلام ومعه نبلاؤه... فقد نحرت حناجرهم كالغنم... وراحت جيادي، المتعودة على سروجها، تتبختر في سبيل دمائهم كما في نهر، وعجلات عرباتي تعطلت بسبب الدماء الممزوجة بالأوساخ. لقد ملأت السهل بجثث محاربيهم كما يمتلأ عشباً. كان هنالك عربات بخيول، قتل ركابها حين دخلوا المعركة الضارية فانفلتت الخيول طليقة وراحت تجول جيئة وذهاباً عبر الميدان لمسافة ساعتين مزدوجتين حوالي عشرة أميال)..**

أما بالنسبة لشيوخ الكلدانيين فقد ركبهم الهلع أمام هجومي كأنه عفريت، فهجروا خيامهم وفروا بأرواحهم يدوسون جثث جنودهم أينما ذهبوا.. ومن خوفهم راحوا يبولون ويتغوطون داخل عرباتهم ». كان الشكل الرئيس الآخر لطريقةالحرب الآشورية هو الحصار، الذي تميز بدرجة رفيعة من التنظيم. كان العامل الجوهري الأول هو المواصلات الفعالة، التي لابد منها لنقل آليات الحصار الثقيلة، مثل منجنيقات القصف المدرعة ذات العجلات، التي نرى تصويرها في اللوحات المجسمة.

أما السلالم (التي تتكون من قوالب الطين والحجر مع هياكل خشبية)، فكانت تبنى لتتمكن تلك الآلات من التحرك والوقوف مقابل النقاط الأكثر ارتفاعاً وأقل سماكة في الأسوار الدفاعية. أما جنود الهندسة العسكرية فكانوا يحفرون الأنفاق لتهديم مقاطع معينة من الأسوار، والمشاة يرفعون السلالم ويتسلقون الأسوار في أية نقطة ضعيفة التحصين. وكان وابل من السهام وأحجار المقاليع ينهمر على رؤوس المدافعين من أيدي الرماة وحملة المقاليع. أما السلاح الآخر الذي كان يستخدم فهو النار. واذا حكمنا انطلاقاً من الإشارة الواردة في نص مسماري حول « احتراق القصب الذي يقوض التحصينات »،

فسنجد أن إحدى الطرق التي كان يمكن أن تستخدم في بلاد الرافدين القديمة هي فلق أحجار السور الدفاعي بواسطة الحرارة الناجمة عن حريق ضار، لكنها طريقة فعالة فقط ضد الأسوار الهزيلة جداً، كما استخدم النفط الخام أيضاً لأغراض عسكرية، وكانت إحدى الوسائل في بلوغ ذلك هي إطلاق السهام التي تحمل جمراً ملتهباً . كما أن المدافعين بدورهم كانوا يرمون آلات الحصار بالنيران.

الملك أسر حدون يصف ما جرى: « **بينما كنت ماضياً من نصر إلى نصر في هذه المنطقة، كان هنالك سلم قد نصبته مقابل... مدينة (أوبوم) وخلال الليل بخوا نفطاً على ذلك السلم واشعلوا فيه ناراً. بأمر من مردوك، ملك الآلهة، هبت ريح الشمال وهي النسيم العليل لسيد الآلهة وأدارت لسان اللهب لهب إله النار عكساً باتجاه (أوبوم) إنها لم تحرق السلم بل حرقت السور وحولته إلى رماد** ».

بينما يكون الحصار قد بدأ، كان الجيش الآشوري يقيم معسكراً حصيناً خارج المدينة ويضعه تحت حراسة جيدة، بحيث يتمكن الجنود من أن يرتاحوا. حين كان الحصار يكتمل، تقوم حلقة الحرس الآشوري حول المدينة المحاصرة بقطع كل الإمدادات عن المدافعين وتكون النتيجة الحتمية تقريباً هي أن المدينة القوية (التي لا يمكن فتحها بهجوم فوري) ستسقط في نهاية المطاف بسبب الجوع.

بعد فتح مدينة معادية، كانت معاملة سكانها تختلف حسب الظروف، وهنا تبرز مسألة الفظاعات التي كانت ترتكب، وهي تتطلب بعض النقاش لأن الآشوريين اكتسبوا سمعة سيئة في هذا الخصوص تحديداً، إن قراءة أشياء كهذه لا تسر. مع ذلك يجب أن ننظر إلى تلك الفظائع ضمن مجمل منظور الحرب في العالم القديم.

لا شك أن معظم الملوك الآشوريين، من آشور بانيبال فصاعداً، كانوا يمارسون سياسة توسعية، وكان هناك تمييز سياسي واضح بين المدن أو المناطق التي ضمت حديثاً إلى فلك الدولة الآشورية وتلك

التي كانت تدور في ذلك الفلك أصلاً لكنها تقدم على تمردات مسلحة. إن أفضل مصير بالنسبة للأسرى الذين قبض عليهم، أثناء فتح مدينة جديدة أو قهر منطقة متمردة، كان هو السبي. وكان الأسرى جزءاً من الموارد المتوفرة في الدولة الآشورية وكانت السلطات تريدهم أن يصلوا بعافية إلى المناطق التي تقرر سبيهم إليها وأن يستقروا هناك على نحو مفيد، لم يكن هدف السبي هو التأديب بقدر ما كان إفادة للدولة الآشورية على الصعيدين الاقتصادي والأمني. فبعض السبايا كان يتم إسكانه في المدن، حيث يكون احتياطياً من اليد العاملة المفيدة لمشاريع البناء الكبيرة ومن الحرفيين المهرة، في حين يذهب البعض الآخر إلى المناطق الزراعية التي يتم تأهيلها، فتتسع بذلك رقعة الزراعة ويزداد الإنتاج الزراعي، وكل هذا يزيد الرخاء الاقتصادي. كذلك كان جزء من السبايا ينقل إلى المناطق التي أجلي عنها قاطنوها من ذي قبل بعد تمرد ما، عموماً يبدو أن السبايا، في ظل الآشوريين، كانوا يسكنون في بيوت جديدة.

لم تكن الحملات الآشورية قتالية. فبعض الآشوريين، على الأقل وتحديداً : بعض الملوك على الأقل كانوا يحصلون على متعة كبيرة من الرحلات العسكرية في مناطق المرتفعات، دون الانشغال في المعارك. إن الجبال الواقعة شرق بلاد آشور وشمالها تتميز بمشاهد خلابة ولها(في الصيف) طقس مبهج جداً ، وقد دوّن بعض الملوك شعوره تجاه ذلك. من الواضح أن مناظر جبال زاغروس قد أذهلت شاروكين جداً ، أما ابنه سنحاريب فكان أقل إرهافاً، ومع ذلك وجد متعة في الذهاب إلى مغامرات في الجبال. فحول تسلقه للجبال الشاهقة أثناء مطاردة أعداء جبليين كتب نثراً منمق يقول: « **سلكت الطريق مثل ثور بري ضار ومعي نخبة حراسي وجنودي المقاتلين الذين لايعرفون الرحمة. اجتزت الوديان والسيول والوهاد والمنحدرات الخطرة في محفة (كرسي محمول). وحيث كان المسير صعباً كنت أترجل وأتابع المطاردة حتى القمم الشاهقة، مثل غزال، وحين كانت تتعب ركبتاي كنت أجلس إلى صخرة جبلية وأغب الماء البارد من قربتي لأروي غليلي** ».

جلب سنحاريب نبات القطن. هذا يدل على رغبة آشورية في النظر إلى العالم المحيط بذهن متفتح واكتساب الأفكار الجديدة والقبول الواعي بإمكانية تطوير الإطار القديم للأفكار والتجارب، الذي ورثوه عن أزمنة الألف الثالثة. ولكن اهتمام الآشوريين بالعالم المحيط بهم كان يذهب إلى أبعد من ذلك. فمع توسع آفاقهم الجغرافية كان يتوسع فكرهم وكانوا يبدون اهتماماً بأنماط الحياة المختلفة لدى الشعوب التي يلتقون بها. وهذا دليل على حيوية ذهنهم التي كانت توازيها (ولربما كانت تغذيها) حيويتهم العسكرية وتجديداته الإدارية. ومعظم ما أنجزوه بدافع من هذه البواعث كان له عواقب هامة بالنسبة للتطور اللاحق في الشرق الأدنى، فقد اكتشفت موارد جديدة للفلزات والخشب والحجز وانتشرت التقنيات. وعلى زمن الآشوريين بدأ استخدام بعض الأدوات الجديدة في إدارة الدولة، مما كان له أهمية بالغة في الشرق الأدنى لاحقاً، وعلى سبيل المثال – شبكة الطرق الملكية ونظام الاتصال السريع لضمان التواصل بين الولاة المحليين والملك.

يمكن أيضاً البرهان على أن أكثر القيم خلوداً بين تلك التي انتقلت من الحضارة السومرية إلى العالم أجمع مُدينة كثيراً للقوة العسكرية الآشورية. فمنذ أيام الآراميين والـ (موشكي) في عهد تغلات بلاصر الأول حتى زمن الأسكيدذيين في آخر عهد الإمبراطورية، كانت تتكرر أخطار الهجرات البربرية الجديدة إلى بلاد الرافدين، وكان الآشوريون يصدون الشعوب المهاجرة، لكن ليس في كل الحالات. أما حين لا يصدونها فكان التماس الناجم عن رد الفعل العسكري للآشوريين يلعب دوراً كبيراً في تطبيع نمط حياة الغرباء وفقاً لخط التقاليد في بلاد الرافدين. هذا هو ما نراه في حالة الميديين والفرس، الذين تمت مجابهتهم بوصفهم بدواً غير متحضرين خلال القرن التاسع، فكانوا تلاميذ نجباء لأسيادهم وأسلافهم الآشوريين لدرجة أنه بعد قرن واحد من انهيار الدولة الآشورية كانت الإمبراطورية الفارسية تحكم بلاد

الرافدين وباقي الشرق الأدنى دون إخلال جوهري بالنظام الذي كان قائماً في السابق. وبهذا برزت قاعدة التجانس الأمر الذي ترك أثره على مجمل التاريخ اللاحق للشرق الأدنى.

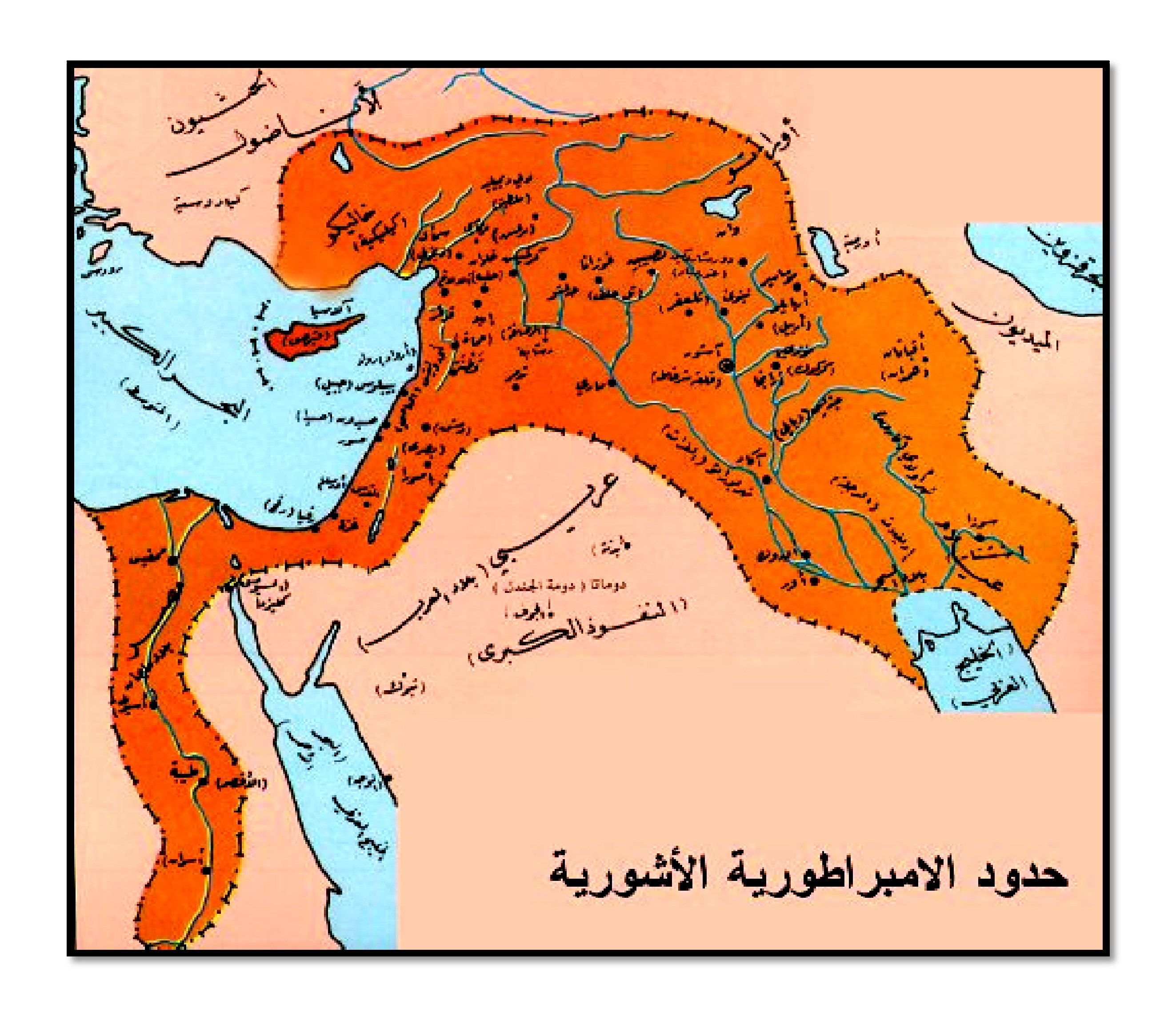
إن الثقة بالنفس كانت حقاً من سمات الملوك الآشوريين خلال الألف الأول قبل الميلاد. ورغم أن ذلك يبرز للعيان فوراً في الحوليات الملكية، حيث كان الملوك يتباهون بحرية، وفي آن واحد، بصفاتهم الشخصية ومنجزاتهم القومية، يمكن أن نجده أيضاً في العديد من مشاهد الحرب على اللوحات المجسمة يبدو الاعتزاز بالنفس واضحاً، إذ لا توجد هنا أية مسحة ولو لسؤال حول ما يفعله الآشوريون وكيف.

في الحقيقة، لا توجد إشارة إلى أن النجاحات الآشورية كانت تتوقف كلياً على المساعدة الإلهية. فهذا يدل على ثقة الآشوريين بقواهم البشرية الخاصة ومرتبط بضعف السيطرة التقليدية للمعتقدات المرتكزة على الدين، ونجد في بلاد آشور خلال الألف الأول دلائل صريحة على نظرة جديدة إلى العالم، وأما النظرة الجديدة إلى الكون فكانت تنص على أن لدى الآلهة خطة مسبقة للتاريخ وأن بلاد آشور هي العامل الأساسي في تلك الخطة.والعنصر الرئيس في الخطة المزعومة كان، في الحقيقة، دينياً سياسياً، يتجلى من خلال السيطرة الآشورية، المتوسعة باستمرار، في ظل الإله القومي آشور. عموماً، فلم تعد أشكال الحياة محصورة تماماً ضمن إطار الطرق القديمة. بدأ الآشوريون بتقبل الأفكار الجديدة، فأصبح بمقدور الملوك الآشوريين أن يتبنوا عن وعي الأساليب المعمارية الجديدة، من خارج البلاد، وأن يبحثوا بتروٍّ عن مصادر جديدة للخشب والحجر ويشجعوا استنباط طرق جديدة في مجال التعدين. لقد أدخلوا إلى حيز الاستعمال مواد جديدة، كالقطن مثلاً واستخدموا الحرفيين الأجانب، كما في حالة نقّاشي العاج أو بناة السفن، وذلك بقصد إدخال مهارات جديدة إلى بلاد آشور. وتحت الرعاية الملكية كان الفنانون يجربون أشكالاً فنية جديدة وتحسينات لاحقة في مجال اللوحات المجسمة بوصفها أداة للفن. حتى إنَّ الملوك الآشوريين أدخلوا ألعاباً أجنبية، وهو ما نستدل عليه من ألواح اللعب العديدة التي تعود إلى عهد

أسرحدون وتتضمن ثقوباً صغيرة وأخرى كبيرة أو نقوشاً معينة. كانت تخص لعبة جاءت بالأصل من مصر، لأنها عُرفت هناك قبل ظهورها في بلاد آشور بقرون.

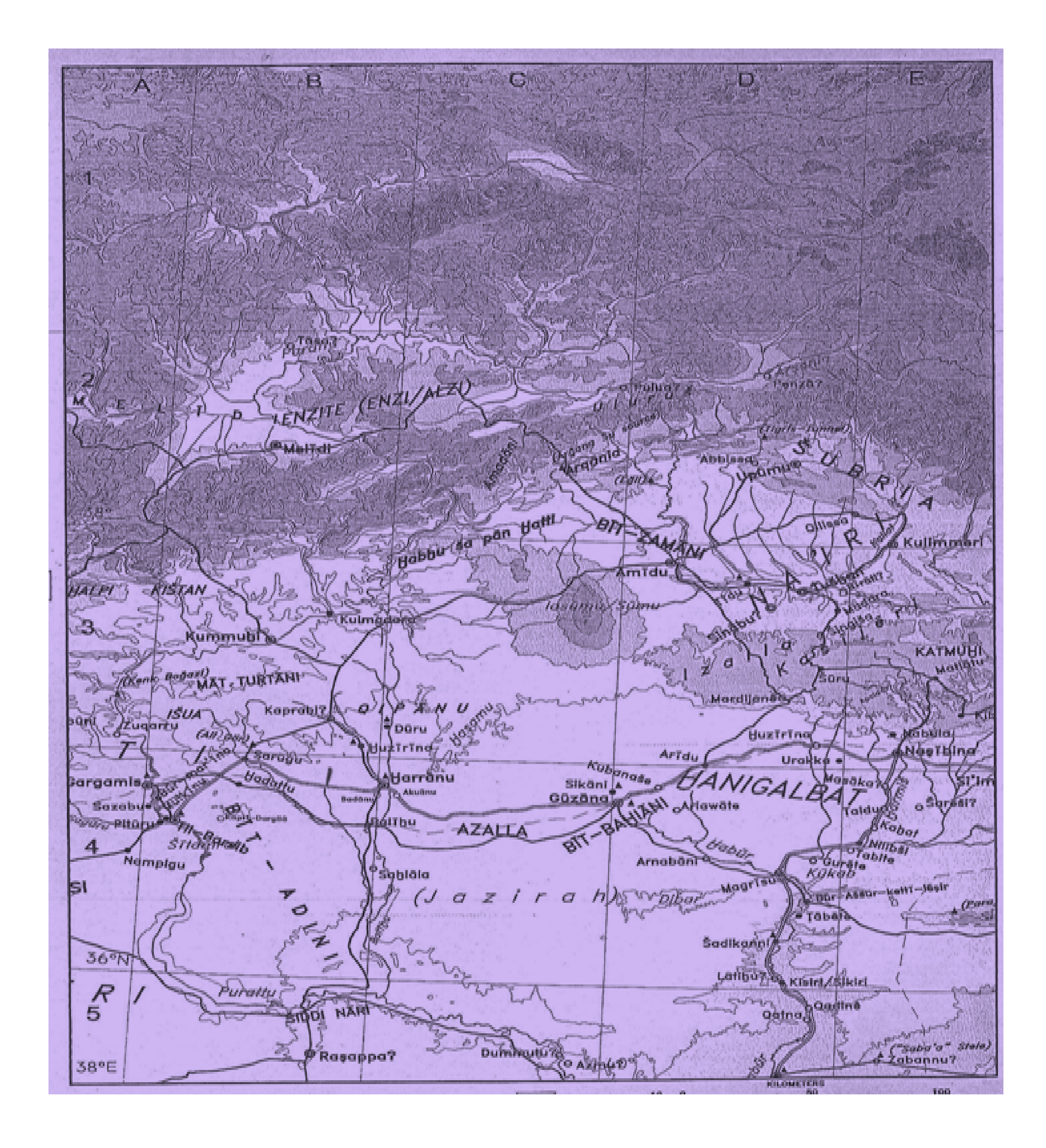
لقد ترك الآشوريون في التاريخ بصمة عميقة جداً، لدرجة أنهم بعدما يزيد عن ألفين ونصف من الأعوام على اختفائهم النهائي مازالوا يثيرون أحكاماً عاطفية، موجهة ضد نزعتهم الإمبريالية وفظاعتهم (التي غالباً ما يبالغ بها).

المصورات



المصور1: حدود الامبراطورية الآشورية

المصدر: السعدي، حسن محمد محيي الدين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم العراق إيران،آسيا الصغرى، المرجع السابق،ص194.



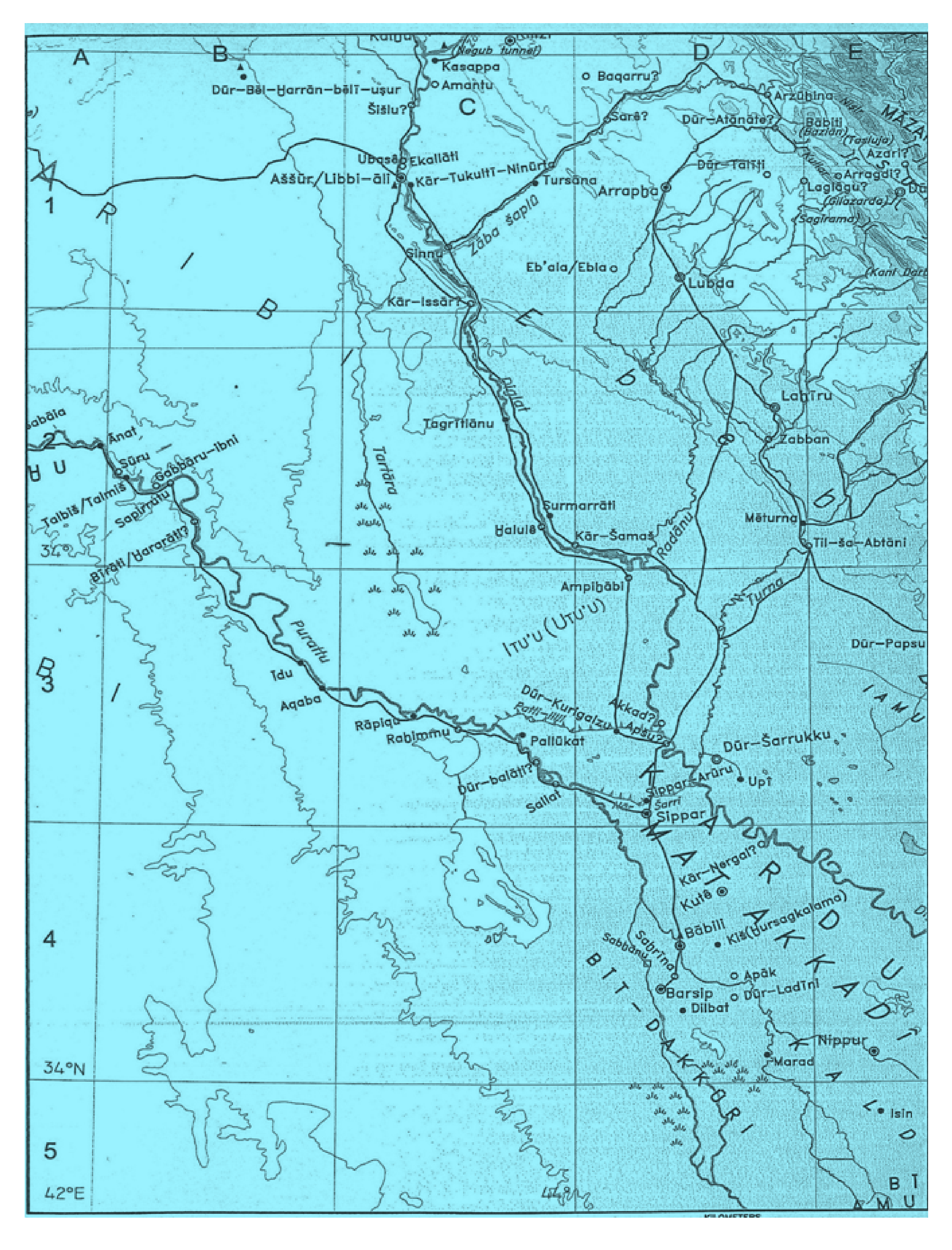
المصور 2 : منطقة شمال سورية في العصر الآشوري الحديث .

parpola,simo, And Michael Porter , The Helsinki Atlas ,map3, 2001



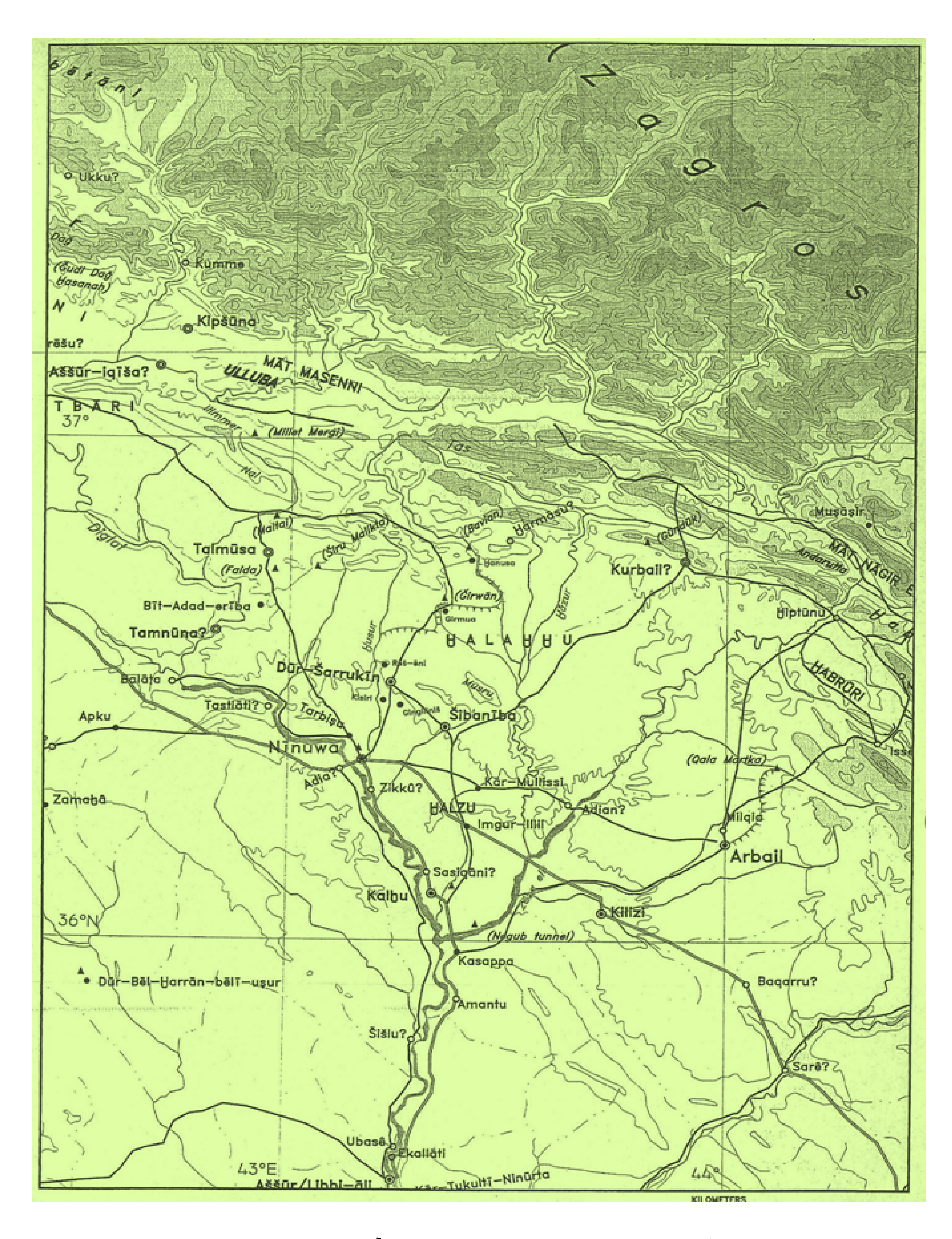
المصور 4 : إمارات الفرات الأوسط ، في العصر الآشوري الحديث .

parpola,simo, And Michael Porter , The Helsinki Atlas, map 9, 2001



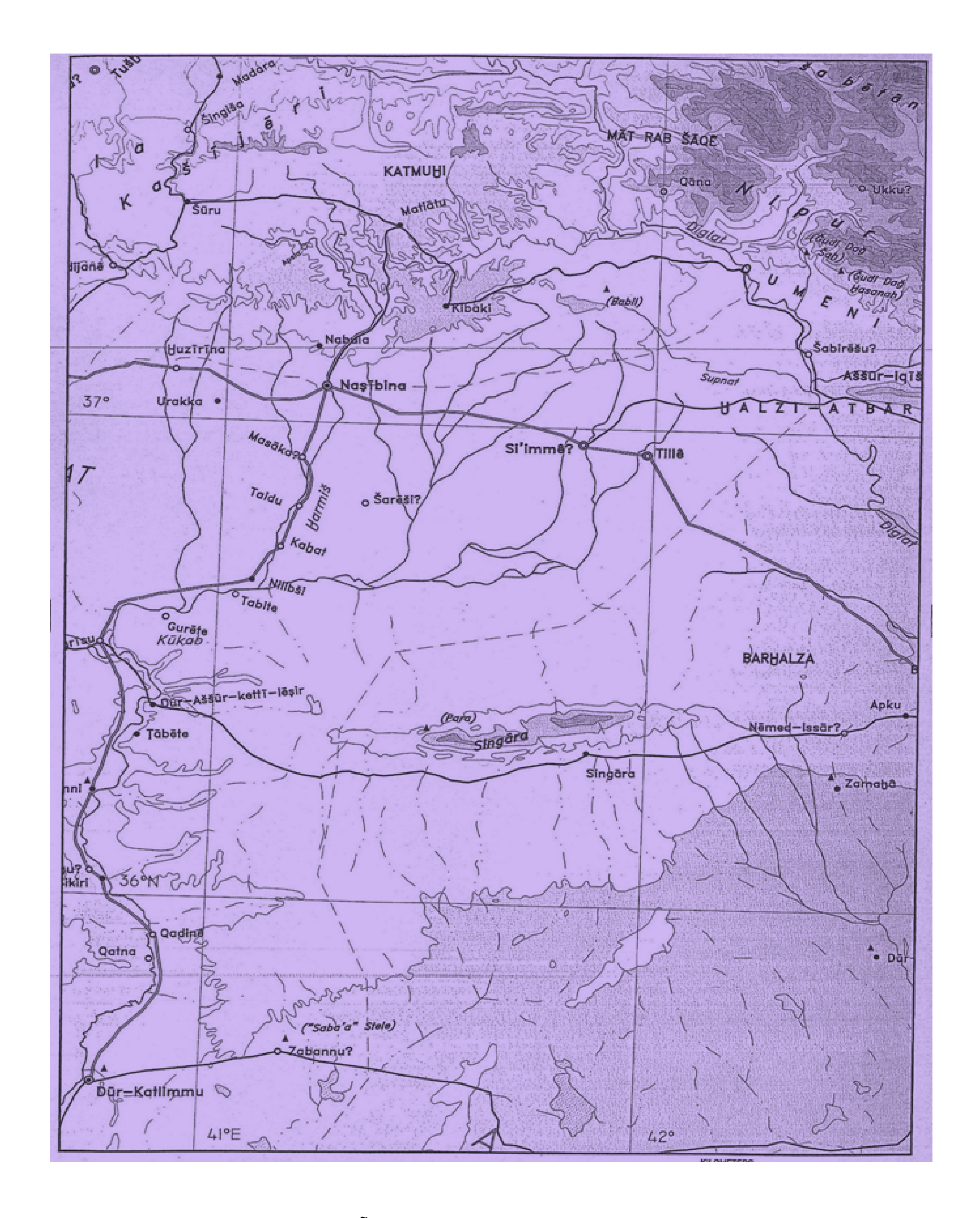
المصور 5:منطقة بلاد الرافدين ، في العصر الآشوري الحديث .

parpola,simo, And Michael Porter , The Helsinki Atlas ,map 10, 2001



المصور 6: منطقة شمال بلاد الرافدين في العصر الآشوري الحديث .

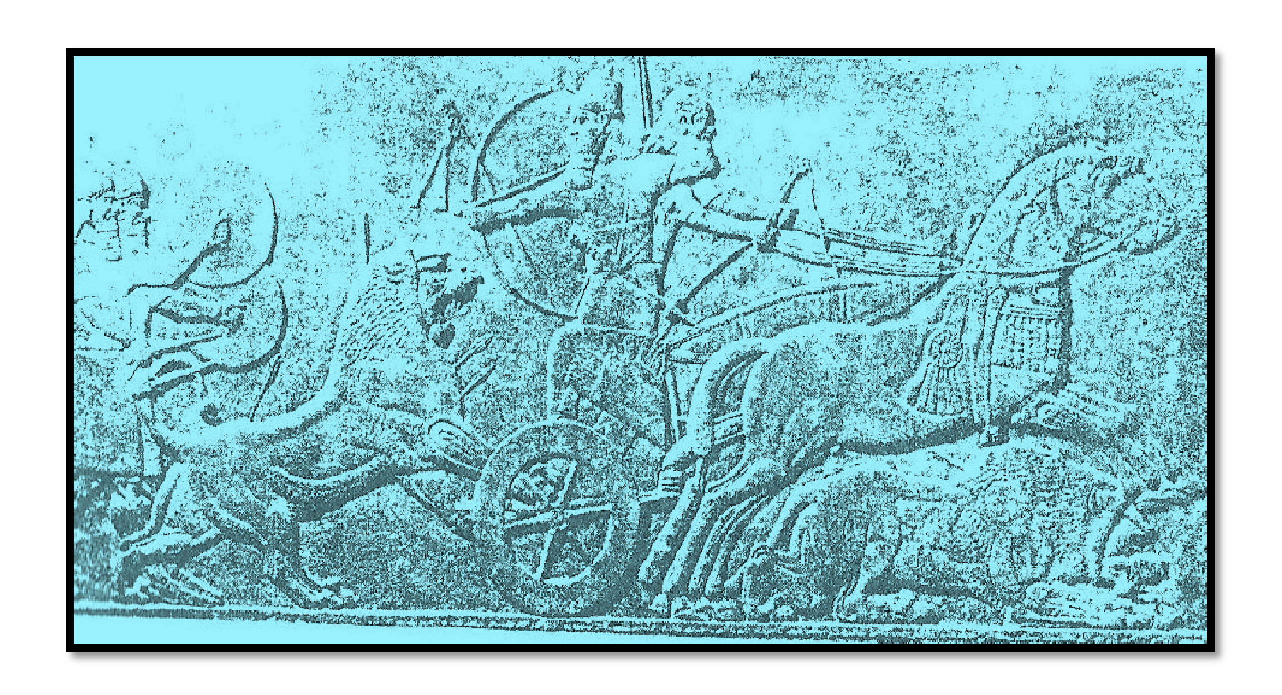
parpola,simo, And Michael Porter , The Helsinki Atlas, map 4, 2001



المصور 7 : منطقة شمال شرق سورية في العصر الآشوري الحديث .

parpola,simo, And Michael Porter , The Helsinki Atlas ,map 27, 2001

الأشـــــكال



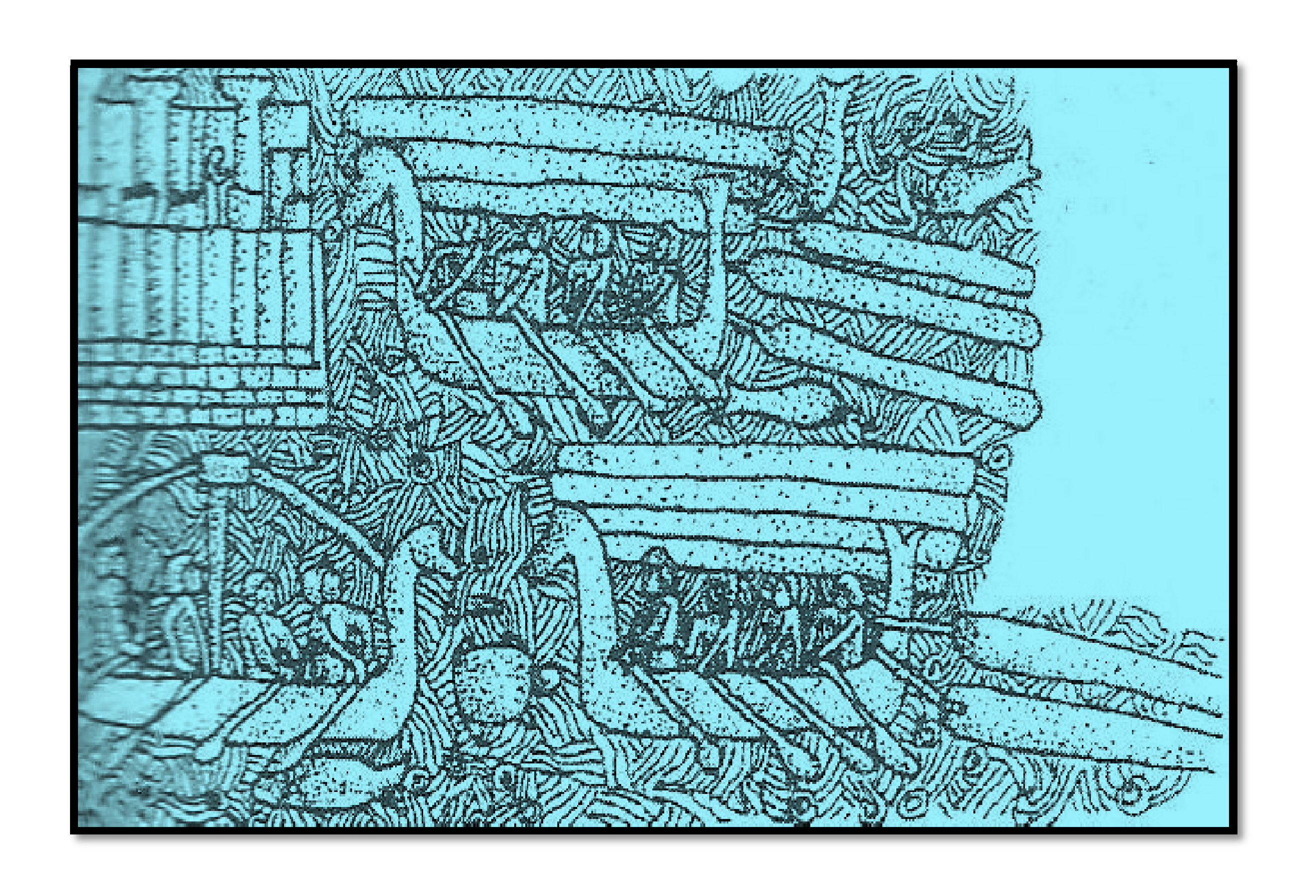
الشكل 1 : صورة منحوتة تمثل صيد الملك الآشوري للأسود ، من القصر الشمالي الغربي في كلخو .

المصدر: احمد ، محمود عبد الحميد ، وعبدالله ، فيصل ، ومرعي ، عيد ، آثار الوطن العربي،ص 190.



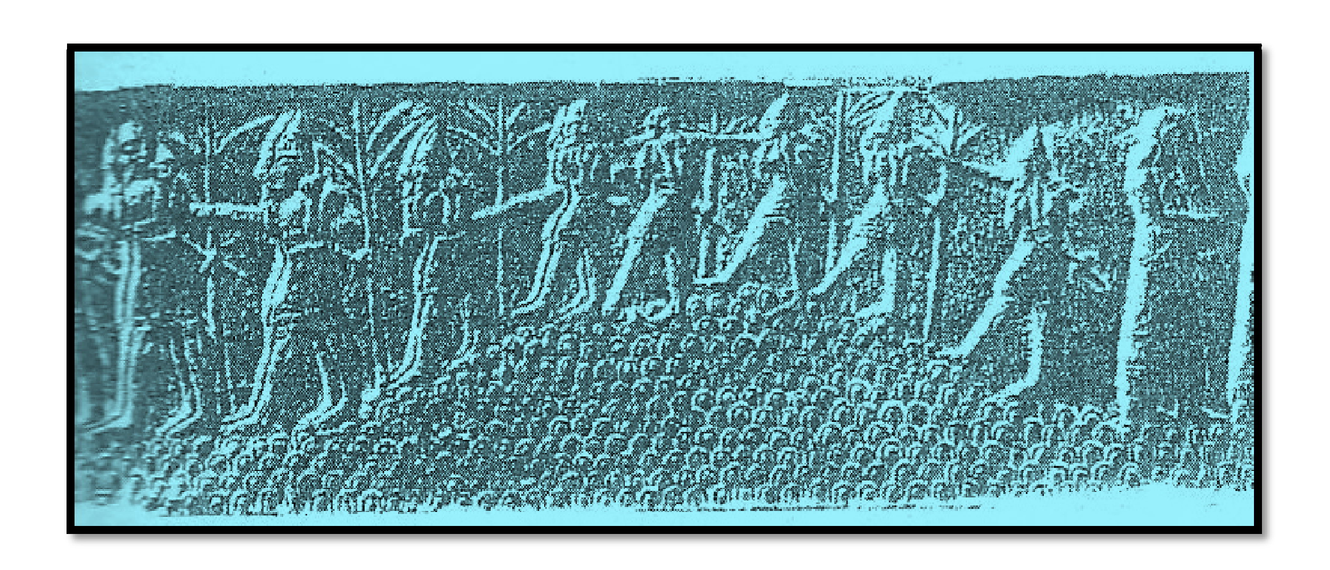
الشكل 2: مشهد يمثل الغنائم التي كان يحصل عليها الملوك الآشوريون من المناطق السورية.

المصدر: حمود ، محمود، شمال العاصمة السورية القديمة مرحلة جديدة من التنقيبات الأثرية، مجلة مهد الحضارات، ص 318.



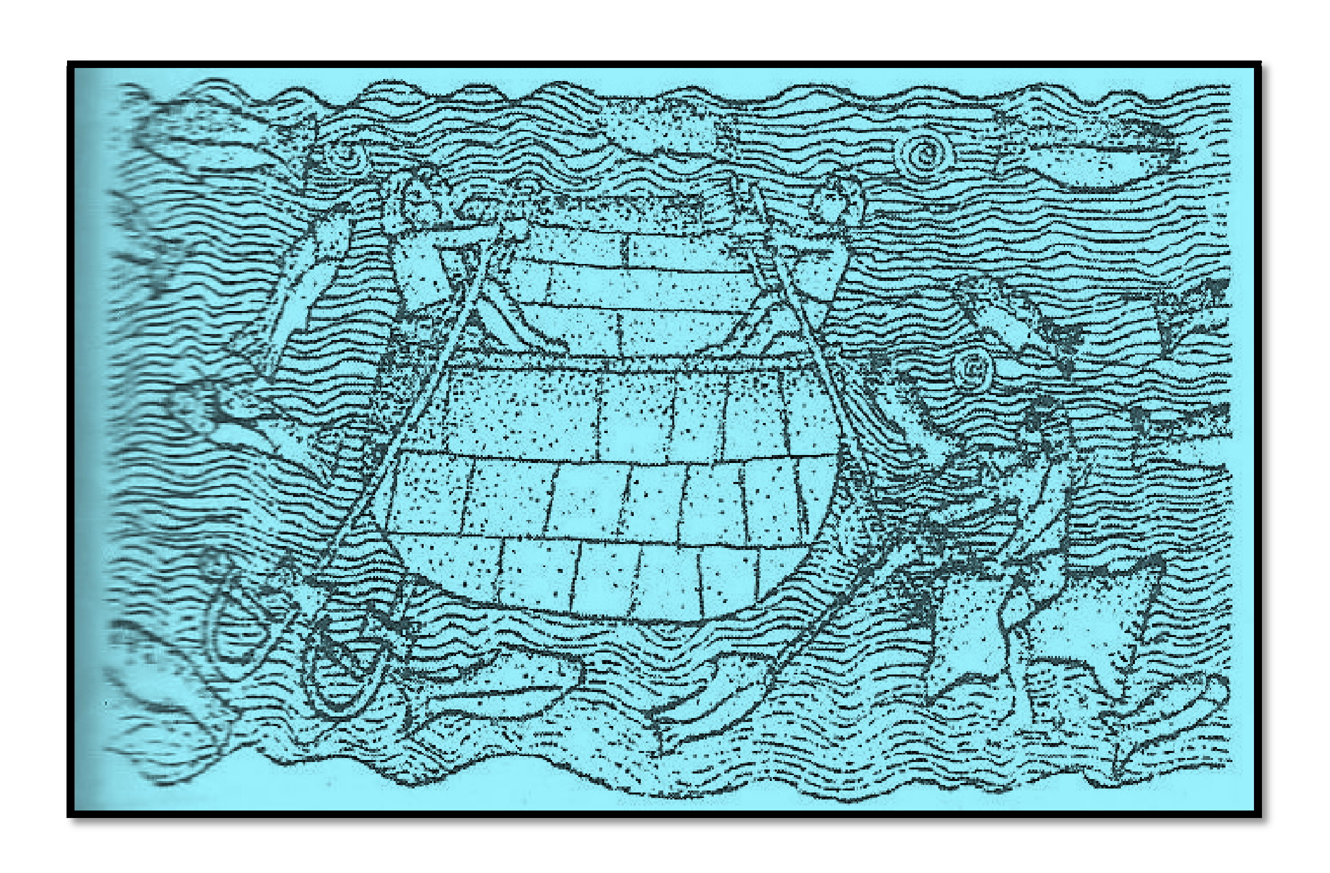
الشكل 3: مركب آشوري يحمل أخشاب من الغابات السورية ، من عهد شاروكين.

المصدر: حمود ، محمود، شمال العاصمة السورية القديمة مرحلة جديدة من التنقيبات الأثرية، مجلة مهد الحضارات، ص 328.



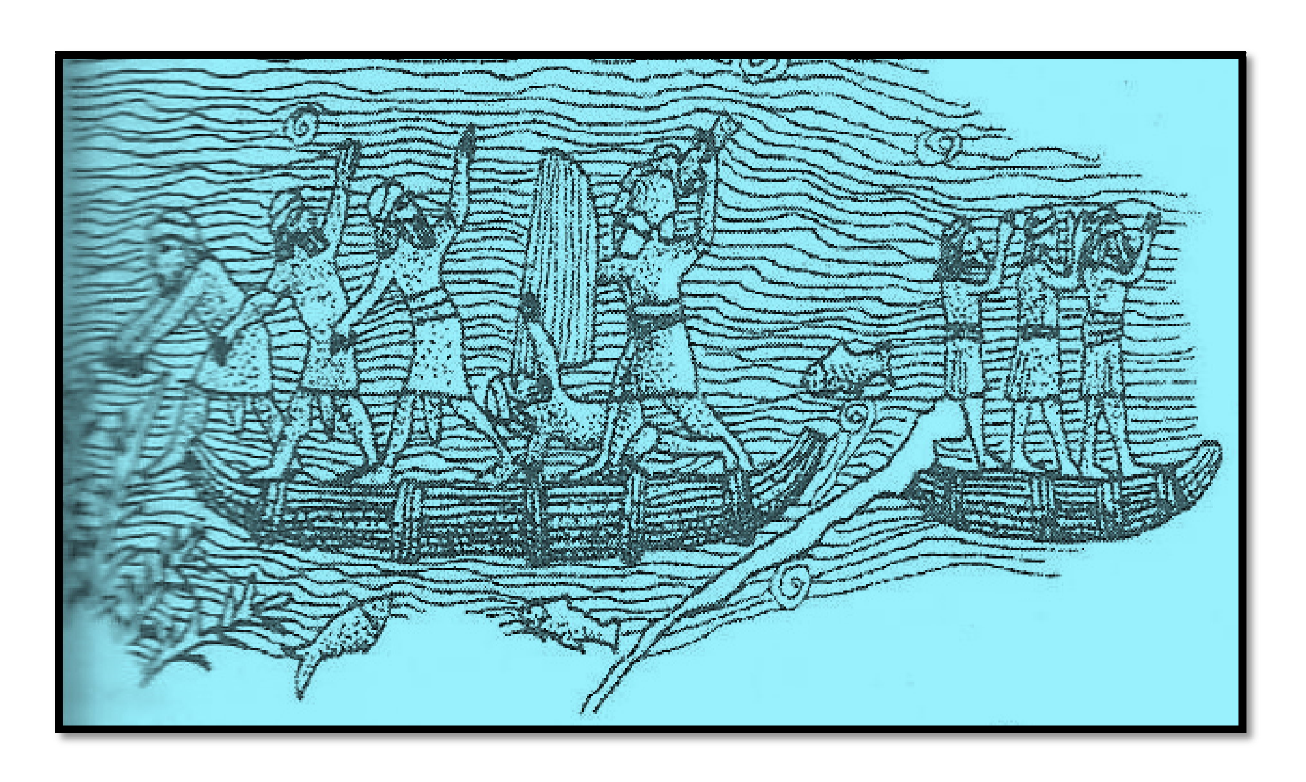
الشكل 4 : جنود آشوريون يجمعون الاخشاب من الجبال السورية في عام 858 ق.م.

المصدر: حمود ، محمود، شمال العاصمة السورية القديمة مرحلة جديدة من التنقيبات الأثرية، مجلة مهد الحضارات، ص318.



الشكل 5: مركب كبير مغطى بالجلود ، ورجل يمتطي جلد منفوخ على الماء بقصد الصيد ، وهذه الطريقة استخدمتها معظم الجيوش الاشورية في عبور نهر الفرات .

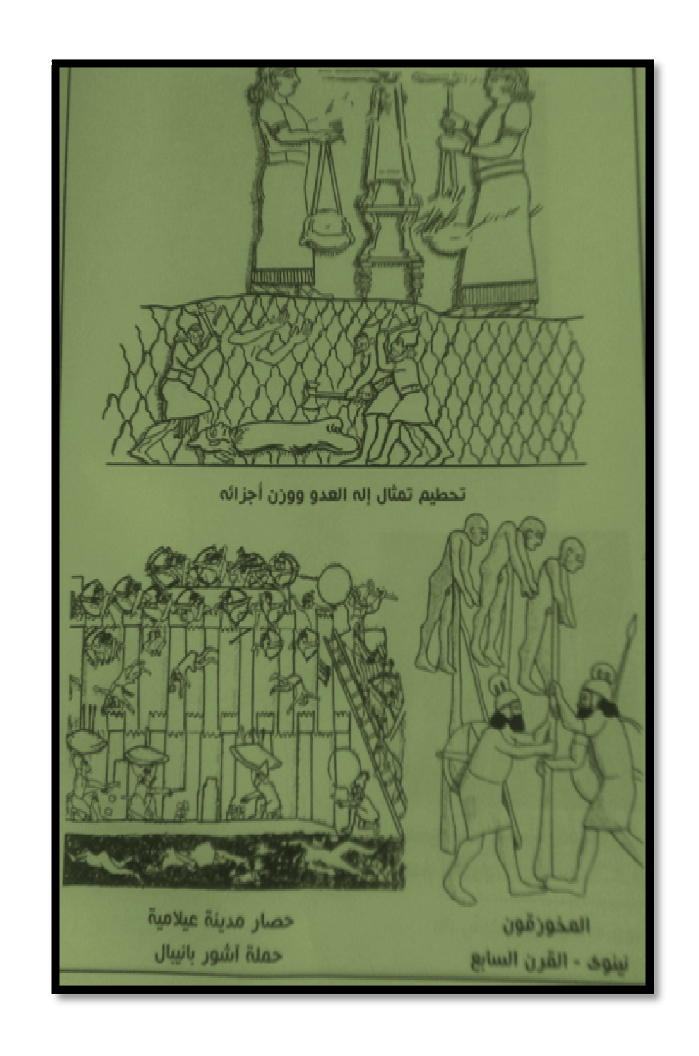
المصدر: حمود ، محمود، شمال العاصمة السورية القديمة مرحلة جديدة من التنقيبات الأثرية، مجلة مهد الحضارات، ص 328.



الشكل 6: قارب مصنوع من القصب ، وهو من الأنواع التي كانت مستخدمة في عهد سنحريب

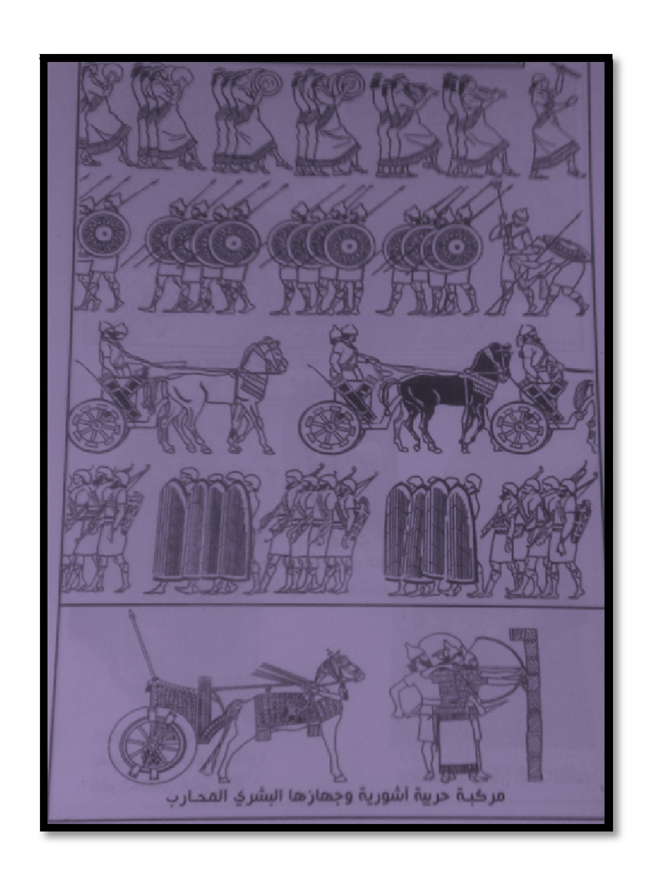
المصدر: حمود ، محمود، شمال العاصمة السورية القديمة مرحلة جديدة من التنقيبات الأثرية،

مجلة مهد الحضارات،ص 32.



الشكل 7: مشهد يمثل تحطيم تمثال إله العدو ووزن أجزائه وحصار مدينة عيلامية (حملة آشوربانيبال) على عيلام.

المصدر: الشواف، قاسم، الحكم والسياسة في العالم القديم ص31.



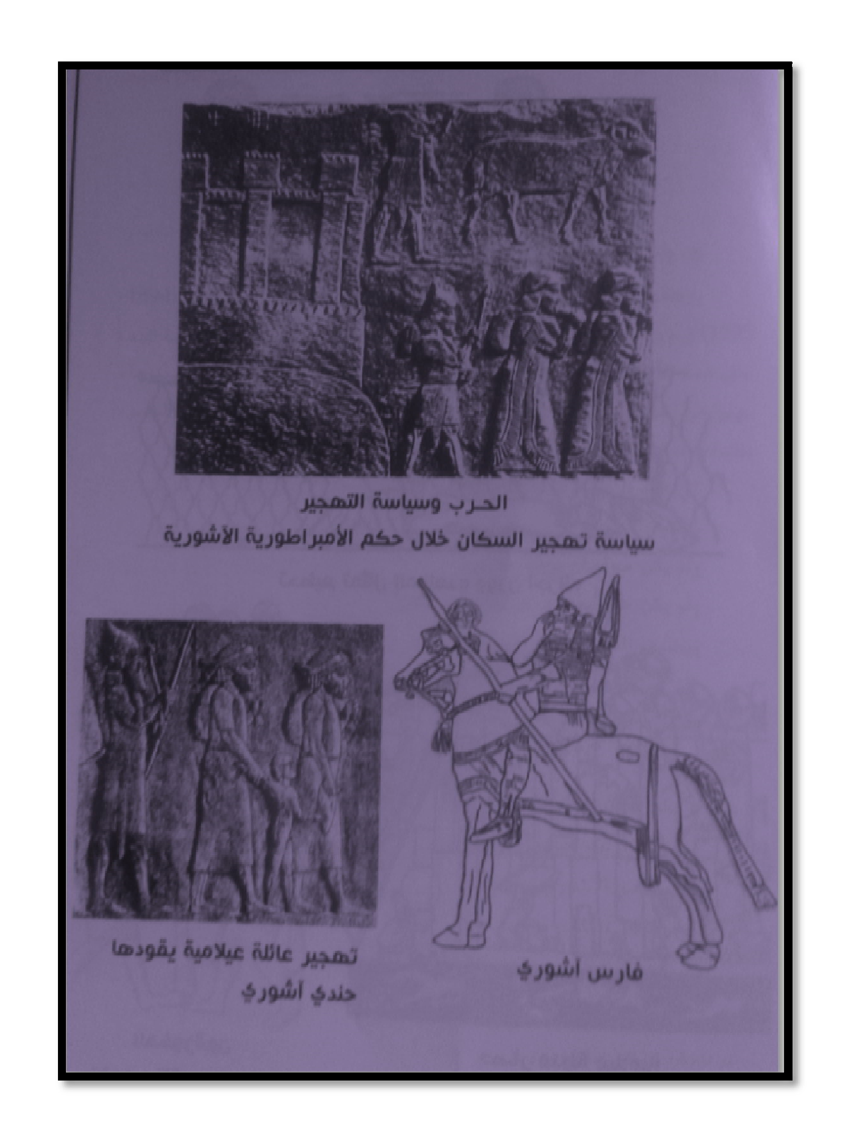
الشكل 8: مشهد يمثل مركبة حربية آشورية وجهازها البشري المحارب

المصدر: الشواف، قاسم، الحكم والسياسة في العالم القديم، ص32.



الشكل 9: مشهد يمثل الملك ألاشوري آشور بانيبال يحمل السلة في القرن السابع قبل الميلاد

المصدر: الشواف، قاسم، الحكم والسياسة في العالم القديم ص33.



الشكل 10: مشهد يمثل سياسة تهجير السكان خلال حكم الإمبراطورية الآشورية والاستيلاء على مدينة عيلام.

المصدر: الشواف، قاسم، الحكم والسياسة في العالم القديم ص31.



الشكل 11: مشهد يمثل قواسان وكبش دك وبرج حصار مزود بكبش دك الأسوار.

المصدر: الشواف، قاسم،الحكم والسياسة في العالم القديم ص32.



الشكل 12: مشهد يمثل سياسة تهجير السكان خلال حكم الإمبراطورية الآشورية والاستيلاء على مدينة عيلام.

المصدر: الشواف، قاسم، الحكم والسياسة في العالم القديم ص34.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

1- أبو عساف، علي، مملكة بيت بخياني، مجلة دراسات تاريخية، العدد السادس، دمشق، 1981م.

2- أبو عساف، علي، الآراميون، د.ط، دار الأماني، سورية، 1988م.

3- أبو عساف، علي، آثار الممالك القديمة في سورية، وزارة الثقافة، دمشق، 1988م.

4- أحمد علي، عبد اللطيف، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، طبعت بكتب كريديه اخوان، بيروت، 1971م.

5- أحمد علي، محمد عبد اللطيف، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، د.ط، جامعة الإسكندرية، 1977م.

6- أحمد، محمود عبد الحميد، دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، ط1، منشورات جامعة دمشق، 1996م.

7- اسماعيل، حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته – بلاد مابين النهرين والشام والجزيرة العربية، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، 1997م.

8- اسماعيل، فاروق، أبحاث الندوة العالمية حول تاريخ سورية والشرق الأدنى القديم(3000-300 ق.م)، المنعقدة في جامعة حلب 17-20-تشرين الأول 1992بالتعاون مع جامعة روما، د.ط، منشورات جامعة حلب، 1995م.

9- اسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، ط1، منشورات جامعة حلب، 2001م.

10- اسماعيل، فاروق، الحثيون وحملاتهم على سورية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 81-82، 2003م.

11- اسماعيل، فاروق، قرن من الصراع العيلامي - الآشوري (نحو743-642 ق.م)، مجلة مهد الحضارات، منشورات وزارة الثقافة- المديرية العامة للآثار والمتاحف، العددان 13-14، 2011م.

12- اسماعيل، فاروق، الأيوبي، تمام، كتابات أبجدية قديمة، منشورات جامعة حلب، 2013م.

13- باقر، طه، علاقات العراق القديم وبلدان الشرق الأدنى، مج4،ج1، العراق، 1948م.

14- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارة القديمة، ج2، مصر القديمة - جزيرة العرب- الفرس- اليونان- الرومان، ط1، دار المعلمين العالمية، بغداد- العراق، 1951م.

15- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، الوجيز في حضارة وادي الرافدين، ط2، بغداد، 1995م.

16- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1،الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، ط1، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، بيروت، 2009م.

17- الجبوري، أحمد مجيد، معاني أسماء أعلام من العصر البابلي القديم، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، مج2، العدد2، كانون الأول2012م.

18- الجبوري، علي ياسين، القبائل العربية القديمة في بلاد بابل خلال اللف الأول قبل الميلاد، وقائع ندوة الوطن العربي والامتداد عبر التاريخ التي عقدتها دائرة التراث العربي والاسلامي في 19-20 شوال 1420هـ / 26-27 كانون الثاني، 2000م، منشورات المجمع العلمي العراقي، 2000م.

19- الحلو، عبد الله، تحقيقات تاريخية ولغوية في الأسماء الجغرافية السورية، ط1، دار بيسان، بيروت، لبنان، 1999م.

20- الحلو عبد الله ، الحلو ، عبد الله ، التاريخ العام ، سورية القديمة ، ج1.

21-حمود، محمود، شمأل العاصمة السورية القديمة مرحلة جديدة من التنقيبات الأثرية، مجلة مهد الحضارات، منشورات وزارة الثقافة- المديرية العامة للآثار والمتاحف- مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، العددان 11-12، 2010،

22- رشيد، فوزي، الجيش والسلاح، مجلد حضارة العراق، ج2، بغداد، 1985م.

23- زايد، عبد الحميد، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م، د.ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م.

24- سعد الله، محمد علي، في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر- سورية القديمة)، د.ط، مركز الاسكندرية للكتاب، 2001م.

25- السعدون، نصار سليمان، عيلام في الألف الثالث ق.م، مجلة مهد الحضارات، المديرية العامة للآثار والمتاحف، وزارة الثقافة، العدد الثامن والتاسع ، 2009م.

26- السعدي، حسن محمد محيي الدين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم العراق إيران،آسيا الصغرى، ج2، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1990م.

27- سفر، فؤاد، مديرية الآثار العامة، مطبعة الحكومة، بغداد، 1960م.

28- سليم، أحمد، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، العراق – إيران –آسيا الصغرى، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة وانشر، بيروت، 1990م.

29- سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (سورية – بلاد العرب)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991م.

30- سليم، أحمد أمين، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم – العراق- إيران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م.

31- سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر- العراق- إيران)، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.

32- سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ الشرق القديم (مصر- العراق- إيران- سورية).

33- سليم، أحمد أمين، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر-سورية-العراق-إيران-آسيا الصغرى، د.ط، دار النهضة العربية، د.ت.

34- سليمان، توفيق، نقد النظرية السامية، ج1، دار دمشق للنشر، 1982م.

35- سليمان، توفيق، دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، من أقدم العصور إلى عام 1190ق.م (الشرق الأدنى القديم بلاد مابين النهرين- بلاد الشام)، ط1، دار دمشق للطباعة والنشر، 1985م.

36- السواح، فراس، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ط3، دار علاء الدين، دمشق، 1997م.

37- الشواف، قاسم، مآثر ملوك العالم القديم- سومر- اكاد- آشور- أمورو- كنعان (الحكم والسياسة في العالم القديم، ط1، دار علاء الدين للنشر، سورية، دمشق، 2015م.

38- شير، ادي، تاريخ كلدو وآثور، مج1، د.ط، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م.

39- صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى، الجزء الأول، مصر والعراق، القاهرة، 1967.

40- صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم – مصر والعراق، ج1، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990.

41- عبد الحليم، نبيلة محمد، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف للنشر، الإسكندرية، 1983م.

42- عبدالله الشمس، ماجد، الحضارة والميثولوجيا في العراق القديم، ط1، دار علاء الدين، دمشق.

43- عبد الله، يوسف خلف، الجيش والسلاح في العهد الأشوري الحديث، بغداد، 1977م.

44- عبودي، هنري س، معجم اللغات السامية، ط2، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، 1991م.

45- عثمان، عبد العزيز، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر الحديث، لبنان، 1966م.

46- عثمان، عبد العزيز، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر الحديث.

47- عصفور، أبو المحاسن، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، د.ط، مطبعة المصري، الإسكندرية، 1968م.

48- عصفور، أبو المحاسن، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

49- عصفور، أبو المحاسن، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م.

50- عصفور، محمد أبو المحاسن، الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية، د.ط، د.ت، د.م.

51- فخري، أحمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم (مصر – العراق- سورية – اليمن – إيران) مختارات من الوثائق التاريخية، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

52- فرزات، محمد، مرعي، عيد، دول وحضارات في الشرق العربي القديم –سومر وأكاد –بابل و آشور- أمورو وآرام، ط1، دار طلاس للنشر، 1990م.

53- فرزات، محمد حرب، العلاقات السياسية بيم مملكة أرفاد الآرامية وآشور حتى أواسط القرن الثامن قبل الميلاد، مجلة دراسات تاريخية العددان 45-46، سورية، دمشق، 1993م.

54- فيصل، عبد الله، و مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم بلاد الرافدين، منشورات جامعة دمشق، 2013-2014م.

55- قابلو، جباغ، الطرق التجارية، ووسائط النقل في بلدان الشرق القديم خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، فعاليات الأسبوع الثقافي الرابع لقسم التاريخ- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 6-20 آذار 1999-2000م.

56- قابلو،جباغ، التنافس الآشوري الأورارتي للسيادة على الشرق القديم خلال النصف الأول من القرن التاسع والثامن، مجلة دراسات تاريخية- العددان 71-72 تموز- كانون الأول، 2000م.

57- قابلو، جباغ، الأخلامو حتى مطلع القرن الحادي عشر قبل الميلاد، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج45 و46، دمشق- سورية، 2002- 2003م.

58- قابلو، جباغ، تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، ط4، منشورات جامعة دمشق، 2006م.

59- قابلو، جباغ؛ فرعون، محمود، تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، منشورات جامعة دمشق، 2009م.

60-ليفراني، ماريو، توسع الإمبراطورية الآشورية في منطقتي الخابور والفرات الأوسط ، تر: شوقي شعث، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج34، منشورات وزارة الثقافة المديرية العامة للآثار والمتاحف ، 1984م.

61- محفل، محمد، دمشق الأسطورة التاريخ من ذاكرة الحجارة ...... إلى ذكرى البشر، الأمانة العامة لاحتفالية دمشق، عاصمة الثقافة العربية، 2008م.

62- المدور، جميل أفندي نخلة، تاريخ بابل وآشور، د.ط، مطبعة الغوئد- بيروت، 1893مسيحية.

63- مرعي ، عيد ، تاريخ بلاد الرافدين ط1، دمشق ، 1991م.

64- مرعي، عيد، التاريخ القديم، ط3، منشورات جامعة دمشق، 2002م.

65- مرعي، عيد، حران في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مجلة دراسات تاريخية، العددان 107-108، 2009م.

66- مرعي، عيد، رحلة في علم الآثار" آثاريون ومدن أثرية، ط1، دار روافد للثقافة والفنون، دمشق- سورية، 2010م.

67- مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم- تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، 1990م.

68- مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم-بادية الشام، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990م.

69- هبو، أحمد ارحيم، تاريخ بلاد الرافدين (من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط بابل 539 ق.م)، د.ط، منشورات جامعة حلب، 2007م.

70- هبو، أحمد ارحيم، معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سورية وبلاد الرافدين، ط1، دار القلم العربي- دار الرفاعي، سورية، حلب، 2003م.

المراجع المترجمة إلى العربية:

1- بابلون، أرنست، الآثار الشرقية (حضارات كلديةوآشور وبابل وسورية وفينيقية واليهودية وقرطاجة وقبرص)، تر: مارون عيسى الخوري، ط1، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، 1987م.

2- بارو، أندريه، بلاد أشور، تر: عيسى سلمان، سليم التكريتي، بغداد، 1980م.

3- بوتيرو، جون، وآخرون، الشرق الأدنى، الحضارات المبكرة، تر: عامر سليمان، د.ط، د.م، 1967م.

4- خليل جوارو، إيشومالك، الآشوريون في التاريخ، نقله إلى العربية، نسقه ودقق فيه سليم واكيم، تر: جورج وديع دباس، بيروت، 1962م.

5- خولديس، نادية، مارتن، لوتس، تل حلف، تر: فاروق اسماعيل، دمشق، 2006م.

6- الدبس، يوسف، تاريخ شعوب سورية القدماء (مقالة افتتاحية ومقالتين في الحثيين والفينيقيين، تر: مارون رعد، دار نظير عبود، 1994م.

7- رو، جورج، العراق القديم، تر: حسين علوان حسين، مراجعة فاضل عبد الواحد علي، بغداد، 1984م.

8- زودن، ف. فون، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، تر: فاروق اسماعيل، ط1، دار المدى، دمشق، 2003م.

9- س. كوفاليف إف. دياكوف، تر: نسيم واكيم اليازجي، الحضارات القديمة، ج1، ط1، دار علاء الدين، دمشق، د.ت.

10- ساغز، هاري، عظمة آشور، تر، خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، د.ط، دار ومؤسسة رسلان، دمشق، 2011م.

11- ساغز، هاري، عظمة بابل، تر: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، ط1، دار رسلان، دمشق، 2008م.

12- ساغس، هنري، جبروت آشور الذي كان، تر: آحو يوسف، دار الينابيع، دمشق، 1995م.

13-ساكز، هاري، قوة آشور، تر: عامر سليمان، د.ط، منشورات المجمع العلمي، التأليف: لندن، 1984، الترجمة: بغداد، 1999م.

14- كلين، دانيال، موسوعة علم الآثار، ج1، تر: ليون يوسف، بغداد، 1990م.

15- كونه، هارتموت، وآخرون، الأختام الأسطوانية في سورية بين (3300-330 ق.م)، دليل معرض جامعة توبنغن11، تعريب علي أبو عساف وقاسم طوير، معهد اللغات الشرقية القديمة في جامعة توبنغن- ألمانيا، 1980م.

16-كيرشباوم، إيفا كانجيك، تاريخ الآشوريين القديم، تر: فاروق اسماعيل، دار الزمان للنشر، د.ت.

17-ل. ديلايورت، بلاد مابين النهرين الحضارتان البابلية والأشورية، تر: محرم كمال، المطبعة النموذجية، د.ت.

18- لويد، سيتون، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، تر: محمد طالب، ط1، دار دمشق، دمشق، 1993م.

19- مارغرون، جان كلود، السكان القدماء لبلاد مابين النهرين وسورية الشمالية، تر: سالم سليمان العيسى، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1999م.

20- مورتكارت، انطوان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب: توفيق سليمان، دمشق، 1967.

21- موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، تر: يعقوب السيد، محمد القصاص، د.ط، دار الرقي، بيروت، 1986م.

الرسائل والأطروحات:

1- التميمي، مهدي فهمي، التطورات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، 911-745ق.م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بغداد، 2010م.

2- الخاتوني، عبد العزيز الياس سلطان، علاقات العراق القديم ببلاد عيلام حتى 639 ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة الموصل، 1995م.

3- السعدون، نصار سليمان صالح، الجوانب الحضارية والسياسية والعسكرية لعلاقات بلاد الرافدين مع بلاد عيلام في التاريخ القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة القادسية، 2002م.

4- المشعل، أحمد، الإمارات الآرامية في منطقة الفرات الأوسط في العصر الآشوري الحديث (1000-612) ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، 2012م.

5- يعقوب، دانية جمال الدين، سياسة الدولة الآشورية الحديثة في بلاد الشام مابين (911-610)ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، 2009م.

الدوريات والمجلات العلمية:

1- الحوليات: مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مجلة تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه، المديرية العامة للآثار والمتاحف في الجمهورية العربية السورية، منشورات وزارة الثقافة المديرية العامة للآثار والمتاحف.

2- مجلة مهد الحضارات، مجلة فصلية علمية محكمة تعنى بالبحوث الأثرية والتاريخية، المديرية العامة للآثار والمتاحف- مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، وزارة الثقافة، دمشق، سورية.

3- مجلة الدراسات التاريخية، جامعة دمشق.

4- مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، العراق.

5- مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العراق.

المراجع الأجنبية:

1- Ali baigi ,Sajjad, and et. All, the discovery of aneoassyrain rock- Relief at Mishkhas, Ilam province, Iranica antique, (Iran), VOL. XLVII, 2012.

2-Assyrian International (News and analysis of Assyrian, Wednesday, June24, 2015. Last updeate: 8:00 GMT.

3- Baudains, Zamazalova, S; Altaweel; wilison, A. Modeling strategic decisions in the formation of the earlyneo- Assyrian empire, cliodynomics, VOLl. 6, NO.1, university of California, U. S. A, 2015.

4- Biggs,Robert, Letters from Assyria and the West, State Archives of Assyria, Journal ofNear eastern Studies, Vol.50, No. 1(Jan, 1991.

5- Brinkman, Marduk- apla- iddina, Reallexikou der Assyriologie, Band 7, Berlin, 1987-1990.

6- D, Agostion, Anacleto, The Assyrian- Aramaeaninferaction in the upperkhabvr; the archaeological evidence from tell barri Iron agelayers, Syria, archeolgie, art, et histoire, tom86, anneeK 2009.

7- Del olmolete. G, and Montero fenollos. J. L, Archaeology of the upper Syrian euphratas the tishrin dam area, proceedings of the international symposium held at Barcelona, Jamuary 28 TH- 30 TH, 1998.

8- Dion. Paul. E, Aramaeant tribes and nations of first millennium western asia civilizations of the ancient near, volume II, new York, 1999.

9- Edelman, D. What if we had noaccounts of Senwacherib's third campaign or the palace Depictinq his capture of Lachish?, Bibical Inter prationRellefs, Brill publishers, Nether lands, vol8, 2000.

10- Farame, G., The Royal Inscription of Mesopotamia, Babylonian Periods VOL. 2, Rulers of Babylonia From The Secand Dynasty of Isin to End of Assyrian Domination (1157-612 B.C) (Toronto, (RIMB).

11- Fuchs, A, and Parpola.S., The Correspondence of Sargon II, parl III Letters From Babylonia And The Eastern Provinces, State Archives of Assyria, (SAA), Vol. No: 200; No: 201. No: 203. XV, Helsinki, 2001.
12- Grayson, A. K. Assyrian and Babylonion chronicles. (New York, 1975, (ABC).
13- Grayson, A. Kirk, Assyrian rulers of the early first millenniumB.C(1114-859)B.C, volume I, 1991.
14- Harrison, R. Ashurnasirpal II and ninth- century Assyria, History today ltd, Landon
15- Harveyweiss, From Ebla to Damascus, smihonianint, washington D.C,1985.
16- Jakubiak, K. Someremarks on Sargon ll'selghth campaign of 714 B.C, Iranica Antiqua, VOL XXXIX, Iran, 2004.
17- labat, R. Manual D' EpigrapfieAkkadienne, Paris, 1976.
18- Lamb. D. The nom - eternal dynastic prmises of jehu of Israel and Esarhaddon of Assyria, vetustestamentum, VOL60, Brill publishers, Netherlands, 2010.
19- Luckenbill, D. D. Anciont Records of Assyria and Babylonia, (ARAB), Vol. II, No: 4, New York, 1927.
20- Marrioth, J, Redner,K. Sustaining the Assyrian army among friends and enemies in 714 BC. E, university college, London, 2015.
21- Martin, R. What's in a name? … and is it always necessarily a good idea to emulate yesterday's military genius? Military History, EBSCO publishibg, October, 2002.
22- Mcarthur, Riana, the Exercise of Assyrian Ideology: An upturned image of reality, 2012.
23- Mieroop, M. V. D, A History of Ancient Near East Ca 3000-323 B.C, London.2004.

24- Novotenw, J. N, New proposed chronological sequence and dates of compostion of Esarhaddon's Babylon inscriptions, university of Pennsylvania, USA, 2015.
25- Olmstead, A. Western asia in the days of Sargon of Assyria, corneu university library, New York, USA, June, 1906.
26-Parpola, Simo, And Michael Porter, The Helsinki Atlas, 2001.
27- Sader, Helene, les etatsarameens de Syria, orient institut,Bierut, 1987.
27- Saggs, H. W. F. , The nimrod letters, Iraq, 1952.
28- Sivan, G. The siege of Jerusalem: parti: Assyria the world power, Jewish Bible Quarterly, VOL. 43, NO. 2, Jewish bible Association, Jerusalem, 2015.
29- Smith, S. M. A., " Ashurbanipal and. The falloff Assyria", In C. A. H., .VOL. III.
31- Smith. S. M. A., ″ Sennacherib and Esarhaddon″, In C. A. H., VOL. III.
32-Smith. S.M. A, the superemacy of Assyria, In C. A. H, VOL, III.
33-Todelcarey, Assyrain king Sargon ll'surartu campaign of 714BC was as sensible as it was ruthless, Miltary History, Brian, 2005.
34- Todd carey, B. Assyrian king Sargon ll's urartu campaign of 714 B.C was as sensible as it was ruthless, Military History, EBSCO publishing, September 2005.
35- Brief History of Assyrians, http://www.aina.org/brief.html.
36- Ancient people, http://ancientpeoples.tumblr.com/.
37-Assyria, https://en.wikipedia.org/wiki/Assyria.

Summary

The understanding of the types and courses of conflicts that founding history is crucial to undestand the way in which great empires developed. For example, the Assyrian Empire that ruled and affected the subsequent incidents, this understand woul be through a study of the geographical and historical status of old east at the advent of the first millennium B.C. and also a study of the status of the geographical historical aspects of the Assyrian state in the first millennium B.C.

Anextended recounting of actios, enables us to understand how Assyria was able to control the neighboring areas, as much as it helps us to explain the strategic benefits that direct the possible courses to an empire in which power in restricted into the hands of the elite. Those elite consists of powerful kings by the dent of their military activities especially the recounting of incidents which go back to period for which us to trace the Assyrian campaigns is certain areas.

That very recounting of actions and incidents will also give us a chance to fathom the reasons that helped the modern Assyrian state to resurrect again as a key player prevailing on the whole area of near East and gaining a greater zone lasting centuries even after its fall.



الجمهورية العربية السّـــورية
جامعة تشـــرين
كليّة الآداب والعلوم الإنسانية
قســــم التّاريخ
اختصاص تاريخ بلاد الرافدين

Importance of the military activity of the kings of Assyria in Mesopotamia and Syria Elam in

(745 - 609)BC

A Prescnicd Rcsearch to get M. A Degrce in an Ancient History of Mesopotamia

Prepared by

Student Redab Azez Iskandar

Supervision by

Dr. Ahmad Mouhammad Shahood

Assistant professor in Faculty of Tourism

Speciality in ancient history of Syria

FORYEAR: 2016− 2017

[اكتب نصاً]